



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

نظرية صدام الحضارات

دراسة نقدية ورؤية إسلامية

أيمن ذيب محمد أبو هنية

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1431 هـ / 2010 م

نظرية صدام الحضارات

دراسة نقدية ورؤية إسلامية

إعداد الطالب

أيمن ذيب محمد أبوهنية

بكالوريوس في أصول الدين / جامعة اليرموك / الأردن

إشراف

الدكتور سعيد سليمان القيق

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في الدراسات الإسلامية المعاصرة- جامعة القدس

1431 هـ - 2010 م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج الدراسات الإسلامية المعاصرة

إجازة الرسالة

نظرية صدام الحضارات

دراسة نقدية ورؤية إسلامية

اسم الطالب: أيمن ذيب محمد أبو هنية

الرقم الجامعي: 20612090

المشرف: د. سعيد القيق

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 22 / 8 / 2010 م، من أعضاء لجنة المناقشة
المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1- رئيس لجنة المناقشة: د. سعيد سليمان القيق

التوقيع:

2- ممتحناً داخلياً: د.

التوقيع:

3- ممتحناً خارجياً: د.

التوقيع:

الإهداء

إلى والدي اللذان أحاطاني برعايتهما، وحثاني على العلم والعمل،
واشتاقا لكي يراني في مثل هذا اليوم الذي أنجز فيه هذا العمل

إلى زوجتي وأبنائي وإخواني وأخواتي الذين كانوا لي عوناً
وسنداً على طول فترة الدراسة

إلى كل من ساعدني بنصح أو توجيه أو مواساة على الطريق
الشائك

إلى أستاذي الدكتور سعيد القيق حفظه الله الذي طالما أمدني
بيد العون والمساعدة

إلى كل من علمني ولو حرفاً

إليهم جميعاً أهدي هذه الرسالة

الباحث

أيمن ذيب أبو هنية

إقرار

أقر أنا مقدم الرسالة أنها قدمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

الإسم: أيمن ذيب محمد أبو هنية

التوقيع:

التاريخ:

شكر وعرفان

أشكر الله عز وجل -في البداية- على نعمائه العظيمة وفضله الكبير، بأن هيا لي الظروف لأتم هذه الرسالة، فلو لا فضله ومنته علي لما تمكنت من ذلك.

وأقدم بجزيل الشكر والإمتنان لأستاذي الفاضل الدكتور سعيد القيق الذي أمدني بالنصائح السديدة والتوجيهات الرشيدة، لتخرج هذه الرسالة على هذا الوجه.

وأشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبولهم مناقشة هذه الرسالة، وأشكرهم على تصويباتهم وتعديلاتهم التي تفضلوا بها علي، لتكون الرسالة أكثر قبولاً ونفعاً.

وأشكر جميع أساتذتي الكرام، وأخص الدكتور مصطفى أبو صوي، الذي شجعني على اختيار هذا الموضوع، وأخذ بيدي لكتابته.

وأشكر الإخوة القائمين على مكتبة مسجد البيرة الكبير على ما قدموه لي من خدمات طول فترة الدراسة.

ولا يفوتني أن أقدم لكل من قدم لي النصيح أو المساعدة من قريب أو بعيد.

فجزاهم الله -جميعاً- كل خير

ملخص الرسالة:

تتناول هذه الدراسة نظرية صدام الحضارات للمفكر الأمريكي صموئيل هنتنجتون، حيث يتم مناقشة هذه النظرية ونقدها، وإظهار موقف الإسلام منها.

وتكمن أهمية هذه الدراسة من خلال تناولها هذه القضية المعاصرة والخطيرة، والتي يزداد شيوعها يوماً بعد يوم، وفي ظل التكهّنات المتزايدة بحتمية وقوعها، وفي وقت تتفاقم فيه مخاوف المسلمين وغيرهم من ظهور بعض بوادر هذا الصدام.

فجاءت هذه الدراسة لتعالج هذا الأمر من خلال محاولة التعرف على مدى واقعية هذه النظرية، وإظهار موقف الإسلام منها.

واتبعتُ في الدراسة المنهج التكاملي من خلال استقصاء المعلومات من المصادر والمراجع المناسبة بموضوع البحث واستقراءها وتحليلها والربط بينها للوصول إلى النتيجة الأنسب.

وتناولت الدراسة والتي جاءت في أربعة فصول، معنى الصدام الحضاري ونشأة فكرته والعلاقة التاريخية للحضارات، ثم تحدثت عن نظرية هنتنجتون والردود عليها ومن ثم تحدثت عن المؤثرات في فكرة الصراع فتطرقت لحوار الحضارات وحوار الأديان والعولمة، ثم أفردتُ الفصل الأخير لبيان موقف الإسلام من صراع الحضارات من خلال دراسة نظرة الإسلام للإنسان، ومن خلال دراسة العلاقة بين المسلمين وغيرهم سواء كانوا داخل المجتمع الإسلامي أم خارجه.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، من أهمها:

أن العلاقات التاريخية للحضارات لا تتسم بالصراع دائماً، بل يسودها كذلك التبادل والتفاعل والتناقص، وإن نظرية صراع الحضارات تعاني من نقاط ضعف عديدة، بحيث لا تقوى للوصول إلى الواقعية، كما أن الإسلام يعارض الصراع وينفيه سواء كان صراعاً حضارياً أو دينياً أو إنسانياً وكل ما هنالك أن الإسلام أقر التدافع الذي لا يلغي الآخر.

Abstract

This study aims to describe the theory of civilization clashes for the American intellectual Samuel Huntington .This theory and its criticism will be discussed and will show the Islamic point of view towards it .

The importance of this study is highly implied as it handles this contemporary dangerous issue which has been increasing day after day with the increasing predictions of its occurrence, while there are some fears by Muslims and others that there are many signs of this clash.

This study has arisen to tackle this matter through trying to identify the extent of reality of this theory and showing the position of Islam from it.

This study followed the integrative methodology through investigating and looking up information from adequate sources and references related to the subject of this and induced it, therefore analyzing it and connecting between these methods to reach the most suitable result.

This study which has come in four chapters tackled the meaning of civilization clash ,establishment of its idea and the historical relationship with other civilizations , it talked about the Huntington theory and replied to it ,then it talked about effects of notion clash .It tackled the civilization dialogue ,religions dialogue and globalization .The last chapter focuses on showing the Islamic position from civilizations clash throughout studying the Islamic civilization views towards this matter and towards mankind , and throughout studying the relationship between Muslims and others whether they are within the Muslim community or not.

The study concluded a group of results and recommendations, the most important of which are:

The historical relationships of civilizations are not characterized by conflict and clash permanently but it is characterized by exchanging, interaction and acculturation and that civilization clash theory has many

weak points which can not make reality .Moreover, Islam objects conflict and denies it whether it is civilization conflict, religious conflict or human conflict .The notion here is that Islam acknowledges differences in views which does not cancel the other party.

الرموز والمختصرات

الرمز	معناه
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
ت	تاريخ الوفاة
ص	صفحة
ج	جزء
م	مجلد
ق.م	قبل الميلاد
د.م	دون مدينة
د.س	دون سنة نشر
د.ن	دون ناشر
...	كلام محذوف
هـ	سنة هجرية
م	سنة ميلادية
م.س	مصدر سابق
م.ن	المصدر نفسه

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه، واهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد.

فإنّ من أكثر المواضيع التي أثارت ضجة وجدلاً على مستوى العالم، نظرية صدام الحضارات والتي صدع بها صموئيل هنتجتون سنة 1993م، حيث تنبأ بأن الصراع القادم لن يكون على أساس سياسي أو إقتصادي... بل ستكون أسبابه ثقافية بحتة وأن الصدام سيكون على أوجه بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الإسلامية والكونفوشية¹ من جهة أخرى.

وتعتبر نظرية صدام الحضارات أبلغ رد على ما جاء به فرانسيس فوكوياما - الياباني الأصل الأمريكي الجنسية- بتبشيريه بنهاية التاريخ ووحدة الحضارات في شكل الليبرالية الغربية.

وقد ساعدت الظروف في ذبوع هذه النظرية، حيث جاءت بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وانتهاء الحرب الباردة، وسبقت بتصريحات عديدة من قبل بعض المسؤولين الغربيين الذين أكدوا خطورة الإسلام وخصوم أهله، وأنه هو العدو البديل القادم ومن ثم الحقت بأحداث الحادي عشر من أيلول سنة 2001م. مما جعل الكثيرين يميلون إلى قبول هذه النظرية وتصديقها.

أهمية الدراسة وسبب اختيارها:

تكمن أهمية هذه الدراسة بتناولها موضوعاً عصرياً بالغ الأهمية والحساسية؛ كونها تتعلق بالعلاقة ما بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ولمحاولتها استشراف مستقبل تلك العلاقة في ظل الهيمنة والسيطرة الأمريكية، وفي ظل النفوذ الكبير الذي يستحوذ به المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، والذين يوصفون بعدائهم الشديد للإسلام والمسلمين،

¹ الكونفوشية: نسبة إلى الفيلسوف الصيني كونفوشيوس (479 - 551 ق. م) وهو حكيم وأخلاقي حث على الإصلاح الاجتماعي وسعى إلى نظام أخلاقي وسياسي ابتغاءاً للعدالة والسلام العالمي. الموسوعة العربية الميسرة (إشراف محمد شفيق غربال). ج2، ص837، د. ط، القاهرة: دار الجبل والجمعية المصرية للنشر والمعرفة، (1416 هـ - 1995م).

ومع وجود شواهد كثيرة تساهم في تعزيز فكرة بعض التيارات في العالم الإسلامي، بأن هناك مؤامرة تدبر لضرب الإسلام والمسلمين.

ومما يؤكد على قيمة وأهمية هذه الدراسة الأسباب الآتية:

- 1- أنها تظهر طبيعة العلاقات الحضارية للإسلام.
- 2- تبين عقلية ومواقف بعض المفكرين الغربيين من الإسلام.
- 3- تظهر مدى واقعية وجدية نظرية الصدام الحضاري.
- 4- تلقي الضوء على أثر هذه النظرية على الواقع الغربي والإسلامي.
- 5- تظهر نظرة الإسلام للآخر، وتبين طبيعة العلاقات المفترض أن تكون ما بين المسلمين وغيرهم.

مشكلة الدراسة:

يمكن تحديد المشكلة التي تعالجها هذه الدراسة من خلال توجيه الأسئلة التالية:

- 1- ما مدى واقعية نظرية صدام الحضارات؟
- 2- ما أثر فكرة الصدام على العالم الغربي والإسلامي؟
- 3- هل موقف الإسلام من الآخر يقوم على صرعه أو نفيه؟

فرضيات الدراسة:

يفترض الباحث الأمور الآتية:

- 1- عدم واقعية نظرية صدام الحضارات
- 2- أثرت فكرة الصدام على العالم الغربي والإسلامي بشكل كبير.
- 3- موقف الإسلام من الآخر لا يقوم على صرعه أو نفيه.

منهج الدراسة:

- 1- يقوم الباحث بدراسة العلاقات الحضارية التاريخية.
- 2- يدرس الباحث نظرية الصدام دراسة نقدية تحليلية.
- 3- يعتمد الباحث إلى استنباط النظرة الإسلامية للآخر من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، من خلال علاقات المسلمين مع غيرهم سواء كانت داخلية أم دولية.
- 4- يحاول الباحث الربط بين كل ما سبق للوصول إلى الصواب أو إلى نتيجة قريبة منه.

الدراسات السابقة:

لم أجد هناك دراسة شاملة متكاملة لموضوع الدراسة -وفي حدود إطلاعي- وبالصورة التي طرحتها سواء كان ذلك من حيث الشكل أو من حيث المضمون، وكل ما وجدته بعض الدراسات التي تناولت بعض الجزئيات المتفرقة والغير متكاملة لموضوع الدراسة.

ومن أبرز تلك الدراسات التي تم الإطلاع عليها ما يلي:

- 1- نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي؟ للدكتور حازم الببلاوي.
حيث استعرض فيه علاقة الغرب بالشرق العربي في قراءة تاريخية وعرض لتراجع الحدود في ظل العولمة وتطرق لقضايا الحوار والصراع الحضاري والمشروع القومي والسلام، ويقع الكتاب في 62 صفحة.
- 2- الحضارات العالمية تدافع ... أم صراع ...؟ (سلسلة التتوير الإسلامي) للدكتور محمد عمارة، وهو كتيب يقع في 46 صفحة من الحجم الصغير تحدث فيه عن رأي هنتجتون في صدام الحضارات، كما تطرق بشكل موجز وقصير للرؤية الإسلامية للصدام الحضاري.
- 3- صدام الحضارات: صدر عن مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، وهذا الكتاب عبارة عن تجميع لردود صدرت رداً على مقالة هنتجتون، حيث قام مركز الدراسات بتجميعها ووضعها في هذا الكتاب.
- 4- توجيه صراع الحضارات: للدكتور محمد ياسر شرف، وهو أستاذ فلسفة العلوم الاجتماعية، تتبع في هذا الكتاب أطروحة هنتجتون بصورة موضوعية، ومن جهة نظر بحثية لا تنتمي إلى إتجاه سياسي محدد.
- 5- قلق الغرب: قراءة نقدية لنظرية صدام الحضارات، تأليف غالب عجبك، انتقد فيه نظرية هنتجتون، وكشف عن صلتها بالتفكير الغربي والأمريكي خصوصاً، والذي يبغى الهيمنة، وتحقيق المزيد من المكتسبات، كما حاول المؤلف استكشاف عالم الغرب وحضارته الإثنية.

6- تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتجتون، لهارالد مولر، حيث نقد فيه هنتجتون، وتتبع القوى التي تدفع إلى تطور الثقافات في وقتنا، وحلل أشكال تحول العوامل الثقافية إلى سياسة، كما تتبع أسباب النزاع العنيف، وتطرق إلى الأقاليم الكبرى في السياسة الدولية.

7- صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع للدكتور أحمد الشلبي. تحدث فيه عن التفوق المادي للحضارة الغربية وتدنيها روحياً، كما تطرق لفائدة تلك الحضارة من علوم الشرق، واعتداءاتها المعاصرة على المسلمين، واقتباسات الحضارة الإسلامية التجريبية، ومؤتمر صانعي السلام، والحضارة الصينية وفلسفتها، كما تحدث عن بعض الإتهامات الموجهة للمسلمين.

ويلحظ أن في الكتاب تكرار لبعض الموضوعات، كما أن فيه إقحاماً لقضايا بعيدة عن مضمون موضوع الكتاب.

خطة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تحدثت في المقدمة عن أهمية الدراسة وسبب اختيارها، ومشكلة الدراسة التي تعالجها، وفرضياتها، والمنهج الذي اتبعته، مع ذكر الدراسات السابقة التي تتعلق بالموضوع.

وتناولتُ في الفصل الأول مفهوم صدام الحضارات والظروف التي نشأت فيها هذه النظرية، والعلاقة التاريخية للحضارات.

وأفردت الفصل الثاني للحديث عن نظرية هنتجتون في الصدام والردود عليها.

وأفردت الفصل الثالث للحديث عن المؤثرات في فكرة الصراع، فتناولت حوار الحضارات، وحوار الأديان، والعولمة، وحاولت إبراز أثرها على فكرة الصراع الحضاري.

ثم تناولت في الفصل الرابع موقف الإسلام من الآخر، فتحدثت عن نظرة الإسلام للإنسان، وموقف الإسلام من الآخر سواء كان داخل المجتمع الإسلامي أم خارجه.

ثم عرضتُ في الخاتمة لأهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال هذه الدراسة وبعض التوصيات.

وأخيراً أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقتُ في كتابتها وأن ينفع الله بها المسلمين، كما أسأله عز وجل أن يكون هذا الجهد في ميزان حسناتنا يوم القيامة، إنه سميع مجيب.

الفصل الأول:

صدام الحضارات (المفهوم والنشأة) والعلاقة التاريخية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم صدام الحضارات.

المبحث الثاني: نشأة الفكرة

المبحث الثالث: العلاقة التاريخية للحضارات.

المبحث الأول: مفهوم صدام الحضارات

إنّ من مستلزمات الفهم السليم، والإدراك الرشيد للقضايا المطروحة على بساط البحث، التحديد الدقيق للمصطلحات والمفاهيم، انبثاقاً من أساسها اللغوي، وما يرتبط بها من دلالات ومعاني، مما يقودني هنا إلى أن أقف عند كلمتين اثنتين: أولاهما "الصدام" وثانيهما "الحضارة".

والصدام في اللغة من الصدم: أي ضرب الشيء الصلب بشيء مثله، فيقال تصادمت السفينتان. ويقال: صدمه صدمةً: أي ضربه بجسده، ويقال تصادم الرجلان أو الجيشان إذا تصادما كذلك¹ وفي الحديث "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"².

ويستعمل الصدم مجازاً في كل مكروه حصل فجأة كما يراد من الحديث³ واستخدم الكثير من المؤلفين والكتاب ممن تحدثوا في مضمار "صدام الحضارات" كلمة "الصراع" بدل "الصدام" قاصدين بهما نفس المعنى⁴، وهما في مدلولهما اللغوي قريبان، فالصراع لغة يعني الطرح بالأرض⁵، قال تعالى: "فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا نُخْلٍ خَلْوَةٍ"⁶، أي تراهم موتى كأنهم أصول نخل بالية، أو خالية الأجواء لا شيء فيها⁷.

"والحضارة" تعني لغة: الإقامة في الحضر، والحضر والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار واستقروا فيها فالحاضر خلاف البادي⁸. وفي الحديث "لا يبيع حاضر لباد"⁹.

¹ ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، ج12، ص334، ط1، بيروت: دار صادر، 1990م.

² البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت 256 هـ)، صحيح البخاري، ج3، ص493، كتاب رقم 23 الجنائز، باب رقم 31 "زيارة القبور" من طريق أنس بن مالك- رضي الله عنه، حديث رقم 1283، ص205، ونفس الكتاب باب رقم 42 "الصبر عن الصدمة الأولى" حديث رقم 1302، ص208، وكتاب رقم 93 الأحكام، باب رقم 11، ما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له بواب حديث رقم 7154، ص1231.

³ النووي، يحيى بن شرف (ت 676 هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، (تقديم وتقرير وتعرف وهدية الزحيلي)، (إعداد مجموعة أساتذته بإشراف علي عبد الحميد بلطه جي)، ج6 ص526، ط1، بيروت: دار الخير (1414 هـ - 1994 م).

⁴ بل واستخدام بعضهم المصطلحين معاً كمترادفين، انظر مثلاً التوجيهي، عبد العزيز بن عثمان التوجيهي، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، ص27، 26، د.ط. المغرب: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - 2002م.

⁵ ابن منظور، م.س، ج8، ص197 (مادة صرخ).

⁶ سورة الحاقة، 69، آية رقم 7.

⁷ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تخريج عرفات العشا)، م9، ج18، ص240، د.ط. بيروت: دار الفكر، 1995م.

⁸ ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص197 (مادة حضر).

⁹ البخاري، م.س، كتاب رقم 34 البيوع، باب رقم 58 "إذا اشترى متاعاً" حديث رقم 2140، عن أبي هريرة، ص343، وباب 64 "النهى للبائع أن يحفل الإبل" حديث رقم 2150، ص97، وباب رقم 68، "هل يبيع حاضر لباد" حديث رقم 2158، ص109، ونفس الكتاب باب رقم 69 "من كره أن يبيع حاضر لباد" حديث رقم 2159، ص346، وباب رقم 70 "لا يشتري حاضر لباد بالسمسرة" حديث رقم 2160، 2161، ص112، وباب رقم 71، "النهى عن تلقي الركاب وأن يبيع مردود" حديث رقم 2162، ص346، وكتاب رقم 37 الإجارة، باب 14 "أخذ السمسرة" حديث رقم 2274، ص363، وكتاب رقم 54 الشروط، باب رقم 8، ما لا يجوز من الشروط في النكاح، حديث رقم 2723، ص445.

والمراد به أن يقدم أحد من البادية ليبيع شيئاً بسعر يومه، فيقول له البلدي، اتركه عندي لأبيعه على التدرج بأعلى¹.

أما الحضارة اصطلاحاً: فقد عرفها ابن خلدون² بأنها غاية البداوة³ وهي نمط من الحياة المستقرة، تنشئ القرى والأمصار، وهي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران، تضيف فنوناً منتظمة من العيش، والترف واستجادة أنواعه في مختلف المجالات، مما يعد من وسائل الراحة، وأسباب الرفاهية⁴، ومع تقدم الزمن، أصبح هذا المفهوم أكثر اتساعاً؛ ليحمل أبعاداً ودلالات وفقاً لاختلاف تصورات واعتقادات ومشارب أصحابها⁵.

وعلى الرغم من وجود تعريفات كثيرة للحضارة⁶ إلا أنني سأذكر بعض التعريفات كدليل لما عرضنا، فمما جاء في قصة الحضارة القول بأنها " نظام إجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي"⁷ ومن خلال هذا التعريف يظهر أن النظرة إلى الحضارة كانت تختص بالزاوية الاجتماعية والثقافية ومنهم من نظر إلى الحضارة من خلال موقع وأثر الإنسان على هذه الأرض فعبر عن الحضارة بالقول أنها " ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة"⁸.

ومنهم من نظر إليها باعتبار شموليتها فقل عنها أنها: " مجموعة القيم المعنوية والإنجازات المادية التي تشكل في مجموعها واقع أمة وصلت في مضمار التقدم والرقى، وسيطرة الإنسان النابعة من إبداعه الخلاق إلى درجة عالية بالقياس إلى مستوى العصر الذي تعيش فيه هذه الأمة"⁹.

باب رقم 6 " تحريم الخطبة على أخيه حديث رقم 52، 51، ج9، ص542، 543، كتاب البيوع رقم 12 باب رقم 4 تحريم النجش والتصرية، حديث رقم 11 و12، ج10، ص127.

¹ النووي، صحيح مسلم بشرح النووي ج10، ص124، 125.

² ابن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو زيد فقيه مجتهد وفيلسوف ومؤرخ وعالم اجتماعي، من أهل تلمسان، صاحب " المقدمة"، (ت808هـ)، الزركلي، خير الدين، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج3، ص330، ط13، بيروت: دار العلم للملايين، 1998م.

³ ولهذا قال ابن خلدون " فخشونه البداوة قبل رقة الحضارة" ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، مقدمة ابن خلدون وهي مقدمة الكتاب المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ص97، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1413هـ-1993م).

⁴ ابن خلدون، م.ن، ص290، 293.

⁵ خليل، عماد الدين، والربيع، فايز، الوسيط في الحضارة الإسلامية، ص77، ط1، عمان: دار الحامد، 2004م.

⁶ لمزيد من الاطلاع على تلك التعريفات انظر مثلاً: خليل، م.ن، ص77-79.

⁷ ديورانت، ويل وإيريل، قصة الحضارة، (تقديم محيي الدين صابر)، (ترجمة زكي نجيب محمود)، ج1، ص3، دط، بيروت، تونس: دار الجيل والمنظمة العربية للتربية والثقافة، دس.

⁸ البوطي، محمد سعيد، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص19، ط2، دمشق: دار الفكر، 1998م.

⁹ أبو سعيد، حامد غنيم، مراكز الحضارة الإسلامية (مواطنيها، أطوارها، روادها)، ط1، ط2، القاهرة: دار السلام، (1428هـ-2007م).

وعلى أية حال فإن مدلول " الحضارة "، أصبح يعبر عن حظ المجتمع أو الفرد من التطور والارتقاء، ومن المقرر - في أصول الدراسة - الحضارية أنه لكل مجتمع إنساني مهما كان حجم تطوره - حضارته الاجتماعية فمكان البادية والقبائل الرحل، لا ننفي عنهم صفة الحضارة، لأن الحضارة بوجه عام صفة للإنسان، وهي التي تميز مجتمعه عن مجتمع الحيوان وهي ليست خاصة بمجتمع إنساني، دون آخر، أو بيئة إنسانية، وإنما هي صفة يتصف بها كل مجتمع إنساني ربطت بين أفراد مجموعة من القيم وقواعد السلوك¹.

وبالجملة فإن الحضارة تشتمل على الجانب الروحي أو المعنوي، المتمثل في العقائد والآداب، والفنون، والعادات، والتقاليد، واللغة، وكل ما هو اجتماعي وفكري وخلق، والجانب المادي المتمثل في الاختراعات والصناعات والوسائل المادية². وتتفاوت الحضارات فيما بينها في موقفها من الروحية والمادية، فمنها ما يغلب عليه الجانب الروحي، منها ما يغلب عليه الجانب المادي، ومنها ما يسوده التوازن بينهما³.

ويميل كثير من الباحثين ممن كتبوا بالعربية إلى استخدام كلمة " المدنية " مرادفة للحضارة⁴ وذلك انطلاقاً من اشتقاقها اللغوي الذي في مؤداه معنى قريب من الحضارة⁵ فيقال: مدنه بالمكان أي أقام به، وتمدّن الرجل بمعنى تنعم⁶، إلا أن الحضارة قد ترتبط بمعانٍ تقويمية عند بعض الباحثين أكثر مما ترتبط كلمة المدنية⁷.

فخصت المدنية بالجانب المادي من الحضارة⁸ وخصت الثقافة بالجانب المعنوي أو الروحي منها⁹. وعلى هذا يمكن أن نقول أن الثقافة: أسلوب خاص في الحياة يميز أمة معينة انطلاقاً

¹ الشريف، احمد إبراهيم ، دراسات في الحضارة الإسلامية ص12، ط2، البلد: دار الفكر العربي، 1981م.

² خنفر، خلقي، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص16، ط1 (طبع على نفقة جامعة الخليل)، (1412هـ-1991م).

³ التوجيهي، صراع الحضارات في المفهوم الاسلامي، ص19.

⁴ مال كثير من الكتاب الغربيين إلى ذلك، وهذا يرجع إلى اشتقاق مصطلح الحضارة (Civilization) و المدنية من (Civilian): التليسي، بشير رمضان، والذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ص10، ط2، بيروت: دار المدار الإسلامي: 2004م. وانظر ديورانت، قصة الحضارة ، م1، ج1، ص5.

⁵ الشرقاوي، عفت الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الاسلامية، ص15، ط4، بيروت: دار النهضة العربية، (1405هـ-1985م) .

⁶ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق علي شيري)، ج18، ص528، 529، د. ط ، بيروت: دار الفكر، (1414هـ-1994م) .

⁷ الشرقاوي، م.س، ص15 وانظر ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص10، ط3، [مزيدة ومنقحة] القاهرة: مكتبة

الأنجلو، 1973م.

⁸ التليسي، والذويب ، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص10، والشرقاوي، م.س ، ص14، 15، وابو سعيد، مراكز الحضارة الاسلامية ، ص18،

19.

⁹ أبو سعيد ، م.ن ، ص18، 19، والشرقاوي، م.س، ص16.

من الجانب الروحي والمعنوي السائد لديها، كالدين واللغة والأدب والتاريخ وكل ما هو اجتماعي وخلقى¹.

ويميل كثير من الباحثين الغربيين إلى استخدام كلمتي الثقافة (Culture)² وحضارة (Civilization) بمعنى واحد³. ومن هؤلاء هنتجتون الذي رفض محاولات التمييز والفصل بينهما⁴. واعتبر الحضارة أنها " أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان على الأنواع الأخرى⁵، فالصراع على قول هنتجتون سيكون بين الكيانات الثقافية الأوسع والتي تجمع ثقافات محددة، تتمايز فيما بينها بمستويات مختلفة، إلا أنها تشترك وتجتمع في ملامح ثقافية تميزها عن غيرها⁶، كما ذكر أن الصراع سيكون على مستويين جزئي وكلي، أما المستوى الجزئي فتتصارع فيه المجموعات المتجاورة على امتداد خطوط التقسيم بصورة عنيفة للسيطرة على أراضي بعضها أما على المستوى الكلي فتتنافس دول من حضارات مختلفة على القوة العسكرية والاقتصادية وتتنافس كذلك على السيطرة وترويج قيمها الدينية والسياسية الخاصة بها⁷.

¹ خنفر، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص18.

² تعود جذور كلمة (culture) الى اللفظ اللاتيني (cultue) بمعنى حرث الأرض وزراعتها، انظر: خليل، الوسيط في الحضارة الإسلامية ، ص80.

³ وعلى رأس هؤلاء علماء النفس بصفة عامة، أما الاجتماعيون فيروا أن كلمة "الثقافة" تدل على الجانب الفكري من الحضارة، وكلمة "الحضارة" تدل على الجانب المادي، الشرقاوي ، م، ص، ص16.

⁴ هنتجتون، صامويل هنتجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، (ترجمة طلعت الشايب) ، ص69 ، ط2، القاهرة: شركة سطور 1999م.

⁵ هنتجتون ، م، ن، ص71.

⁶ المكان نفسه.

⁷ صدام الحضارات ، الصدام بين الحضارات ، صموئيل هنتجتون ، ص23 ، ط1، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، 1995م.

المبحث الثاني : نشأة الفكرة

تعد فكرة " الصراع " بحد ذاتها، أصلاً أصيلاً في الحضارة الغربية، التي ورثت هذه الفكرة من العصر اليوناني والروماني، اللذين سادت فيهما مفاهيم الصراع بدلالاتها المختلفة، كصراع الآلهة، وصراع القوة والضعف، وصراع الخير والشر، وصراع الإنسان مع الطبيعة، وما إلى ذلك ...، كما عكست التوراة التي يؤمن بها اليهود وطائفة من المسيحيين في الغرب - بعض وجوه الصراع، وخاصة بعد الدور الذي قام به اليهود من إقحام الصراع، في الفكر الديني والفلسفي مما جعله جزءاً لا يتجزأ من الفكر الأوروبي ومن الحضارة الغربية¹.

وقد ساعدت النظريات الثلاث الآتية بتزكية وتنشيط " النزعة الصراعية " وإقحامها في البنية الفكرية للحضارة الغربية، بل وصبغها بصبغة الفلسفة الصراعية :

1. فالهيجلية: نسبة إلى " هيجل - Hegel " ² في فلسفة التاريخ، قامت على نسخ العصر الجديد للعصر القديم عبر الصراع مع مكوناته والحلول محلها.
2. الداروينية: نسبة إلى دارون ³ - Darwin في فلسفة النشوء والارتقاء، هي التي قامت على صراع الأحياء، ونسخ القوي للضعيف، باعتباره الأصلح.
3. الصراع الطبقي : سواء في ماركسية " ماركس ⁴ Marx " أو في الليبرالية الرأسمالية، والذي يعتمد " النزعة والفلسفة الصراعية " في علاقات الطبقات الاجتماعية، فالطبقة الجديدة تصارع الطبقة القديمة لتقهرها وترثها وتتفرد بكل خيراتها وامتيازاتها⁵.

هذا مما يعد حجر الأساس أو الزاوية في تقبل ورواج نظرية " صدام الحضارات " فيما بعد، كما كان لصدور بعض التصريحات المتقدمة بفترة من الزمن من قبل بعض المفكرين والخبراء والاستراتيجيين السياسيين والأمنيين المتنفذين - وإن كان من غير قصد - أثراً بالغاً في التوطيد لهذه النظرية.

ومن هؤلاء جون باكن (John Bachan) الذي عمل عميداً في المخابرات البريطانية في بداية القرن الماضي، وألف رواية طويلة سنة 1916م، تحت اسم المعطف الأخضر أو العباءة

¹ التوبجري، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، ص 13، 12،

² هيجل (1770-1831م)، فيلسوف الماني، قال ان الكائن والفكر شيء واحد هو الفكرة، والفكرة تتطور على مراحل، المنجد في الاعلام، مجموعة مؤلفين، المساهمون في التحرير عبد الله العلايلي وآخرون، ص 606، ط 19، بيروت: دار المشرق، 1992م.

³ دارون (تشارلس)، (1809-1882م)، انجليزي عالم بالطبيعة، صاحب نظرية التطور المنجد م، ص 238.

⁴ ماركس (كارل)، (1818-1883م) فيلسوف الماني يهودي الاصل سياسي وصحفي ومنظر اجتماعي يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية. wikipedia org.

⁵ عمارة، محمد عمارة، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام ص 62، 63 ط 2، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، (1427هـ - 2007م) .

الخضراء (Green Mantle)، إذ حذر من الإسلام فقال " الإسلام عقيدة محاربة تمجد الحرب، وما زال الملاً أو الشيخ يقف فوق منبر الوعظ، وهو يحمل في إحدى يديه المصحف وفي اليد الأخرى سيفاً مشهوراً، وكأنه عهد مقدس يدفع الفلاحين والقرويين في أقصى نقاط العالم، لأن يضحوا بأرواحهم في سبيل الجنة، فما الذي تنتظره بعد هذا يا صديقي؟ فسرعان ما تتكشف لنا الأمور هناك عن جحيم متأجج ¹.

ونبه باكن وبلغة تحذيرية من قيام ثورة إسلامية عارمة تنبأ بها بناء على تقارير حصل عليها من معاونيه من معظم أماكن العالم على حد قوله ². وعبر العالم البريطاني أرنولد توينبي ³ (Arnold Twinby) وهو من أكبر علماء الاجتماع الغربيين في مجموعة محاضرات ألقاها بعنوان صدام الحضارات عام 1947 ⁴، عن قلقه من نهوض ما أسماه "الوحدة الإسلامية الجامعة" من سباتها، ومن استثارة الروح العسكرية والقتالية في الإسلام واستشهد بحوادث من التاريخ، كان فيها الإسلام دافعاً ومحركاً نحو الفتح والتحرير، كما حذر من ذلك اليوم القادم الذي ينهض فيه الإسلام لأداء دوره التاريخي من جديد ⁵.

وحذر ريتشارد نيكسون (Richard Nixon) (1913-1994م) الرئيس الأمريكي لفترة (1969-1974) وهو مفكر استراتيجي كبير، من أن العالم الإسلامي سيتحد، ويشكل قوة متحدة و متعصبة وأن سكانه متزايدي العدد، وقوته المالية كبيرة، مما يجعل التحدي كبيراً للغرب. وأكد على أن الإسلام والغرب نقيضان، وأن المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه معسكران لا يقبلان التصالح، دار الإسلام ودار الحرب، وتنبأ بأن ما أسماه " قوى الإسلام الأصلي " سوف تنظم ثورة على امتداد العالم الإسلامي، لتحقيق تفوقها على الآخرين، مما يبرز الحاجة الملحة إلى عقد تحالف بين الغرب والسوفييت لمواجهة هذا الخطر على حد زعمه ⁶، وتطرق إلى ما أسماه " الأصوليين الإسلاميين المتطرفين " فقال: " إنهم يتحركون بدافع من كراهية مطلقة للغرب، وبتصميم على استعادة تفوق الحضارة الإسلامية عن طريق بعث الماضي، إنهم يعملون لفرض أحكام الشريعة ... إنهم غير محافظين بل ثوريون " ⁷.

¹ مهاجراني، السيد عطا الله، الإسلام والغرب (ترجمة عادل عبد المنعم سويلم)، (مراجعة وتقديم: محمد السعيد جمال الدين)، ص22، ط1، القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، 2006م.

² مهاجراني، م.ن، ص22.

³ ارنولد جوزف توينبي (1889-1975م) من أشهر المؤلفين في القرن العشرين من أهم أعماله "دراسة للتاريخ" wikipedia org.

⁴ www.islam online.net/English Euro, pian muslims /art/2005/12/10 .

⁵ مهاجراني، م.س، ص22.

⁶ نيكسون، ريتشارد، أمريكا والفرصة التاريخية (كيف تواجه أمريكا الدولة العظمى الوحيدة التحديات العالمية الراهنة)، (نقله إلى العربية محمد زكريا إسماعيل)، ص187، ط1، بيروت: مكتبة بيسان، 1992.

⁷ نيكسون، م.ن، ص193.

وساهم المستشرق البريطاني ذو الأصول اليهودية برنارد لويس (Bernard Lewis) في إشاعة فكرة " صدام الحضارات " من خلال مقاله المعروف بـ " جذور السخط الإسلامي " الذي ألقاه سنة 1990 وقال فيه: " ينبغي أن يكون واضحاً الآن، أننا نواجه شعوراً وحركة يتجاوزان كثيراً مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تجسدها، ولا يقل هذا عن كونه صداماً بين الحضارات. إنه رد فعل غير عقلاني ولكنه مرتبط بخضم قديم لتراثنا اليهودي المسيحي ولما نحن عليه في الحاضر وضد توسعها معاً"¹.

ففي هذا المقال استخدم لويس مصطلح صدام الحضارات فيكون بهذا أسبق إليه من هنتجتون، وذكر فيه أن عوامل الصدام تكمن في عداة المسلمين التاريخي لما أسماه بالتراث اليهودي المسيحي، ولرفض المسلمين السيطرة والنفوذ والتوسع الغربي².

كما أظهر الأمين العام لحلف الناتو مانفريد فورنر (Manfred Worner) في رسالته الموجهة إلى الحلف عام 1990م، التي قال فيها: " تنشأ على طول الحدود الجنوبية لبلدان الناتو كتلة من التوترات، تمتد من المغرب حتى الشرق الأوسط ... وتعاني المنطقة مشاكل اقتصادية متأصلة ستؤدي حتماً إلى مواصلة تفاقم عدد السكان وإلى نشوء صراعات حول الموارد وإلى زيادة التعصب الديني والإرهاب "³.

كما استبدل القائد الأعلى السابق للناتو جون كالفان بعد انتهاء الحرب الباردة الإسلام بـد الحلف الاشتراكي كعدو بديل، فقال عام 1991م: " عرف هذا القرن الذي يشرف على الأفول أطول مواجهة بين الغرب و الإسلام، طالت أكثر من 1000 سنة امتدت منذ الحروب الصليبية إلى العصر الحديث وبعد أن أنهى الغرب الحرب الباردة ها هو الصراع يعود بالنسبة له إلى محوره الرئيسي، ألا وهو المجابهة مع الإسلام "⁴.

¹ . Bernard Lewis, The Roots of the Muslim Rage, Atlantic Monthly, volume 226, no,3(September 1990). p.p(47-60) (الانترنت)

² سعدي، محمد سعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصامويل هنتجتون، ص11، د.ط، المغرب إفريقيا الشرق، سنة 2006م، وانظر شليبي، السيد أمين، نظرية صدام الحضارات، مجلة الهلال عدد 11، ص28 - 36، القاهرة، نوفمبر تشرين ثاني، 2005م.

³ سعدي، محمد، الجنوب في التفكير الإستراتيجي الأمريكي: نموذج أطروحة صدام الحضارات، المستقبل العربي، العدد 236، ص 68، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، شهر 10/1998 م. نقلاً عن هاينس دينز فينتر، هل يشكل الإسلام السياسي خطراً على أوروبا؟، (ترجمة صبيحة مشورب)، النهج، العدد 40، ص 237، صيف 1995م.

⁴ المكان نفسه

وعلى الرغم من مكانة وأثر التصريحات السابقة، إلا أنها لم تلق الرواج الكبير الذي حظي به هنتجتون في نظريته، وإن كانت تعد بمثابة الأساس والدعامة لها، ولعل الفترة الزمنية التي برزت فيها نظرية هنتجتون كان لها الأثر الكبير في نشر ورواج نظريته، إذ خرج علينا بها عام 1993 بعد انتهاء الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفياتي، وبقاء الولايات المتحدة كقطب أوحده في هذا العالم، وبعد أن اعتاد الناس على وجود قطبين اثنين مما سهل وجود عدو أو (قطب مفترض) بديل. وعلى هذا لاقت نظرية هنتجتون الأثر والجدل الكبير.

كما تزامنت نظرية هنتجتون مع تفجير مركز التجارة العالمي في شباط / فبراير 1993م، والذي أدين فيه عشرة إسلاميين مما ضاعف من قلق الرأي العام الأمريكي.

وأخذ الأمر أبعاداً خطيرة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001م من خلال تشجيع وترويج بعض السياسيين والمراكز الإستراتيجية والدراسات الغربية لفكرة وجود صراع بين الغرب والإسلام¹.

ومن خلال ربط الإسلام بالإرهاب والعنف مما أعاد بقوة نظرية هنتجتون للتداول وأوجد بعدها مقالات عديدة تنثي على نبوءة هنتجتون ورؤياه في الصراع القادم وعلى أنه حقيقة لا تقبل الجدل²، ناهيك عن العمليات التفجيرية التي تحدث بين الفينة والأخرى في مناطق متعددة من العالم.

ومن جانب مقابل كان للدعم الغربي اللامحدود للكيان الصهيوني على طول فترة الاحتلال لفلسطين وما تعرض له المسلمون في البوسنة والهرسك من حالات إبادة وما فرضه الغزو للعراق وأفغانستان واستخدام الدول العظمى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية المعايير المزدوجة فيما يختص بالقضايا الإسلامية إضافة إلى نشر الرسوم المسيئة للرسول - عليه السلام - كل ذلك كان له أثراً بالغاً في نشر وتسليم الكثيرين بنظرية هنتجتون في الصدام.

¹ سعدي، حول صراع الحضارات، ص15، وجرجس، فواز، الأمريكيون والإسلام السياسي: تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية، المستقب العربي، العدد 217، ص12 - 14، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، آذار مارس، 1997م.

² عوض، ريتا، صورة العرب والإسلام في الغرب: كيف يعاد تشكيلها، شؤون عربية، العدد 109، ص122، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ربيع 2002م.

العلاقة التاريخية للحضارات

لقد سجل التاريخ في جملة ما حمل مما يخص العلاقات الحضارية بين الغرب، والشرق الإسلامي حقبات من السلام والتعاون التجاري المثمر، ومراحل من التفاعل الفكري والحضاري¹.

فما من حضارة نهضت إلا وأخذت من أخرى بل وتفاعلت وتبادلت الإخصاب وإياها² مع إبقائها بسمة تميزها بين الحضارات العالمية³ وما من أمة لها تاريخ عريق إلا وأعطت كما أخذت من ذلك التراث، وإن الأمم تستفيد في باب الحضارة على الرغم منها وعلى الرغم ممن يفيدها⁴.

لدرجة انه يمكن اعتبار التواصل بين الحضارات سمة من سمات الحضارات ، وقد اطلق على مجموع الانجازات البشرية المتراكمة بالحضارة الانسانية وتحقق ذلك التواصل من خلال وسائل عديدة منها التبادل التجاري والانتشار التدريجي والطبيعي للعلوم ومن خلال الهجرات الجماعية والفردية والغزو لمناطق اخرى قد تكون أعلى حضارة أو أقل⁵.

فقد استفادت الحضارة الإسلامية بداية مما خلف من حضارات في جزيرة العرب. خاصة في أطرافها الشمالية والتي كانت جذر حضارة اليونان والرومان، ومع دخول عهد الفتوحات وإتساع رقعة الدولة الإسلامية، وما نتج عنها من إنفتاح كبير من الحضارات والثقافات والعلوم أمام المسلمين.

فغدت الحضارة الإسلامية جمعا للعلوم السريانية والهندية والصينية والفارسية واليونانية إضافة إلى الحضارات العربية القديمة⁶، وقد تمكن المسلمون من استيعاب تلك الحضارات

¹ ميكال، أندريه، وشفالبييه، دومنيك، وفلوز، عز الدين، العرب، الإسلام وأوروبا، (إشراف عادل إسماعيل) ، (ترجمة منير إسماعيل وهاشم صالح)، ص 16، بيروت: مركز الحريري الثقافي سنة 1993م (سلسلة دراسات عربية).

² شفيق، منير، الإسلام في معركة الحضارة، ص 62، ط1، بيروت: دار الكلمة للنشر، 1981م

³ العقاد، عباس محمود، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص 22، ط2، القاهرة : دار نهضة مصر، 1998م

⁴ العقاد، م.ن، ص134

⁵ العولمة والهوية الثقافية ، حوار الثقافات ام صراعها ؟ ملاحظات منهجية : الحوار كشكل من اشكال الصراع ، فوزي منصور، (إشراف جابر عصفور)، ص225، د.ط ، القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة ، 12-16 ، ابريل 1998م.

⁶ عثمان، علي ، تأملات في التبادل والصراع الحضاري والفكري بين العرب والغرب، (مراجعة: عبد الرحمن عياد) ، ص16، 17، د.ط ، القدس: مطبعة القدس العربية، 1975م

وتطويرها وصهرها وطبعها بالطابع الإسلامي، وذلك في إطار التزاوج والتلاحم بين الحضارات المشتركة للإنسانية جمعاء¹.

وفي الوقت الذي كانت فيه الحضارة الإسلامية قد بلغت مراحل متقدمة من التطور والإزدهار، كانت أوروبا تعاني من وطأة التخلف العلمي، والركود والإنحطاط الحضاري²، فكانت في فوضى سياسية بفعل الغارات البربرية، وفوضى اجتماعية بفعل النظام الإقطاعي، وفوضى دينية، بفعل الصراع البابوي الإمبراطوري حول السلطة، وما أن أفاقت أوروبا من هذه الفوضى الشاملة، والعصور المظلمة في أواخر القرن الحادي عشر، حتى وجدت نفسها أمام حضارة إسلامية عظيمة، فأقبلت عليها³ واستقت من معينها الحضاري، من خلال المراكز الحضارية الشهيرة كالأندلس التي اشتهرت بالجامعات والمدارس، فكانت محط أنظار الأوروبيين ومصدر إشعاع فكري وحضاري لمدة ثمانية قرون (93-898 هـ - 711-1492م)⁴.

كما تعد صقلية وجنوبي إيطاليا مركز احتكاك جغرافي وتاريخي بين الحضارة الإسلامية والغرب الأوروبي، حيث كانت صقلية في أوج عظمتها، فانسابت إليها خلال أكثر من قرنين من الزمان - منذ أن فتحها المسلمون سنة 212 هـ إلى الغزو النورماندي⁵ سنة 484 هـ - ألوان الثقافة والعلوم من العالم الإسلامي فقامت فيها حضارة رائعة زهت بعلومها وتجاريتها وصناعاتها، واستمرت في الإزدهار حتى بعد احتلال النورمانديين لها⁶، الذين سرعان ما تذوقوا الحضارة الإسلامية وعدلوا عن عدائهم للمسلمين، فسمحوا ببقاء جالية إسلامية في صقلية تتمتع بشعائرها ونشاطها العلمي والصناعي⁷.

¹ خنفر، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 22

² حلاق، حسان، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص10، د.ط، د.م، الدار الجامعية سنة 1986م

³ عثمان، تأملات في التبادل والصراع الحضاري، ص 17

⁴ أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص588، ط1، دمشق: دار الفكر، (1417هـ - 1996) وانظر المبارك، هاني، وأبو خليل، شوقي، دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، ص 51-52، ط1، دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر (1417هـ - 1996م)، والطويل، توفيق الطويل، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية (دراسة مقارنة) ص 159-165، د.ط، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د.س.

⁵ النورمان: عناصر مسيحية من الشمال الأوروبي استولوا على صقلية من أيدي الفاطميين. انظر: التليسي والذويب، تاريخ

الحضارة العربية الإسلامية، ص352

⁶ أبو خليل، م.س، ص 588-589

⁷ أبو خليل، م.ن، ص 589 وانظر: ابن جبير، محمد بن أحمد بن الجببر، رحلة ابن جببر، ص 297-299، د.ط، بيروت: دار صادر، د.س.

وكان لـ " فردريك الثاني"¹، فضل كبير في نشر الحضارة الإسلامية في أوروبا، فشجع الترجمة من العربية إلى اللاتينية واليونانية، والإيطالية الدارجة²، وساعد مدرسة " سالرنو " الطبية التي نشرت الطب العربي الإسلامي، وأسس جامعة "نابولي" منارة علم للحضارة الإسلامية جنوبي إيطاليا³، وتعد مصر مركزا تجاريا نشطا ساعدت في نقل الحضارة الإسلامية إلى الكثير من المدن الأوروبية⁴، إضافة إلى المناطق التجارية الأخرى الممتدة على طول نقاط التماس وقد وصفت المستشرقة الألمانية الشهيرة، زيغرد هونكة الحركة التجارية وقتذاك بقولها: " أنه كان للشرق حينئذ تجارة واسعة المدى مترامية الأطراف تكاد تخنفي البلاد المسيحية في ظلها"⁵.

وقد رت عوائدها بالآلاف بل بالملايين من العملة العربية وذلك في فترة ما بين القرنين التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلادي⁶.

وكان للحروب الصليبية ومجيء الصليبيين إلى الشرق الإسلامي واستقراهم بها زهاء قرنين من الزمان القرن (5-7 هـ ، 11-13م) أثرا بالغاً في فتح عيون الغرب عما عند الشرق من حضارة وتقدم، فتم إنهاء عزلة الغرب الأوروبي، وكون عندهم حالة من اليقظة التامة، مكنتهم من القيام بالنهضة العلمية الشاملة⁷.

وكان لهذا التفاعل والاندماج أثرا بالغاً في تقارب الثقافات وتداخلها حينذاك خاصة الثقافتين الإسلامية والمسيحية، وقد عد هذا التقارب والتداخل بمثابة العمود الفقاري في تكوين أوروبا الحديثة⁸.

¹ فردريك الثاني (1194-1250م) امبراطور الرومانية ملك صقلية، (1198-1250م)، تصارع مع البابوية من اجل السيطرة . على إيطاليا، قاد الحملة الصليبية السادسة wikipedia org .

² عثمان، تأملات في التبادل والصراع، ص 27

³ أبوخليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص 589، وانظر عثمان ، م.س، ص 27

⁴ عثمان، م.ن، ص 28

⁵ هونكة، زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوروبا ، (نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال شوقي) (راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري) ص 27، ط 8، بيروت: دار صادر ودار الأفاق الجديدة، 1993 م

⁶ هونكة ، م.ن ، ص 28

⁷ أبو خليل، م.س، ص 589 - 590، عثمان، م.س، ص 28، والتليسي والذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص 353

⁸ مظهر ، جلال، مآثر العرب على الحضارة الأوروبية، (تقديم كمال الدين رفعت وسعد عفرة)، ص 24، ط 1، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1960م

مما حدا بالكثير من الكتاب والمؤلفين الغربيين بالاعتراف بدور المسلمين في تكوين حضارتهم وكان من هؤلاء ول وايريل ديورانت¹ إذ قال: " فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظمتنا شأنه، فإننا بذلك نعتزف بما علينا من دين لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوروبية والأمريكية، وهو دين كان يجب أن يؤدي من زمن بعيد"².

وكما سادت علاقات إيجابية بين الغرب والعالم الإسلامي، فقد سادت علاقات سلبية كذلك، تمثلت في المجابهات والأزمات و الحروب المدمرة استمرت قرون عديدة، كان أولى المجابهات الكبرى في النصف الأول من القرن السابع، حين اصطدم المسلمون الفاتحون بجيوش بيزنطة في بلاد الشام والأناضول والقسم الشرقي من مياه المتوسط³، ثم في مطلع القرن الثامن قام المسلمون في إفريقيا الشمالية باتجاه الشمال نحو الأندلس⁴ وصقلية⁵ واستمر الوجود الإسلامي في إسبانيا حوالي ثمانية قرون وفي صقلية نحو قرنين، غذته موجات كبيرة من المهاجرين نتجت عن النمو الديمغرافي آنذاك في الشمال الإفريقي⁶، وكان للقيم الروحية والفكرية أثرا بالغا في تكوين حضارة إسلامية زاهرة، في تلك البلدان تم نقلها إلى أوروبا كما أسلف ذكره.

أما المرحلة الثانية فكانت بالاتجاه المعاكس فبعد النصف الثاني من القرن الحادي عشر، قام النورمانديون بالاستيلاء على صقلية عام 1061، وعبور البحر وتعقبوا المسلمين إلى تونس وطرابلس عام 1146م، وشهدت تلك الفترة ما يعرف بحركة الاسترداد المسيحية في إسبانيا، وقد نجحت في تحقيق بعض النتائج الحاسمة.

¹ ول ديورانت هو ويليام جيمس ديورانت، (1885-1981م) فيلسوف ، مؤرخ، كاتب أمريكي، من أشهر مؤلفاته قصة الحضارة ، والذي شاركته فيه زوجته اريل، wikipedia org

² ديورانت، قصة الحضارة، م1، ج2، ص 10

³ ميكال، العرب ، الاسلام واروبا، ص16 وانظر: حتّي، فيليب ، وجرجي، ادورد، وجبّور، جبرائيل، تاريخ العرب، ص 203-217، ط12، بيروت: دار الكشاف، 2007م. والبلاندي، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ)، فتوح البلدان، ص 71-92 ، ط1، (منشورات محمد علي بيضون)، بيروت: دار الكتب العلمية، (1420هـ - 1983م).

⁴ فتحها طارق بن زياد، سنة (92 هـ - 711م) ، البلاذري، م.ن، ص228-233

⁵ بدأ غزو صقلية عام 827 واستمر حتى فتحت آخر مدينة " تورميينا " عام 902 ، انظر: حتّي، ومجموعة، تاريخ العرب، ص687-689

⁶ ميكال، ومجموعة، م.س، ص 16

ومهدت لدعوة الحملات الصليبية¹ والتي ابتدأت نهاية القرن الحادي عشر الميلادي - وتعتبر ذروة الإحياء الديني الذي بدأ غرب أوروبا أثناء القرن العاشر الميلادي²، وكان لهذه الحملات أهدافا دينية معلنة، لعبت فيها البابوية دورا بارزا، كما كان لها أهدافا ومطامع دنيوية، تتمثل في النفوذ والسيطرة والتوسع، ولملكية الأرض والثروات³. فاستمت بطابع عسكري واستيطاني معا، وتدفقت باسم الدين موجات من المحاربين من البلدان الأوروبية، كانت أولاها أبعدا شأنا، إذ تم فيها السيطرة على القدس وطول الساحل الشرقي للبحر المتوسط⁴، وقاد بعض ملوك أوروبا وأمرائها وكبار نبلائها تلك الحملات التي بلغ عددها ثماني استمرت طوال قرن ونصف، ترفدها أمواج متتالية من المهاجرين المدنيين بدوافع دينية وتجارية⁵.

وما أن استكمل قادة المسلمين البحث عن أسباب القوة، والعمل على التوحيد السياسي والديني، ونبذ الفرقة، وإعلان الجهاد، حتى أحرزوا من الانتصارات ما أدى إلى توحيد مصر والشام وأعالي الجزيرة، بذلك تم حصر الصليبيين على الساحل، وتيسر لصالح الدين⁶ عندئذ أن يقهر الصليبيين ويحقق الانتصارات عليهم وان يسترد معظم ما استولوا عليه من الأراضي واستمر على ذلك الأيوبيون والمماليك حتى تمكنوا من قطع دابر الصليبيين من الشرق بسقوط آخر معاقلهم في عكا سنة 1291م⁷.

وقد رسّخ الأتراك السلاجقة وجودهم بعد ذلك، في بلاد الأناضول وتمكنوا من تأسيس دولة قوية تمكنت من السيطرة على القسطنطينية سنة 1453، كما دخلت جحافل العثمانيين إلى

¹ سميت بذلك نسبة إلى الصليب إذ رسموا إشارة الصليب على أنفسهم وجعلوه شعارا للعهد المقدس الذي قطعه على أنفسهم، انظر: الزبيدي، مفيد، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية ص 58-60، ط1، عمان: دار أسامة، 2004م.

² باركر، ارنست، الحروب الصليبية، (نقله إلى العربية: السيد الباز العريني)، ص9، د.ط، بيروت: دار النهضة، 1967م
الزبيدي، م.س، ص 37-43، وانظر: عوض، محمد مؤنس، الحروب الصليبية: دراسات تاريخية ونقدية، (تقديم سعيد عبد الله البيشاوي)، ص 186، ط1، عمان: دار الشروق، 1999م

⁴ ميكال، ومجموعة، م.س، ص17، وانظر: توينبي، أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، (ترجمة فؤاد محمد شبل)، (راجعته احمد عزت ومحمد شفيق)، ج 3، ص 351، ط1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، سنة 1964م، والزبيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ص62، 72.

⁵ ميكال، ومجموعة، م.س، ص 19.

⁶ صلاح الدين الايوبي هو يوسف بن ايوب بن شاذي، ابو المظفر، (532-589هـ)، لقب بناصر الدين، من قبيلة الهذانية من الاكراد ولد بتكريت فتح بيت المقدس، الزركلي، الاعلام، ج8، ص220.

⁷ العريني، السيد الباز العريني، مقدمة الحروب الصليبية، لآرنست باكر، ص7، د.ط، بيروت: دار النهضة، 1967م

أواسط أوروبا، واستقرت في البلقان، وأصبح البحر المتوسط ميدانا فسيحا لأساطيل الترك والمماليك في حوضه الشرقي، وللجزائريين والمغاربة في حوضه الغربي¹.

وبعد انكفاء الفرنجة عن الشرق، والعرب عن الأندلس، أصبحت العلاقات بين أوروبا والعالم الإسلامي تتميز بالسلام النسبي، نشطت فيها الحركة التجارية وتحققت فيها فوائد ومكاسب لكلا الجهتين لفترة امتدت على مدى القرنين السادس والسابع عشر².

ومع انطلاق الثورة الصناعية في أوروبا في القرن الثامن عشر نهض اقتصادها، وعاش الأوروبيون نتيجتها حياة رخاء وازدهار، أدت إلى نمو ديمغرافي في معظم بلدان القارة، فتوسعوا في ما وراء البحار بحثا عن أسواق لمنتجاتهم، واتجهوا في موجات كبيرة منهم نحو إسبانيا وإفريقيا كانت في معظمها استيطانية النزعة والاهداف وهكذا انطلقت حركة الاستعمار الأوروبي منذ منتصف ذلك القرن، وتعد حملة نابليون بونابرت³. على مصر سنة 1798م منطلقا لتلك الحركة، وقد شجعهم على ذلك ظهور علامات الضعف والانحلال على الإمبراطورية العثمانية آنذاك⁴.

فأخذت المنافسة بين الدول الاستعمارية الكبرى للسيطرة على خيرات ومقدرات العالم الإسلامي تشتد شيئا فشيئا - وبالذات بين انكلترا وفرنسا - خاصة بعد أن تم فتح قناة السويس عام 1860م وما تبع ذلك من فوائد تجارية واقتصادية، مما زاد في أهمية هذه البلاد الاستراتيجية.

واستطاعت تلك الدول أن تستعمر العالم الإسلامي وأن تضع يدها على مقدراته، وأن تتقاسم ثرواته، وتقسم بلدانه، وتمكن أصحاب تلك البلاد من القيام بثورات عديدة قدموا خلالها تضحيات جسام، تمكنوا من خلالها طرد المستعمر الغاصب عن أرضهم وإن بقيت بعض آثار هذا الاستعمار موجودة كبقاء أسباب الفرقة والتشتت بين أبناء العالم الإسلامي⁵، ومن زرع للكيان الصهيوني الغاصب في أراضي فلسطين الجاثم على صدور أبنائها حتى اليوم، وقد أكد

¹ ميكال، ومجموعة، العرب الاسلام واوروبا، ص21

² ميكال، م.ن، ص21، 22

³ نابليون بونابرت (1769-1821م) ، اميراطور فرنسا اشتهر في حملة ايطاليا الأولى والثانية ، المنجد في الاعلام، ص567.

⁴ ميكال، م.ن، ص22-23. وانظر: حتّي، تاريخ العرب، ص848-849

⁵ حتّي، م.ن، ص849، 848.

ذلك جون اسبيزيتو فقال: " إذ يبقى موضوع الاستعمار الأوروبي و الإمبريالية الأوروبية ووقعهما في الماضي، وتركتهما المستمرة، موضوعا حيا في سياسة الشرق الأوسط، وعلى امتداد العالم الإسلامي من شمال إفريقيا إلى جنوب شرق آسيا"¹.

³ اسبيزيتو، جون اسبيزيتو، الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، (ترجمة : هيثم فرحات)، ص 61، ط1، سورية: دار الحوار، 2002م

الفصل الثاني

نظرية الصدام (الماهية والردود)

وفيه

تمهيد

المبحث الأول: ماهية نظرية الصدام

المبحث الثاني: الردود على النظرية

تمهيد:

بعد تآكل الكتلة الاشتراكية بزعامة الإتحاد السوفييتي، وانهياره كقوة عظمى عام 1991، أصدر المفكر الأمريكي ذو الأصول اليابانية فرانسيس فوكوياما¹ كتابه الذائع الصيت، "نهاية التاريخ والإنسان الأخير". إذ طور فيه أفكاره النظرية² حول "نهاية التاريخ" والتي سبق أن عرض خطوطها الأولى عام 1989م. بصيغة تساؤلية حذرة، في المجلة اليمينية (The National Interest).³

وقد أعلن فوكوياما بنظريته انتصار الديمقراطية⁴ الليبرالية⁵ على الأيدلوجيات المنافسة، كالملكية الوراثية، والفاشية⁶، والشيوعية⁷، مما قد يشكل منتهى التطور الأيدلوجي للإنسانية، و"الشكل النهائي لأي حكم إنساني"، أي أنها من هذه الزاوية "نهاية التاريخ".⁸ ولا يقصد بالتاريخ هنا المفهوم التقليدي السائد لمدلول هذه الكلمة الذي يدل على الحوادث المتعاقبة وإنما يتعدى ذلك ليدل على أنها عملية مفردة متلاحمة وتطورية أخذت بالاعتبار تجارب

¹ . ولد في 27 تشرين أول 1952م، حصل على الدكتوراة في الفلسفة السياسية من جامعة هارفارد، عمل في قسم العلوم السياسية بمؤسسة راند RAND، أكبر المؤسسات البحثية العالمية والقريبة من وزارة الدفاع الأمريكية، كما عمل في وزارة الخارجية الأمريكية. النقيذ، محمد سيف حيدر، نظرية "نهاية التاريخ" وموقعها في إطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد، ص47، 48، ط1، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2007م.

² . له أفكار نظرية أخرى تتعلق بالمستقبل السياسي للمرأة، إذ تنبأ بأن تزايد سلطة المرأة في الغرب، سيجعل تلك الدول تفتح للسلم وليس للحرب، ذلك لأن دوافع العنف والعدوان ليس من طبائعها على حد قوله. عنارة، هالة، تنبؤات فوكوياما في مهبط الرياح، الهلال، عدد4، ص64، القاهرة، إبريل، 1999م.

³ . فوكوياما، فرانسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، (ترجمة فؤاد شاهين، رضا قاسم، رضا الشايبی)، (الإشراف والمراجعة: مطاع صفدي) ص23، د.ط، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993م.

⁴ . الديمقراطية كلمة مركبة أصلاً من كلمتين يونانيتين: ديموس، أي الشعب، وكراتوس أي الحكم ومعناها الحرفي في السياسة هو حكومة الشعب، وتشمل كل نظام سياسي يقوم على حكم الشعب لنفسه، والديمقراطية الحديثة تقسم إلى شعبيتين كبيرتين أولاهما الديمقراطية التقليدية الغربية وعلى مبادئها قامت الثورتان الفرنسية والأمريكية وهي تستند على مبدأ سيادة الشعب ومبدأ كفالة الحريات الفردية وثانيهما الديمقراطية الشعبية (ديمقراطية المعسكر الشرقي).

الموسوعة العربية الميسرة، (إشراف محمد شفيق غريبال) ج1، ص837، د.ط، القاهرة: دار الجيل والجمعية المصرية للنشر والمعرفة، 1416هـ-1995م).

⁵ . الليبرالية: حماية حقوق الأفراد والأقليات، فوكوياما، م.ن، ص70.

والليبرالية الجديدة نموذج سياسي واقتصادي يعرف به عصرنا، تتعلق بالسياسات والعمليات التي تتيح لفئة من الناس تحقيق أقصى الأرباح. أصبحت خلال العقود الأخيرة الاتجاه السياسي والاقتصادي المهيمن كونياً. ماكشيسفي، روبرت، مقدمة الربح فوق الشعب. الليبرالية الجديدة والنظام العالمي، نواعم تشومسكي، (ترجمة مازن الحسيني) ص9، ط1، رام الله: دار التنوير 2000م.

⁶ . الفاشية: يقصد بها النظام السياسي والاقتصادي الذي أقامه موسوليني بإيطاليا، وفي معناها الأوسع تشمل مثلاً الاشتراكية القومية، وهي رد فعل سلبي للاشتراكية والمساواة والديمقراطية. الموسوعة العربية الميسرة، م.س، ج2، ص1266.

⁷ . شيوعية: في صميمها نظام اجتماعي تكون فيه الملكية في يد المجتمع بأكمله، والشيوعية بهذا المعنى قديمة، وتعرف اليوم بظهور البيان الشيوعي الذائع سنة 1848م. الذي كتبه كارل ماركس وفردرخ أنجلز، الموسوعة العربية الميسرة، م.ن، ج2، ص1110.

⁸ . فوكوياما، م.س، ص23.

الشعوب على مر العصور وهذه العملية تجد منتهاتها في الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق¹.

فلا تقتصر نظرية "نهاية التاريخ" على المظهر السياسي المختزل في الديمقراطية الليبرالية، والذي أعلن عن صلاحيتها بقوله: "إنه بالإمكان الادعاء أن الديمقراطية الليبرالية كانت خالية من هذه التناقضات الأساسية.... فالمثال الأعلى للديمقراطية الليبرالية لا يمكن تحسينه على صعيد المبادئ"² بل تشمل أيضاً الليبرالية الاقتصادية والتي تقوم على الملكية الخاصة وقوانين السوق الحر³. وأكد فوكوياما على طردية العلاقة بين التطور الاقتصادي والديمقراطية بقوله "هي أبعد ما تكون عارضة"⁴.

وقد ساهم الوضع العالمي في مطلع التسعينات من القرن الماضي بقوة في إذكاء الجدل والنقاش حول هذه النظرية، إلى أن خرج صموئيل هنتجتون بنظريته عن الصدام الحضاري، راداً على فوكوياما بشكل مباشر وأحياناً بشكل غير مباشر؛ ليدحض قوله ويحول الأنظار إلى نظريته الجديدة، وليثار حولها الكثير من الجدل والنقاش فما ماهية نظرية هنتجتون؟ وما مدى ملاءمتها للواقع؟! هذا ما سأحاول التعرف عليه في هذا الفصل.

¹ النقيذ، م.س، ص 17، وفوكوياما، م.س، ص 23.

² . فوكوياما، م.ن، ص 23

³ . فوكوياما، م.ن، ص 70..

⁴ . فوكوياما، م.ن، ص 124.

المبحث الأول : ماهية نظرية صدام الحضارات

وضع هنتجتون نظريته بعد نهاية الحرب الباردة، متأثراً بتوماس كون في دراسته الشهيرة "بنية الثورات العلمية" والتي تفيد بضرورة إزاحة النظرية العامة (البردايم)، إذ أصبحت تلك النظرية غير قادرة على تفسير الحقائق الجديدة، واستبدالها بنظرية أخرى تفسر تلك الحقائق.¹

أ- مرتكزات النظرية

مهد هنتجتون لنظريته بالتأكيد، وفي أكثر من موقع على ضرورة وجود الأعداء، وحمل الكره للآخرين، فقال بصريح العبارة: "ليس هناك أصدقاء حقيقيين بدون وجود أعداء حقيقيين. إننا ما لم نكره الآخرين، فلن نستطيع أن نحب أنفسنا" واعتبر وجود الأعداء شيئاً جوهرياً، وأكد على أن أكثر الأعداء خطراً هم الذين يقعون عند خطوط الصدع بين حضارات العالم الكبرى.²

وتقوم نظرية هنتجتون على اعتبار أن السياسة العالمية ستشهد طوراً جديداً من أطوار الصراع، تكون فيه الثقافة هي الباعث الرئيسي فيه، فيحل بذلك الصراع الثقافي أو الحضاري، بدل الصراع فيما كان يعرف بالحرب الباردة، فقال: "والفرض الذي أقدمه هو أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد، لن يكون مصدراً أيديولوجياً أو اقتصادياً في المحل الأول، فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدراً ثقافياً، وستظل الدول/ الأمم، هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات مختلفة وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل.³

واعتبر هنتجتون أن أكثر الاختلافات أهمية أصبحت لا تقوم على أسس أيديولوجية ، أو سياسية أو اقتصادية، بل تقوم على أسس ثقافية بحتة، وأن الشعوب أصبحت تميل إلى التأكيد على ثقافتها، وتحديد هويتها، فباتت تعرف نفسها من خلال النسب العرقي، والدين واللغة،

¹ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، (نقله الى العربية مالك عبيد ابو شهيو ومحمود محمد خلف) ، ص 81، ط1، الفاتح، الجماهيرية العربية الليبية: دار الجماهيرية للنشر، (1429هـ-1999م) ..

² . هنتجتون، م.ن، ص 71.

³ . صدام الحضارات ، الصدام بين الحضارات، هنتجتون ، ص 17، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث، سنة 1995م.

والتاريخ، والقيم، والعادات، وتنحاز إلى الثقافات الغربية التي يوجد بينها وشائج مشتركة، أي تنحاز ضمن الثقافة الأوسع في معانيها.¹

وعلى الرغم من تأكيد هنتجتون على أهمية الدول القومية، باعتبارها وحدات فاعلة في الشؤون العالمية، وإقراره أن سلوكها يتحدد بسعيها نحو القوة والثروة، إلا أنه اضاف بأنه يتحدد أيضا وفقاً للتجاذبات الثقافية، فتكون الثقافة بذلك عاملاً حاسماً موحداً، أو مفرقاً، وأن مجموعة الدول الأكثر أهمية، لم تعد مكونة من ثلاث معسكرات كما في الحرب الباردة، ولكنها تتكون من سبع أو ثمان حضارات رئيسية، وأن الصراعات المحلية التي تكون أكثر انتشاراً وخطورة هي التي تكون من حضارات مختلفة، لأن هذا يتطلب مؤازرة من قبل الدول والمجتمعات المشتركة معها في الثقافة.²

ويعتقد هنتجتون أن الصراع بين الحضارات سيكون آخر مرحلة في سلسلة الصراعات العالمية، فقد انتهى طور الصراعات بين الأمراء والأباطرة والملوك، مع بداية الثورة الفرنسية، ودخل طور الصراع بين الشعوب، وفي سنة 1917 ونتيجة للثورة الروسية حل صراع الأيديولوجيات الذي استمر إلى نهاية الحرب الباردة، وهذه الصراعات تشترك كونها داخل الحضارة الغربية، لتنتقل السياسة الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، كنتاج للتفاعل بين الغرب والحضارات غير الغربية³ فيعيد تشكيل السياسة العالمية من جديد حسب الخطوط الثقافية.

وقد أكد على ذلك في أكثر من موضع كقوله "فالشعوب والدول ذات الثقافات المشتركة تأخذ في الالتقاء، والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تأخذ في التباعد. التحيزات المحددة بالأيديولوجيا وعلاقات القوى العظمى تترك طريقها لتحيزات متحددة بالثقافة والحضارة. إن الحدود السياسية بدأ يعاد رسمها بشكل متزايد لكي تتوافق مع الحدود الثقافية، العرقية والدينية والحضارية. الإلتزامات الثقافية آخذة في أن تحل محل كتل الحرب الباردة".⁴

¹ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة ، ص74، 73.

² هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص74، 75، 90.

³ هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص121، 122.

⁴ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص237.

وأكد هنتجتون أن التسعينات شهدت هيجان أزمة الهوية، لدرجة أن الناس صاروا يتساءلون من نحن؟ وإلام ننتمي؟ وفي التعامل مع هذه الأزمة، المهم عند الشعوب "هو الدم والعقيدة، الإيمان والعائلة، كما وحد التعرف على الهوية من خلال العلاقة بالآخر".¹

وبين أن تفاعلات الصراع في العالم يتحدد وفق استجابات الأمم غير الغربية وردودها على التأثيرات الغربية والتي تحدد في ثلاث طرق. أما الرفض لكل ما هو غربي والبقاء في حالة عزلة، فقال إن قوة الغرب خلال القرن التاسع عشر جعلت من الصعوبة للمجتمعات غير الغربية أن تتبع سياسات اقتصادية شاملة نحو الغرب، كما أدت التحسينات في وسائل النقل والاتصالات إلى زيادة الصعوبة في عملية الرفض الكلي لما يعرف بالتحديث والغربة (أي التمدن على النمط الغربي) ولم يخالف ذلك إلا بعض الجماعات الصغيرة المعزولة. والموقف الثاني هو احتضان كل من التحديث والغربة (الموقف الأتاتوركي) على اعتبار أن التحديث شيء مرغوب فيه، وأن الثقافة المحلية تناقض التحديث، وبالتالي لابد من هجرها واستبدالها بالغربة.²

الموقف الثالث: هو محاولة الجمع بين التحديث وعدم الغربة بالإبقاء على الثقافة المحلية، وهذا الموقف هو الأكثر انتشاراً بين النخب الغير غربية³ وهذا يقود إلى ما أسماه الدولة الممزقة، وهي التي تتطوي تحت حضارة معينة وتتردد في اللحاق بحضارة أخرى، كروسيا المقسمة بين إلحاقها بالغرب وبين إفرادها باعتبارها نواة لحضارة أرثوذكسية أوروبية. وتركيا التي تتجاذب بتاريخها وثقافتها من جهة وطموحها واندماجها في الحضارة الغربية من جهة أخرى، وبمثل هذا التمزق يقال في أمريكا اللاتينية والمكسيك وأستراليا.⁴

ب- بواعث الصدام الحضاري:

بين هنتجتون أن الهوية الثقافية تكتسب أهمية متزايدة، وأنه سيحدث نزاعات على امتداد خطوط التقسيم الثقافية التي تفصل بين الحضارات، وقد ذكر مجموعة عوامل تبعث -حسب رأيه- على القول بصدام الحضارات وهي على النحو التالي:

¹ . هنتجتون، صدام الحضارات واعادة، ص 238. الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ان لم تكن حضارة فماذا نكون ؟

صموئيل هنتجتون، ص 75-76، ط1، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث، 2000م

² . هنتجتون صدام الحضارات واعادة، ص 153-157.

³ . هنتجتون صدام الحضارات واعادة، ص 157.

⁴ هنتجتون صدام الحضارات واعادة، ص 260، 261.

- إن الاختلافات كبيرة وحقيقية بين الحضارات، بما تشمله من قيم وعادات وعلاقات اجتماعية ونظرة إلى الحياة: "إن التهديدات تأتي من الدول التي تمتلك مجتمعاتها ثقافات مختلفة وبالتالي فإنهم لا يفهمونهم ويشعرون بأنهم لا يمكن أن يكونوا موضع ثقتهم"¹ وهذا يؤثر بشكل كبير خاصة في ظل ما يعرف بإعادة إحياء الدين في أواخر القرن العشرين في أماكن كثيرة من العالم، وما رافق ذلك من تقوية للشعور الديني، وانبثاق الحركات الأصولية، مما يعيد تأكيد هذه الاختلافات، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقضايا التأثير والتغيير بشكل متأصل في الاختلافات المتعلقة بالنمو السياسي والاقتصادي². واعتبر حركات الانبعاث "ضد العلمانية وضد العالمية وهي باستثناء مظاهرها المسيحية ضد الغرب"³.

- إن تقهقر القوة الغربية وبديء الثورة ضد الغرب -على حد قوله- جعل المجتمعات غير الغربية تحرك وتصنع تاريخها الخاص بها، بل و تاريخ الغرب كذلك، مما يجعل النظام الدولي يتسع إلى ما وراء الغرب، كما ويجعله متعدد الحضارات.⁴ فيرافق هذا التغيير في موازين القوى التأكيد على الذات الثقافية المتزايدة للمجتمعات الغير غربية ورفضهم المتزايد لثقافة الغرب.⁵

- إن العالم أصبح مكاناً أصغر، وزادت التفاعلات والاحتكاكات بين شعوب الحضارات، مما زاد وعي الحضارات بنفسها وإدراكها للفروق التي بينها وبين الحضارات الأخرى.⁶ يتعزز نمو الوعي بالحضارة نتيجة لازدواجية الغرب، فعلى الرغم من أن الغرب في أوج قوته، فإن هناك ظاهرة العودة إلى الجذور في الحضارات غير الغربية "إن غرباً في أوجه قوته يواجه كيانات ليست غربية ترغب في تشكيل العالم بطرائق غير غربية ولديها الإرادة والإمكانات للقيام بذلك".⁷

- إن التطورات الاقتصادية في شرق آسيا هي الأكثر أهمية وخطورة في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي دائمة الانتشار والتطور إذ أن التقديرات تشير إلى أن الاقتصاد الصيني سيصبح الأكبر في العالم في مطلع القرن الواحد والعشرين، وإن آسيا سيكون فيها تقريباً أربعة من خمسة أكبر اقتصاديات في العالم مما يزعزع استقرار النظام الدولي القائم،

¹ . هنتجتون صدام الحضارات واعادة، ص 90.

² . هنتجتون صدام الحضارات واعادة، ص 79، 140، 141.

³ . هنتجتون صدام الحضارات واعادة، ص 199.

⁴ . هنتجتون صدام الحضارات واعادة، ص 123، الغرب وبقية العالم، ان لم تكن حضارة فماذا تكون، هنتجتون، ص 78، 79.

⁵ الغرب وبقية العالم، ان لم تكن حضارة فماذا تكون، ص 82.

⁶ صدام الحضارات، الصدام بين الحضارات، هنتجتون، ص 20، الغرب وبقية العالم، ان لم تكن حضارة فماذا تكون ص 81.

⁷ . الغرب وبقية العالم، ان لم تكن، ص 81، صدام الحضارات، الصدام بين الحضارات، ص 20-21.

والذي يهيمن عليه الغرب ويلغي القاعدة التي يتغنى بها هنتجتون وهي: "التماثل بين الثروة والغرب"¹.

- إن التحديث لا يصاحب الغربنة²، مما يولد إحياء الثقافات غير الغربية، لما يصاحب التحديث من زيادات في القوة الاقتصادية، والعسكرية، وما يترتب على ذلك من زيادة الثقة بالنفس، والاعتقاد بأفضلية تلك الثقافة على باقي الثقافات، في ظل عدم الاعتراف للغرب، بأنه السبب في التطور والتقدم.³

- بروز النزعة الإقليمية في السياسة العالمية، إذ أصبحت القوى الرئيسة الكبرى، والقوى الفرعية تعيد تحديد مصالحها الأمنية، والسياسية في عبارات إقليمية واضحة، وكذلك التحالفات العسكرية والتجمعات الاقتصادية التي تتطلب المزيد من التعاون والثقة، وهذا يتأتى بسهولة من الاشتراك بالقيم والثقافة، فعلى حد زعمه: "المنظمات ذات الحضارة الواحدة تفعل أشياء أكثر، وهي أكثر نجاحاً من المنظمات ذات الحضارات المتعددة" وقد عد الانسجام والوحدة الثقافية شرطاً ضرورياً للتكامل التجاري والاقتصادي.⁴

- زيادة معدلات النمو السكاني، وبروز ديمغرافي في المراهقين والشباب المسلمين مما لا يقل تعليمهم عن الثانوي، فيساعد في إذكاء فرص الصراع، كما ويصاحب الضغط السكاني ركوداً اقتصادياً يترتب عليه هجرة المسلمين إلى البلدان الغربية، مما يشكل قضية مستعصية، في ظل تباين معدلات النمو السكاني والثقافات بين تلك المجتمعات. "النمو السكاني الإسلامي بالتالي يعتبر عاملاً رئيسياً مساهماً في الصراعات، على طول حدود العالم الإسلامي بين المسلمين، والشعوب الأخرى".⁵

- إن الاختلافات الثقافية غير قابلة للتفاوض أو التحول، ولا تخضع للتسويات والحلول الوسط، بخلاف الاختلافات الاقتصادية التي يمكن أن يتفاوض حولها وغالباً ما يسوى بالتوفيق بينها، وكذلك الاختلافات الأيديولوجية التي يمكن أن تطرح للجدل ان لم تحل⁶، فخلال الحرب الباردة كان بإمكان بعض الدول أن تكون غير منحازة، أو تتحاز وفق رؤيتها لمصالحها، وتمشياً مع أيديولوجيتها، لكن في العالم الجديد ستكون كل دولة ملزمة بالإجابة على السؤال من أنت؟ وبالتالي تحدد مكانها وأعدادها وفق الهوية الثقافية.⁷

¹ هنتجتون صدام الحضارات وإعادة، ص 203، 205، 234، الغرب وبقية العالم ان لم تكن حضارة فماذا تكون، ص 83.

² هنتجتون صدام الحضارات وإعادة، ص 130، الغرب وبقية العالم، ان لم تكن حضارة فماذا تكون ص 81.

³ هنتجتون صدام الحضارات وإعادة، ص 184 - 187.

⁴ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 246، 247، 251-254.

⁵ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 204، 227-231.

⁶ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 245.

⁷ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 237، 238. صدام الحضارات، الصدام بين الحضارات ص 21.

ج- تقسيم هنتجتون للعالم

- قسم هنتجتون العالم إلى سبع أو ثمان حضارات كبرى معاصرة هي:
- 1- الصينية أو الكونفوشيوسية، فقال إن كل الباحثين يعترفون بوجود حضارة صينية متميزة، واحدة على الأقل، يعود تاريخها إلى 1500 قبل ميلاد المسيح -عليه السلام- على الأقل، وهي تمتد إلى فيتنام وكوريا وجنوب شرق آسيا.¹
 - 2- اليابانية: بعض العلماء يجمعون على أن الثقافة اليابانية والصينية تحت عنوان حضارة واحدة، حضارة الشرق الأقصى، وبعضهم يعترفون باليابان كحضارة متميزة، كانت وليدة الحضارة الصينية، وقد ظهرت ما بين 100 - 400 قبل الميلاد.
 - 3- الهندوكية أو الهندية: وجدت في شبه القارة الهندية منذ 1500 سنة قبل الميلاد، وتعتبر الديانة الهندوسية النواة الأساسية لهذه الحضارة.
 - 4- الإسلامية: برزت في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، وانتشر الإسلام بسرعة في مناطق واسعة، ولذلك وجد ثقافات عديدة، وفروع حضارية داخل الإسلام كالعرب والأتراك والفرس والمالايين.²
 - 5- الأرثوذكسية³: العديد من العلماء يفرقون بين حضارة أرثوذكسية تركزت في روسيا وحضارة العالم المسيحي الغربي كنتاج للنسب البيزنطي.⁴
 - 6- الغربية: يؤرخ عادة على أنها برزت منذ 700 أو 800 سنة قبل ميلاد المسيح -عليه السلام- وتشمل أوروبا وأمريكا الشمالية، وبعض الدول التي استوطنها الأوروبيون كاستراليا ونيوزيلانده، وعلى الرغم من أن الخلاف الحضاري كان واضحاً بين أمريكا الشمالية وأوروبا، لدرجة أن البعض اعتبر أن أمريكا لوحدها تشكل حضارة متميزة، واستمر ذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر تقريباً، حيث تحركت أمريكا إلى العالم الخارجي في القرن العشرين، وأصبح هناك تطوراً في الهوية الواسعة مع أوروبا.⁵
 - 7- الأمريكية اللاتينية: أقر هنتجتون أنها وليدة الحضارة الأوروبية، ومع ذلك أقرّ بهويتها المتميزة عن الغرب بفعل تطورها أو سلوكها المختلف عن الغرب، وإن كان ذلك بشكل

¹ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة ، ص 109، 110.

² هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 110، 111.

³ . الأرثوذكسية: كلمة يونانية تعني الرأي المستقيم تطلق على الكنائس الشرقية المسيحية، تمت القطيعة بينها وبين الكنائس الغربية المدعوة الكاثوليكية عام 446هـ/1054م. ، المعجم العربي الأساسي، احمد العايد وآخرون، ص 81، د. ط. دم، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.س.

⁴ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة ، ص 111.

⁵ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة ، ص 111 - 113.

متردد، فقال: "إن أمريكا اللاتينية من الممكن أن نعتبرها إما فرعاً حضارياً داخل الحضارة الغربية أو حضارة منفصلة ذات صلة قريبة جداً من الغرب"¹

8- الإفريقية: قال عنها أنها محتملة، فمعظم علماء الحضارات لا يعترفون بحضارة إفريقية متميزة، وعلى الرغم من كثرة التجاذبات الثقافية التي تعرضت لها الهوية الثقافية الإفريقية، إلا أن الإفريقيين أصبحوا يطورون هويتهم بشكل متزايد.²

واعتبر هنتجتون العالم بمعنى ما عالمان هما: العالم الغربي، الذي يشكل الآن الحضارة المهيمنة، وبقية العالم الآخر الذي لا يشترك فيما بين أعضائه إلا بالقليل.³

وقد حاول هنتجتون إعطاء صورة متماسكة للحضارة الغربية، من خلال ذكره لمجموعة صفات ادّعى أنها تميز تلك الحضارة عن غيرها من الحضارات سمّاها "جوهر الحضارة الغربية" وهي وبوصفه لها كما يلي:

1- الميراث التقليدي (الكلاسيكي): فقد استفاد الغرب كحضارة من الموروث الحضاري السابق، ليشمل الفلسفة اليونانية، والعقلانية، والقانون الروماني، واللاتينية، والمسيحية، واعتبر أن الحضارتين الإسلامية والأرثوذكسية قد استفادت أيضاً من الحضارات السابقة، إلا أن هذه الفائدة لم تكن بنفس درجة نبل الغرب منها.

2- المسيحية الغربية: وتشمل الكاثوليكية والبروتستانتية، وهي الخاصية التاريخية الأكثر أهمية، التي تميز الحضارة الغربية عن باقي الحضارات.

3- اللغات الأوروبية: ويعتبرها هنتجتون العامل الثاني بعد الدين في تميز شعب من ثقافة على شعوب أخرى، فالغرب عنده يتميز عن الحضارات الأخرى بتعدد لغاته.⁴

4- سيادة القانون: إحدى التقاليد القديمة للحضارة الغربية، وقد وضع أساس مبادئ الحكم الدستوري وحقوق الإنسان، وحقوق الملكية ضد ممارسات السلطة التعسفية، وهي بهذا تتميز عن غيرها من الحضارات التي لا تولي لهذا المبدأ اهتماماً.

5- التعددية الاجتماعية: عرف المجتمع الغربي تاريخياً بأنه تعددي، وعرف بنيات المجتمعات المدنية، بخلاف الحضارات الأخرى، مما جعل التعددية الغربية تتناقض مع

¹ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة ، ص 111 ، 112.

² . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة ، ص 114.

³ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة ، ص 93، صدام الحضارات ، الصدام بين الحضارات ، ص 32..

⁴ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة ، ص 149 ، 150.

- فقر المجتمع المدني وضعف الأرستقراطية¹ وقوة الإمبراطوريات البيروقراطية² المركزية، التي وجدت في روسيا والصين والأراضي العثمانية وغيرها.³
- 6- الكيانات التمثيلية: أدت التعددية الاجتماعية إلى ظهور طبقات اجتماعية ومجالس نيابية ومؤسسات أخرى، حيث وفرت أشكال تمثيلية، وتطورت إلى مؤسسات ديمقراطية حديثة لا مثيل لها في الحضارات الأخرى على حد قوله.⁴
- 7- الفردية: اعتبر هنتجتون أن العديد من الخصائص السابقة ساهمت في انبثاق إحساس من الفردية، والتقاليد المتعلقة بالحقوق والحريات الفردية بين المجتمعات المتحضرة، التي تطورت في القرنين الرابع والخامس عشر، بحيث تبقى علامة مركزية مميزة للغرب.⁵

ويرى هنتجتون أن هذه الصفات قد توجد في غير الحضارة الغربية إلا أن انتشارها واجتماعها معاً في الحضارة الغربية يشكل تميز هذه الحضارة عن غيرها، وقد ساعدت هذه العوامل على أن يأخذ الغرب زمام القيادة في تحديث وتطوير العالم.⁶

د- نظرتة للمسلمين:

بين هنتجتون أن الصراع بين الحضارات يختلف في حدته ويتباين في مساحته، إلا أن أكثره عنفاً وتوتراً هو الصراع الذي ينتشر بين المسلمين وغيرهم، واعتبر أن للمسلمين علاقات عدائية وعنيفة "على طول محيط الإسلام، المسلمون لديهم مشاكل للعيش بسلام مع جيرانهم"⁷.

فعلى الرغم من أن المسلمين يشكلون حوالي خمس سكان العالم إلا أنهم أكثر الشعوب التي دخلت في صراعات دموية في أواخر التسعينات، واستدل على ذلك بمجموعة احصاءات استند عليها كقوله إن المسلمين شاركوا في 26 من 50 صراعاً ضمن الحضارة الإسلامية، و15 صراعاً بين المسلمين وغيرهم، بينما كان مجموع الصراعات بين الحضارات الأخرى لا

¹ . الأرستقراطية: باليونانية سلطة خواص الناس وفي العلوم السياسية الحكم بوساطة خير المواطنين لصالح الدولة، فيها ينظر الناس إلى الحكام

كأنهم أصلح الناس لوظيفتهم، قد تركز على الثروة والأرض. ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج1، ص116.

² . البيروقراطية: هي مجموع الهيئات والأشخاص الذين يتولون الوظيفة التنفيذية في الدولة، وتحمل في معناها ظاهرة تضخم تلك الهيئات

وإزدياد نفوذها على حساب الهيئات النيابية، الموسوعة العربية الميسرة، م.ن، ج1، ص463.

³ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص150، 151.

⁴ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص151.

⁵ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص152.

⁶ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص152.

⁷ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص440.

يتجاوز الخمسة، فتكون نسبة الصراعات بين المسلمين وغيرهم مضاعفة ثلاث مرات إذا ما قورنت بالصراعات بين الحضارات الأخرى.¹

وفي احصائية أخرى أجريت عام 1993م، كان مجموع الصراعات الإثنية 59 صراعاً، مسّ منها المسلمين 28 صراعاً، بينما كان بين المسلمين وغيرهم من الحضارات 21 صراعاً.

وأكد هنتجتون على أن المسلمين تدخلوا في عنف جماعات أكثر من غيرهم، وأنهم حازوا على ما نسبته 2/3 إلى 3/4 الحروب الحضارية، ما جعله يخلص إلى القول: "الحدود الإسلامية دموية، وكذلك أجزاءه الداخلية"²، ويعزو هنتجتون ما يقوم به المسلمون من صراعات للأسباب الآتية:

1- أن الإسلام يثمن ويمجد القيم والفضائل العسكرية، فهو دين السيف من البداية، إذ قام الإسلام ونشأ بين البدو المتقاتلين مما طبع هذا الأصل العنيف في تأسيس الإسلام، فمفهوم اللاعنف غائب من العقيدة والممارسة عند المسلمين.

2- الجذور التاريخية للصراعات بين المسلمين وغيرهم، فجنود عملية غزو البلاد مازالت باقية، مما يزيد في إمكانية الصراع بين مسلمي تلك البلاد وأصحابها وجيرانهم ممن لم يسلموا، في ظل التقارب المكاني الموجود، بخلاف التوسع الغربي الذي لم يحمل معه شعوباً غربية إلى العيش في أراضي لشعوب غربية.

3- الإسلام لا يفصل بين الدين والسياسة ويرسم خطاً فاصلاً بين "دار الإسلام" و"دار الحرب" أي منطقة السلم ومنطقة الحرب على حد زعمه.³

4- إحساس المسلمين بأنهم في موقف الضحية للإمبريالية الغربية بعد إخضاعهم في القرن التاسع عشر والعشرين، وما نتج عن ذلك من صورة ضعف عسكري واقتصادي مازالوا يعانون منه، فجعلهم يشعرون بأنهم محل طمع واعتداءات للشعوب الأخرى.

5- غياب دولة أساسية في الإسلام، مما يمنع فرصة فرض المواقف وإيجاد الحلول، في التعامل مع الصراعات.⁴

¹ هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 440 - 441.

² . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 441 - 442.

³ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 449 - 451.

⁴ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 451، 452.

- 6- الانفجار الديمغرافي في المجتمعات الإسلامية، وتوفير الأعداد الهائلة من الشباب والبالغ عمرهم بين 15 - 30 سنة، مما يفسر ارتفاع درجة عسكرة¹ المجتمعات الإسلامية، ودلالات المجهود العسكري² المرتفع للمسلمين.³
- 7- الجوار الجغرافي، والقرب المكاني بين المسلمين وغيرهم يزيد من فرص الصراع الحضارتي.⁴
- 8- الإسلام ينتج وعياً بلا تماسك، مما يؤدي إلى إيجاد تهديدات بل وصراعات للحضارات الأخرى.⁵
- 9- الإحياء الإسلامي أعطى المسلمين الثقة في أهمية حضارتهم وثقافتهم وتفوقها مقارنةً بالغرب.⁶

هذه هي أبرز الأسباب التي ادعى هنتجتون وجودها مما يمكن المسلمون من القيام بالصراعات مع غيرهم وساتناولها بالبحث في محاولتي للتعرف على الردود على النظرية، ويعتبر هنتجتون أن الحضارة الإسلامية ستدخل في تحالف مع الحضارة الصينية، لتشكلا التحدي الأكبر والأعنف للحضارة الغربية، فعلى الرغم من إقرار هنتجتون بوجود اختلافات كبيرة بين الحضارتين -تخص الجوانب الثقافية وغيرها- إلا أنه ادعى بأن هناك قاسم مشترك وهو اعتبارها "أن الغرب عدو لهما"، وهذا السبب في نظر هنتجتون كان لتعاونهما معاً ويظهر ذلك في قضايا متنوعة، كتعاونهما الاقتصادي ونقل بعض الأسلحة التقليدية وغير تقليدية إلى بعض الدول الإسلامية.⁷

¹ . العسكرة: عدد العسكريين بالنسبة لكل 100 من السكان، هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 442.

² . المجهود العسكري: نسبة القوة إلى ثروة البلاد، هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 442.

³ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 452 - 453.

⁴ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 451.

⁵ هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 426.

⁶ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 373.

⁷ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 336، 340 - 346.

هـ- توصيات هنتجتون:

يخلص هنتجتون إلى مجموعة استنتاجات في إطار وضعه خطة لمواجهة التطورات المتعلقة بالصدام الحضاري، بعضها يتعلق بالغرب ذاته، والآخر يتعلق بالحضارات الأخرى، فرأى أنه على المدى القصير، على الغرب أن يدعم التعاون والوحدة بين أمريكا الشمالية وأوروبا، بتجديد ثقافة مشتركة، وتطوير أشكال من الاندماج السياسي والاقتصادي بينهما وذلك لتجديد مرحلة أخرى من التفوق والسيطرة، ودعى إلى أن تدمج في الغرب مجتمعات في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية مما يعد ثقافتها قريبة للغرب، والحفاظ على علاقات التعاون مع روسيا واليابان وتعزيزها.¹

كما ودعا إلى المحافظة على التفوق الغربي العسكري، من خلال الاعتدال في تخفيض القدرات العسكرية الغربية، والحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكونفوشيوسية، واستغلال الغرب للخلافات الموجودة بينهما، وتقوية المؤسسات الدولية التي تعكس المصالح الغربية، وتدعيم مشاركة الدول غير الغربية في تلك المؤسسات.² وتقوية حلف شمال الأطلسي وتوسعته ليضم مجتمعات غربية أخرى³، وحث على عدم قبول غير الغربيين سواء كانوا مهاجرين أو لاجئين لحماية الوحدة الاثنية والثقافية والاجتماعية للمجتمعات الغربية، والتصرف بمهارة في المصادر الاقتصادية واستخدام هذه المصادر بمثابة "عصا وجزرة" مع المجتمعات الأخرى.⁴

وعلى المدى البعيد رأى هنتجتون أن الحضارات غير الغربية ستواصل محاولتها للحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات والأسلحة التي تشكل جزءاً من الحداثة، وستحاول من جانب آخر التوفيق بين الحداثة وثقافتها الخاصة، بحيث تصبح أكثر قوة مع المحافظة على ثقافتها، ومن ثم سيتعين على الغرب أن يتراضى مع هذه الحضارات الحديثة التي تقترب قوتها من قوته، ويقتضي هذا أن يحتفظ الغرب بالقوة العسكرية والاقتصادية

¹ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 513، صدام الحضارات، الصدام بين الحضارات، ص 40، 41 .

² .. هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 513.

³ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 515. الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، الغرب فريد وليس عالميا، هنتجتون، ص 172.

⁴ . هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 337، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، الغرب فريد وليس عالميا، اصموئل هنتجتون، ط 1، ص 172، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية، 2000م.

الضرورية لحماية مصالحه، وأن يطور الغرب فهماً أعمق للثقافات الأخرى¹ وخلصت نظريته إلى القول: "بالنسبة إلى المستقبل لن تكون هناك حضارة عالمية، بل عالم يضم حضارات مختلفة ينبغي على كل حضارة " أن تتعلم التعايش مع الحضارات الأخرى".²

¹ صدام الحضارات، الصدام بين الحضارات، ص 40، 41.

² الغرب وبقيّة العالم؛ إن لم تكن حضارة فماذا تكون، ص 85.

المبحث الثاني: الردود على النظرية:

لقد حاول هنتجتون أن يعزز فكرته ويقوي نظريته بذكر المزيد من الأدلة والوقائع التاريخية، ومن خلال التفسيرات والشروحات التي وضعها في كتابه "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد الذي خصصه لترسيخ نظريته، إلا أنه ومع هذا فقد تلقت نظريته الكثير من النقد من قبل المفكرين المسلمين وغيرهم على حد سواء أبرزها ما يلي:

أ- الخلل المنهجي والمفاهيمي للنظرية:

يمكن القول أن نظرية صدام الحضارات، تعاني من الاضطراب والغموض واللبس، في المنهج المتبع، وفي الرؤية التحليلية للأحداث، وقد نجم عن ذلك الوصول إلى نتائج غير واقعية، لا تتسجم مع الواقع المعاش بتركيبته وتعقيداته، فاعتمد هنتجتون في تحليله على منطلقات تاريخية ورؤية شمولية للمسار العام الذي تتطور فيه الأحداث بناءً على قراءة شمولية انتقائية للأحداث التاريخية وللنزاعات والحروب التي تعرفها الساحة الدولية في الوقت الراهن مما جعلها فقيرة فلسفياً وتنظيرياً على الرغم من اشتغالها على كم كبير من الإثارة.¹

وقد اعتبر كلوفيس مقصود² الأطروحة لا تتعدى كونها: "نوعاً من الترف الفكري وتعبيراً عن شغف بالأفكار المثيرة ولا تعبر عن نهج الفكر الدؤوب، فطابع الفكر أن يكون موحداً ولكنه ينطبق على ظروف متغيرة ومتباينة... إنها تدخل في سياق ممارسات بعض الأكاديميين في الغرب من اللجوء إلى "افتعال" القضايا الجدلية والأفكار المثيرة، وذلك لكي يبقوا في حالة "التوظيف الفكري" أو القيام بدور "الوظيفة الفكرية"³.

ومفهوم "صدام الحضارات" بطبيعته مفهوم جامد، قدمه هنتجتون بطريقة مبسطة، لا تظهر الإنسجام مع رهانات التفاعلات الدولية المعاصرة، وتعقد العلاقات الدولية، مما يظهر

¹ . سعدي، حول صراع، حول صراع الحضارات، ص 59.

² هو مفكر عربي بارز، استاذ العلاقات الدولية ورئيس مركز عالم الجنوب في الجامعة الأمريكية في واشنطن. مقصود، كلوفيس، مقابلة مع كلوفيس مقصود، العرب وعالم الجنوب وتحديات المستقبل، (حاوره عبدالمالك سالمان)، المستقبل العربي، عدد 217، ص 98، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، آذار، 1997م.

³ . المرجع السابق ص 106، 107.

ضعفاً تفسيرياً في فهم الاضطرابات والمتغيرات العالمية، ويتطلب وجود العديد من البراديجمات¹، وعدم الاقتصار على براديجم واحد يفسر الواقع الدولي كما ادعى هنتجتون.²

ويمكن القول إن عدم التزام هنتجتون معياراً واحداً في تصنيفه للحضارات جعل بناء نظريته في حالة من الضعف الشديد، فالحضارة الغربية نسبة إلى الموقع الجغرافي، والكونفوشيوسية نسبة إلى الفيلسوف كونفوشيوس، والحضارة الإسلامية نسبة إلى الدين، والحضارة الهندية واليابانية نسبة إلى المعيار الإقليمي والقطري، والحضارة السلافية الأرثوذكسية نسبة إلى العرق والدين معاً، والحضارة الإفريقية والأمريكية اللاتينية نسبة إلى معيار جغرافي قاري.

ولهذا قال انجماركارلسون³: "وتقسيم هنتجتون لا يسير على نسق واحد"⁴ وقد اعتبر محمد سعدي وهو أستاذ العلوم السياسية بجامعة محمد الأول بالمغرب- هذا التصنيف خلافاً كبيراً فقال "ولعل أكبر خلل نظري تعاني منه الأطروحة يتعلق بمعايير وطبيعة تصنيف هنتجتون للحضارات، حيث يتميز تصنيفه بالخلط الشديد بين مفاهيم متميزة كالحضارة، الدين، الانتماء الجغرافي أو الإثني."⁵

وإن تقسيم هنتجتون للحضارات يتناقض مع المحددات والعوامل التي أكد عليها في التمييز بين الحضارات كاللغة والتقاليد والتراث والتاريخ والدين، وعلى هذا الأساس لا يفهم السبب في فصله بين أمريكا اللاتينية والحضارة الغربية⁶. وفصله بين الأرثوذكسية من جهة والكاثوليكية والبروتستانتية من جهة أخرى، كما لا يفهم ترده في اعتبار الحضارة الإفريقية وعدم الإشارة إليها إلا نادراً، مما يظهر القول أن هنتجتون أخفى العوامل الحقيقية في اعتماده الحضارات وهي تقوم على أسس القوة والموقع الاستراتيجي والنفوذ⁷.

1 . من براديجم (Paradigm)، ويقال (براداييم) وتعني النظرية العامة أو الفكرة أو النموذج، هنتجتون، صدام الحضارات وإعادة، ص 81.

2 . سعدي، م، ص 61، ونفس المؤلف، كتب وقراءات: صدام الحضارات، المستقبل العربي، عدد 244، ص 172، 1999م.

3 . رئيس قسم التحليل والتخطيط بوزارة الخارجية السودانية. كارلسون، انجمار، الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة؟. (ترجمة: سمير بوتاني) ص 5، ط 1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، (1424هـ - 2003م).

4 . كارلسون، م، ن، ص 164.

5 . سعدي، حول صراع الحضارات، ص 64.

6 . صدام الحضارات، حتمية التحديث التقاليد والتغيير، جين كيركباتريك، ص 71، 72، ط 1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية، 1995.

7 . سعدي، م، ص 65. و ابو شهيوه وخلف، مقدمة صدام الحضارات وإعادة، ص 16.

ومما يثير الدهشة ويبعث على الإستغراب سكوت هنتجتون عن الديانة اليهودية، على الرغم من تأكيده على الدور الكبير الذي تقوم به الديانات في التمييز بين الحضارات، كما أنه لم يُشر إلى الصراع المحتمل بين المسيحية واليهودية، أو حتى بين الإسلام واليهودية¹، والتي يظهر احتمالها أكثر بروزاً في ظل قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين وما صاحب ذلك من تعديات صريحة وفاضحة وبشكل يومي على حقوق ومقدرات وحياة الشعب الفلسطيني.

وإن مصطلح الغرب هو مصطلح ملامحه غير واضحة ويلتفه الغموض ولهذا قيل: " فلا تكاد ملامح الغرب تتضح إلا لترداد غموضاً وما تكاد تتسق وتتسجم حتى تزداد تناقضاً"²

وإن إدعاءات هنتجتون حول سمات الغرب لم تكن وليدةً معه كما حاول أن يقنعنا، ولكنها جاءت بعد تطورات اقتصادية واجتماعية وسياسية امتدت قروناً طويلة، بل إن معظمها لم يكن موجوداً قبل القرن الخامس عشر الميلادي³. فتوظيف التراث الإغريقي الروماني كان بدايةً بمثابة التعبير عن قيم جديدة مضادة لفكر الاقطاع والكنيسة الكاثوليكية الحامية له آنذاك، بل إن ذلك التراث الكلاسيكي كان في مجمله مدفوناً أو مجهولاً، ونقل إلى الغرب عن طريق الحضارة الإسلامية في الأندلس، ومما يدعو للاستغراب أن هنتجتون استبعد أحفاد الإغريق المعاصرين، ونزع عنهم العضوية في الحضارة الغربية لأنهم ينتمون إلى الأرثوذكسية، فلا تستقيم دعوته بالمباهاة بجذور تاريخ الإغريق التاريخي للحضارة الغربية بعد طرد أصحاب ذلك التراث منه⁴.

وقد أسقط هنتجتون من حديثه عن المسيحية -كميزة غربية- الحروب الطاحنة بين الكاثوليك والبروتستانت، وأسقط الخلافات الواسعة بينهما، ولم يفسر سيادة الكاثوليكية في الجنوب والبروتستانتية في الشمال، كما أنه لم يوضح كيف يكون تعدد اللغات ميزةً للحضارة الواحدة⁵.

¹ . أبو شهيوه وخلف ،م،ن، ص 15.

² . عبد اللطيف، كمال ، الاسلام والغرب صعوبات الحوار ، مجلة فكر ونقد ، العدد 5 ، ص14 ، الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، يناير ، 1998م .

³ . أبو شهيوه وخلف ،م،ن، ص 18.

⁴ . قنصوة، صلاح، مقدمة صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجتون، ص12، 13، ط2، القاهرة: شركة سطور، 1999م.

⁵ . قنصوة، م،ن، ص 14.

كما أن الفصل بين السلطتين الروحية والسياسية، جاء بعد صراع محتدم وطويل مع السلطات الحاكمة باسم الحق الإلهي، وإن هذا الفصل لم يتم إلا بعد الانقلاب على الحكومة الدينية لترسيخ الحرية الفردية التي اقترنت بالنظام الرأسمالي.¹

ولم تعرف الحكومات الدينية كذلك إلا في التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى، وسادت وقتها ممارسات محاكم التفتيش كما ساد الاستبداد والظلم مما جعل الغربيون أنفسهم يطلقون عليها العصور المظلمة، وما كان لحكم القانون المزعوم ليسود إلا بعد أن تمكنت البرجوازية² من إثبات نفسها وانتزاع ضمانات لوجودها³، فمصطلح "الحضارة الغربية" ينطوي ضمناً على الوعي بأن هذه الحضارة على النقيض من الحضارات السابقة إذ لا تضع الدين في مكانة محورية، وهذا المصطلح لم يظهر إلا بداية القرن العشرين.⁴

وقد عُدَّت الرؤية الميكانيكية لهنتجتون في طرحه للتعددية واستنتاجاته المبسطة لنشأة الكيانات التمثيلية، دون تحليل معمق تجاهلاً للظروف التاريخية التي جعلت من الغرب كياناً حضارياً متميزاً.⁵

ويظهر مما سبق أن هنتجتون حاول أن يستجمع صفات الغرب حيث سلك مسلكاً تبسيطاً في اختياره لتلك السمات وتغافل عن كل شيء يمكن أن يخالف هذه النظرة التبسيطية في تجميعه لها، وبمثل هذه البساطة بنى هنتجتون نظريته الزخمة على أساس مفاهيمي غير منضبط وهو مختلف في تحديد مراميه، وقد أثر ذلك على التحليلات والنتائج فيما بعد، مما جعل إدوارد سعيد⁶ يقول: "إن دعواه في أن الجميع يعرفون ما هي الحضارات هي دعوى خاطئة، ففي نطاق الكثير من تلك الحضارات أو الثقافات، هناك خلاف كبير حول تعريف تلك

¹ . أبو شهيو، وخلف، مقدمة صدام الحضارات وإعادة، ص19. وأنظر: مارسدن، جورج، الدين والثقافة الأمريكية، (ترجمة: صادق إبراهيم عودة) ص 21-29، ط1، عمان: دار الفارس، 2001م..

² . البرجوازية: طبقة اجتماعية أوجدت النظام الرأسمالي، وتطلق في العرف الاشتراكي على طبقة الملاك وأصحاب رؤوس الأموال والمهن الرفيعة، وهي عكس الطبقة العاملة (البروليتاريا) صلاواتي، ياسين، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ج2، ص804، 809، ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، (1422هـ-2001م).

³ . أبو شهيو وخلف، م.س، ص19، وقصوة، م.س، ص15.

⁴ . العسكري، سليمان، ماذا يتبقى من نظرية صدام الحضارات؟ العربي، العدد 518، ص12، الكويت: وزارة الإعلام بدولة الكويت، كانون الثاني، 2002م.

⁵ . أبو شهيو وخلف، م.س، ص19، وقصوة، م.س، ص15.

⁶ . إدوارد سعيد: مقدسي النشأة، حصل على درجتي الماجستير والدكتوراة من جامعة هارفرد، نال عدة جوائز علمية، ألقى محاضرات كثيرة في أكثر من ستين جامعة في أمريكا وكندا وغيرها، له مقالات متعددة وكتب مختلفة منها: "الاستشراق"، "المسألة الفلسطينية"، "تغطية الإسلام"، وغيرها. للمزيد من المعلومات انظر شاهين، محمد، إدوارد سعيد رواية للأجيال، ص37-42، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005م.

الثقافة أو الحضارة، وهذا صحيح بالنسبة للعالم الإسلامي، وصحيح بالنسبة لأمريكا... وهكذا فإن الخلاف الحقيقي ليس صدام الحضارات ولكنه صدام تعريفات".¹

وكما لف الغموض مفهوم الحضارة بحد ذاتها فقد شمل أيضاً وجودها وطبيعتها، فهل هي متجانسة ومنغلقة بمفهوم اشبنكلر؟² وهل لهذه الحضارات تواجد دائم أم أن هناك مجالاً للتأثير والتغيير عليها؟ وهل الحضارات تسير في خط مستقيم أم تمر في مراحل كما قال ابن خلدون في حالات وأطوار الدول³ ، وماذا بالنسبة لآراء توينبي -الذي استظل هنتنغتون بأقواله كثيراً- في تحليل الحضارات وأدائها؟⁴ ، وكيف يمكن لهنتنغتون الذي يؤمن أن الحضارات تمتزج وتتداخل.⁵ فصل الناس المتجاورين جغرافياً لمجرد التباين في الثقافة فتجعل الحضارة كـ "الحجرات المانعة لتدفق المياه والتي يقبع أتباعها في القاع، وهمهم الوحيد انتقاء شر الاختلاط بالآخرين"⁶ .

¹ . سعدي، حول صراع الحضارات، ص66 نقلاً عن الدوارد سعيد، (حوار)، مجلة الحرس الوطني، العدد 164، 165، ص5، مارس ابريل، 1996.

² . أوزفالد اشبنكلر، ولد في بلاكنبورغ سنة 1880م، وتوفي في ميونيخ بألمانيا سنة 1936م، قال: "إن الحضارة تولد وتنمو في تربة بيئية يمكن تحديدها، تحديداً دقيقاً، وأن الحضارة ككل كائن لها طفولتها وشبابها ونضوجها وشيخوختها وأنها تموت عندما تحقق روحها. جميع إمكاناتها الباطنية على هيئة شعوب ولغات ومذاهب دينية وفنون وعلوم ودول... وإن لكل حضارة تاريخ... وأنه لا يمكن أن تكون هناك حضارتان متمثلتان كل التماثل".

اشبنكلر، أوزفالد، تدهور الحضارة الغربية، (ترجمة أحمد الشيباني، ج1، ص8، 9، 12، 13، دط، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.س، وللاطلاع على الانتقادات على هذه المسألة انظر: الملاح: هاشم يحيى، الصراع بين الحضارات ومستقبل الأمة، آفاق عربية، عدد9، ص16، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة/وزارة الثقافة والإعلام، أيلول، 1993م.

³ . عد ابن خلدون الأطوار التي تمر بها الدول خمسة هي طور الظفر، وطور الاستبداد، وطور الفراغ والدعة، وطور القنوع، والمسالمية وطور الإسراف والتبذير، وبين أن الدولة تتسع إلى النهاية ثم تضيق طوراً بعد طور إلى فناء الدولة واضمحلالها، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص138.

⁴ . حدد توينبي الحضارات الأساسية التي شهدتها العالم بإحدى وعشرين حضارة، مع إمكانية وصولها إلى ثلاث وعشرين، مات واندثر منها أربع عشرة حضارة، وبقي سبع حضارات، اعتبرها كلها في طور الانحلال والموت، بما فيها الحضارة الإسلامية واستثنى منها فقط الحضارة الغربية. توينبي، "مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص465-468. وللاطلاع على نقد هذا الرأي أنظر: الملاح ، الصراع بين الحضارات، ص19، 20.

⁵ . صدام الحضارات، الصدام بين الحضارات، ص19.

⁶ . سعيد، ادوارد، تعقيبات على الاستشراق، (ترجمة وتحرير: صبحي حديدي)، ص125، 126، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997م.

ب - تهميش دور الدولة وإغفال الاقتصاد:

يعد تهميش هنتجتون لدور الدولة واستبدالها بالحضارة كلاعب أساسي في استشرافه الصراع نقطة ضعف على الرغم من استدراكاته المتعددة والتي يظهر فيها أهمية الدولة كلاعب أساسي في الأحداث الدولية، وربما لهذا قيل :
"لعلّ إغفال وتقليل هنتجتون من دور الدولة في الصراعات والتفاعلات الدولية المستقبلية، هي نقطة الضعف الأساسية التي تجعل من تحليله تحليلاً غير واقعي، يتناقض مع الدور الفعال الذي تلعبه الدولة في الساحة الدولية".¹

كما يعني هذا الاستبدال إحلال مرجع هلامي غير محدد المعالم ولا يمكن قياسه بدقه، وإضفاء صفة الثبات والدوام على ظواهر هي أقرب إلى الظواهر الانتقالية، ذلك لو أن فكرة الصدام الحضاري كانت الأصل لسادت تلك الفترة على مرّ العصور، وهذا ما يخالف ثوابت التاريخ،² ولهذا قيل: "صدام الحضارات من الناحية العلمية مجرد وهم.. فكرة غير معقولة إذ يجب ان تكون الحضارات عبارة عن صحون أو سيارات ، أو ما أشبه هذا وذاك حتى يمكن تصورها تتصادم".³

ويظهر أن الدول تتصرف وفق ما تراه يناسب مبادئها ومصالحها السياسية والاقتصادية "إن هنتجتون يرى أن الدول ستحارب من أجل الروابط والولاءات الحضارية، في حين أنها تتدافع بالمناكب من أجل حصصها في السوق وتتعلم كيف تتنافس في اقتصاد عالمي لا يعرف الرحمة، وكيف توفر الوظائف وتتخلص من الفقر".⁴

والأمثلة على أن الدول تتصرف وفق مصالحها وليس وفق ثقافتها كثيرة لا عد لها ولا حصر. أكتفي بذكر مثالين حديثين أولاهما وقوف كثير من الدول العربية والإسلامية بجانب القوى الأجنبية في غزوهم للعراق، فمنهم من شارك فعليا في الحرب، ببعث جنودهم إلى

¹ . سعدي، حول صراع الحضارات، ص73.

² . أحمد، محمد سيد، تصاعد الإرهاب وصدام الحضارات، مجلة العربي، العدد 518، ص 155، الكويت: وزارة الاعلام الكويتية ، كانون الثاني 2002 م.

³ . الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدنية، ص86، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م.

⁴ صدام الحضارات، الاستدعاء، فؤاد عجمي، ص 1ط، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث، 1995م.

ساحة المعركة أو بفتح بلاد تلك الدول إلى القوى الأجنبية المقاتلة. كان هذا على الرغم من اشتراكهم في الثقافة والحضارة.

والمثال الآخر يتمثل في عدم مساندة الدول العربية والإسلامية بمجملها الشعب الفلسطيني في محنته خاصة في حرب غزة الظالمة، التي تعرضت لحصار وقصف وعدوان صهيوني آثم، راح ضحيته ما يُقارب ألف وأربعمائة شهيد وآلاف الجرحى من الفلسطينيين إضافة إلى الدمار الهائل الذي حل بالبلاد، فلم تكتمل بعض تلك الدول بتقصم موقف الحياد بل شاركت العدو في تشديد الحصار على الفلسطينيين الذين يشتركون معهم في نفس الثقافة.

ما يؤكد أن الدول هي التي تسيطر على الحضارات وليس بالعكس، وأن تلك الدول لا تتدخل للدفاع عن حضاراتها إلا إذا كان لها مصلحة في ذلك.¹ واعتبر إغفال هنتنغتون لدور الدولة في الصراعات المستقبلية باعتبار أنها الوحدة الواقعية والحقيقية التي يتشكل منها المجتمع الدولي، هو "أكثر من نقطة ضعف، إن للدولة هوية سياسية ووطنية يتمسك بها ولها مصالح اقتصادية تدافع عنها وهي في الأمرين معاً، قد تتجاوز مستلزمات انتمائها إلى حضارة واحدة، ويتكرس هذا التجاوز في صور كثيرة لعل أبرزها التجمعات الاقتصادية التي تضم دولاً من حضارات وأديان مختلفة".² ولهذا فقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن الصدام واقع داخل الحضارات وليس بينها.³

ولكن السؤال لماذا قسم هنتنغتون العالم إلى شرق وغرب؟ ولم يقسمه إلى شمال وجنوب مع العلم أن المعادلة الثانية هي الأكثر وضوحاً في تقسيمها، وهي المعادلة القائمة والتي تعبر عن التناقض الموجود، إذ تشكل ثغرة أساسية في استقرار العالم.

فبينما يمتلك الشمال الصناعي القوة والعلم والمال، فإن الجنوب يغوص في غياهب الضعف والجهل والفقر، خاصة في ظل ما يعرف بالعولمة الاقتصادية، فعالم الجنوب بضخامته السكانية لا يمتلك أكثر من 9% من الأموال الضخمة التي يجري تدويرها يومياً في

¹ . كارلسون، الاسلام واوروپا، ص170.

² . السمّاك، محمد، موقع الإسلام في صراع الحضارات، والنظام العالمي الجديد، ص160، 161، ط2، بيروت: دار النفائس، (1420هـ-1999م).

³ . عبدالخالق، أميرة، كارين ارمنسترونج، الصدام داخل الحضارات لا بينها، مجلة الكتب وجهات نظر، العدد 86، ص71، القاهرة: الشركة المصرية للنشر، مارس، سنة2006م، وكارلسون، م، ص، 171.

الأنشطة الاقتصادية للعالم الصناعي، ناهيك عن الهيمنة الكاملة للدول الصناعية على البنك الدولي والمؤسسات المالية، مما يعطيها الأولوية في تحديد حركة الاقتصاد العالمي.¹

وبصورة عامة فإن ما يقرب 20% من سكان العالم، وهم الذين يعيشون في البلدان المصنفة في الشمال يسيطرون على 80% من ثروات العالم، و80% من سكان العالم في الجنوب لا يسيطرون إلا على 20% من ثروات العالم، ومما يندرج بالخطر استمرار تزايد الهوة بين الحاجة المتنامية للطاقة في البلدان المتطورة، ونقصها من حساب بلدان العالم الثالث² ولهذا قيل عن العالم الأول أنه: "يحصل على كل شيء ويحرم العالم الثالث حتى من أن يستغل ويستفيد من موارده الخام ويجبره على البقاء متخلفاً يعيش داخل إطار الحضارة الزراعية، في الوقت الذي ينتقل فيه العالم المتقدم من الحضارة الصناعية إلى حضارة المعرفة أو عصر المعلومات".³

ولم تنجح دعوات تنمية الجنوب حتى الآن في تغيير واقع، كما أن التقارير والتوصيات الناتجة عن الحوارات بين الشمال والجنوب مازالت قاصرة في وضع حلول جذرية لمشكلات الجنوب.⁴

وقد حذرت بعض الدراسات من أن الحرب على الموارد⁵ ستكون السمة الأبرز للبيئة الأمنية العالمية، وذلك للأولويات الممنوحة للاعتبارات الاقتصادية من قبل الزعماء السياسيين، والطلب المتزايد على السلع الأساسية، وفي ظل حالات نقص بعض الموارد الرئيسية، وعدم الاستقرار في مناطق تضم مخزونات كبيرة من السلع، وتكاثر النزاعات على ملكية المصادر الهامة للإمداد.⁶

¹ . مقصود، مقابلة ، ص 107، 109. وقارن عبدالعظيم، حمدي، فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، ص 163، د. ط ، د. م، دن ، 1995م.

² . نوبيرت، هارالد، النظام العالمي الجديد ومشاكل العالم الثالث (على ضوء اكتشاف أمريكا قبل 500 عام) (ترجمه عن الألمانية محمد الزعبي، وممتاز كريدي)، ص 17، ط 1، بيروت: دار الطليعة، 1996م.

³ . السيد، رياض جاد، صراع الحضارات وحروب القرن الحادي والعشرين، مجلة الدفاع العدد 176، ص 54، القاهرة مارس 2001.

⁴ . العطية، عبد الحسين، وداي، الاقتصاديات النامية: أزمات وحلول ص 64-68، ط 1، عمان: دار الشروق، 2001م.

⁵ . الموارد تعني النفط، والمعادن والأحجار الكريمة والخشب والماء والثروات الطبيعية الأخرى. كلير، مايكل، الحروب على الموارد الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، (ترجمة عدنان حسن)، ص 19، د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، 2002م.

⁶ كلير، م. ن، ص 239.

وتنبأت الدراسة بأن حروب الموارد ستقع في العالم النامي وبشكل خاص في البلدان التي تكون فيها الحكومات الوطنية ضعيفة أو فاسدة، كما أن هذا الصراع سيحمل معه خطراً كبيراً على القوى الكبرى التي ترسل جنودها لحماية مواقع الإمداد في تلك البلدان النائية ليعاملوا كأهداف يسهل قتلهم من أصحاب البلاد الأصليين الذين يشعرون بالاستياء لمجرد وجودهم عندهم.¹

وتتفاقم مشكلة المياه -على وجه الخصوص- يوماً بعد يوم، فبينما تزداد الحاجة إلى المياه على مستوى العالم، فإن مصادرها باقية على حالها بشكل عام، وهناك تباين كبير في توزيع المياه واستهلاكه. ففي الوقت الذي يبذل فيه البعض الماء تجد آخرون يعانون من الظمأ... وقد قدر عدد اللاجئين الاقتصاديين عام 1991م، قرابة 500 مليون لاجئ، بسبب افتقار ما يُسمى بالأقاليم الجافة على الكرة الأرضية، مما يمكن القول أن مسألة توزيع المياه تحولت إلى قضية إستراتيجية.²

وشكلت موجة المهاجرين بشكل عام من الدول الفقيرة إلى البلدان الغنية ومن القرى إلى المدن ظاهرة غير مسبقة أطلق عليها صندوق الأمم المتحدة للسكان "الأزمة الراهنة للجنس البشري" ولم يكن فيها دور للصراع الحضاري.³

وفي دراسة أخرى حذر من الصراع على المياه في منطقة الشرق الأوسط⁴ على وجه التحديد، ففي منطقة حوض نهر النيل تزداد المنافسة لزيادة كل دولة من حصتها المائية، ففي الوقت الذي تعاني فيه مصر من قلة المياه وتزداد حاجتها إليه، تجد أثيوبيا ودول الحوض الأخرى ترفض الاتفاقية الأساسية⁵ في توزيع مياه النهر، وتستحوذ على حصة أكبر مما خصص لها.⁶

¹ . كلير ،الحروب على الموارد، ص248، 249.

² . نوبيرت، النظام العالمي الجديد، ص18.

³ صدام الحضارات ، تطعيم الحضارة الحضارات ليست جزراً ، ليو بينيان ،ص65.

⁴ . الشرق الأوسط: اصطلاح جغرافي أوجدته القوى الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية بهدف تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ يسهل السيطرة عليها ويشمل بلاد الشام والخليج العربي والعراق ومصر والسودان وإيران وتركيا وقبرص، ويضاف إليه الصومال وأثيوبيا وأفغانستان.

العضائيلة، عادل محمد، الصراع على المياه في الشرق الأوسط، الحرب والسلام، ص19، ط1، عمان: دار الشروق، 2005م.

⁵ . لمزيد من المعلومات عن الاتفاقيات انظر: العضائيلة، م، ن، ص32.

⁶ . العضائيلة، م، ن، ص30-33.

كما تحاول تركيا السيطرة على المزيد من مياه نهري دجلة والفرات بإقامة مشروع جنوب شرق الأناضول المعروف باسم مشروع الغاب¹، إذ يشكل خطراً حقيقياً على كل من سوريا والعراق، فمن المتوقع - بعد إنهاء المشروع- أن تفقد سوريا أكثر من 40% من مياه نهر الفرات، ويفقد العراق نحو 71% من حصته وبهذا يخرج أكثر من 3,4 مليون دونم من الأراضي الزراعية في البلدين.²

ويعد ترسيخ دولة الاحتلال الصهيوني لسياسة نهب الأرض والثروات والاستيلاء على موارد المنطقة المائية، باعث تهديد وقلق واضطراب لدول المنطقة خاصة الفلسطينيين والأردن وسوريا، وما ترتب على ذلك من نقص متزايد في الموارد المائية لتك الدول وما ينجم عن ذلك من تبعات وخيمة³ خاصة في ظل التغير المناخي الذي يبعث القلق الإسرائيلي بشأن الأمن الغذائي، ويهدد بتلويث الخزان الجوفي الوحيد في غزة.⁴

وقد أظهرت الإحصاءات بوناً شاسعاً في استهلاك كل من الفلسطينيين واليهود للمياه على أرض فلسطين المحتلة -على وجه الخصوص-، إذ يستهلك كل 100,000 مستوطن في المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، 100 مليون متر مكعب من الماء في العام، بينما لا يحصل مليون عربي إلا على 137 مليون متر مكعب من الماء فقط.⁵

فإهمال جانب الاقتصاد، وتهميش الدور الأساسي الذي يلعبه في الصراعات الدولية لا يمكن التجاوز عنه، ولعل هذا ما أشار إليه محمد سيد أحمد⁶ بقوله: "إن النظرية تغلب العوامل العلوية (اعتبارات الثقافة والفكر والقانون والدين والحالة النفسية...) على العوامل التحتية (الاقتصاد، الواقع الاجتماعي، والسياسي المعيش...) في تقرير مجريات الأحداث".⁷

وإن إغفال دور الاقتصاد كسبب أساسي في الصراعات الراهنة والمستقبلية يدعو الى التساؤل...؟! في الوقت الذي أصبح فيه الفقر ظاهرة عالمية، وذلك بشهادة الأبحاث

¹ . يرمز للمشروع (GAP) ويشمل 13 مشروعاً للري وتوليد الطاقة الكهربائية، وهو من أكبر المشاريع المائية في العالم، ويهدف إلى تنمية منطقة جنوب شرق تركيا. العضائيل، م.ن، ص39.

² . العضائيل، م.ن، ص38، 39.

³ . العضائيل، م.ن، ص29، 30.

⁴ . . جريدة القدس الخميس 4 حزيران، 2009م. العدد 14297، ص1، 34، دراسة: التغير المناخي قد يشعل حروباً في الشرق الأوسط.

⁵ . نوبيرت، النظام العالمي الجديد، ص18.

⁶ . كاتب ومحلل سياسي من مصر. أنظر: أحمد، محمد سيد، تساعد الإرهاب وصدام الحضارات، مجلة العربي العدد 518، ص155.

⁷ . احمد، م.ن، ص518.

الاقتصادية والتقارير الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة، والتي تؤكد أن خمس سكان العالم فقراء يعيشون تحت خط الفقر، وأن دخلهم لا يزيد عن دولار واحد في اليوم مع الأخذ بعين الاعتبار الفوارق في مستوى الفقر من دولة إلى أخرى¹.

ناهيك عن التقارير التي تؤكد أن هناك بليون فرد في العالم غير قادرين على القراءة والكتابة، وواحد ونصف بليون لا يحصلون على مياه شرب نقية، وهناك طفل من كل ثلاثة يعاني من سوء التغذية، وأن هناك 13 مليون طفل في العالم يموتون سنوياً قبل اليوم الخامس من ميلادهم لسوء الرعاية أو سوء التغذية أو لضعف الحالة الصحية للطفل أو الأم، نتيجة الفقر أو المرض²، هذا بالإضافة إلى النتائج المدمرة لبعض الأمراض المزمنة كنقص المناعة المكتسب (الإيدز) الذي تسبب ب وفاة أكثر من 20 مليون شخص في عقدين فقط، ومعاناة 35 مليوناً آخرين³.

ومما يزيد الأمر خطورة أن الأثرياء تزداد ثرواتهم والفقراء يتفاقم فقرهم وبنسب متسارعة⁴. في ظل النظام الرأسمالي ومع وجود الديون والتي بلغت لدول العالم الثالث عام 1997م، 1300 مليار دولار، مع اضافة الزيادات (الفوائد) السنوية العظيمة بحيث تعجز تلك الدول عن دفع تلك الزيادات ناهيك عن دفع الديون⁵.

ج- تحامل هنتجتون على المسلمين:

وقد تحامل هنتجتون على المسلمين كثيراً واتهمهم بشيء هم براء منه، خاصة عند ذهابه بعيداً بقوله "بحدود الإسلام الدموية" وهذا الكلام لا يشكل رمزية تاريخية فقط بل له خطورته⁶ فهو يقوم "بتجريم الإسلام وتحميله مسؤولية الصدامات والحروب التي شهدتها منذ ظهور ما أسماه هنتجتون بخط التوتر الممتد من أوروبا الغربية إلى الشرق الأوسط عبر البلقان إلى إفريقيا وآسيا⁷.

¹ . <http://www.idu.net/portal/modules/php?>

² . <http://ar.wikipedia.org/wiki>

³ . جريدة الشرق الأوسط ، عدد 7968، 21 سبتمبر، 2000. (الانترنت).

⁴ . فمن بين 153 مولود جديد يولدون في الدقيقة الواحدة في أرجاء العالم، هناك 117 يولدون في بلدان العالم الثالث. دوبريه، ريجيس، وزيجلر، جان، كي لا نستسلم، (ترجمة: رينيه الحايك وبسام حجار)، ص106، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1995م.

⁵ صراع الحضارات أم حوار ، أزمة نظام عالمي أم صدام حضارات، وجيه كوثراني، ص189.

⁶ . كارلسون، الاسلام واروبا، ص171.

⁷ . الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ص118.

وعلى الرغم من أن هنتجتون أقر بوجود "الأصولية" في مختلف الديانات، إلا أنه لم يهدد ولم يخوف إلا من الدين الإسلامي، مستشهداً بحجج واهية لا تقوى على الاستدلال، ليكون بهذا مشاركاً في موجة "الإسلاموفوبيا"¹ التي تجتاح العديد من الأوساط الفكرية والسياسية والإستراتيجية في الغرب² ولهذا قيل: "إن العنصر الهذيانى الذي تتضمنه هذه النظرية، إذا ما تم تبني هذه الأخيرة من طرف زعماء الرأي العام ومن طرف وسائل الإعلام، يمكن أن يخلق مناخاً من العداء إزاء العالم الإسلامي بحيث تجعل المجابهة حتمية".³

واتهام هنتجتون للإسلام إنما يدل على عدم معرفته بهذا الدين العظيم وهو حكم متسرع يضاف الى نقاط الضعف الموجودة في النظرية "كثيرة هي نقاط الضعف في نظرية هنتجتون خاصة عندما يحاول أن يطرح الإسلام عدواً بديلاً عن الشيوعية.... إذ فرز الشرق وشعوبه على أساس واحد وهو الدين. وانطلق من عملية الفرز الخاطئة هذه ليربط الدين -المعاصر- بالرجعية وبالإرهاب ومن ثم ليقدمه ديناصوراً متوحشاً".⁴

فلم يكن هنتجتون موقفاً في هذا المنحى الادعائي والتبسيطي، والذي جعل فيه المسلمون كأنهم وحدة واحدة تقف في وجه الحضارة الغربية، فهم مجزؤون في دويلات متعددة، يسوسهم قادة لا يأترون بما يرى شعوبهم، وتسودهم الأعراق واللهجات والاختلافات العديدة -كما يسودهم في الغالب النزاعات ولعله لهذا السبب قيل: " ان صيغة اسلام / غرب ، صيغة ملتبسة وملغومة فالتقابل فيها يتم بين مفهومين غير متكافئين "⁵.

وقد بين ريتشارد نيكسون أن العالم الإسلامي فيه من الاتساع والتباين بحيث يصعب انطواءه تحت قيادة واحدة، فعدد المسلمين يقدر بسدس سكان العالم، يعيشون في سبعة وثلاثين بلداً من العالم الإسلامي، ويحوي شعوباً مختلفة تنقسم إلى 190 مجموعة عربية، وتتكلم مئات اللغات واللهجات وينطوون تحت عشرات الطوائف وهم منتشرون في مناطق مختلفة تغطي مسافة طولها 10 آلاف ميل، وعلى سبيل المثال عدد المسلمين في الصين، يزيد عن عددهم في الجزيرة العربية، وعددهم في الصين يزيد عما في الشرق الأوسط من المسلمين.⁶

¹ . الإسلاموفوبيا: الخوف المرضي وغير المبرر من الدين الإسلامي. اللاوندي، سعيد، الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟ ص5، ط3، الجيزة: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، 2008م.

² . سعدي، محمد، كتب وقراءات: صدام الحضارات، المستقبل العربي، ص167، عدد 244، البلد: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م.

³ . سعدي، حول صراع الحضارات، ص87، نقلاً عن Sacco(Giuseppe), op.cit.p.271

⁴ . السمّاك، موقع الاسلام في صدام الحضارات، ص159.

⁵ عبد اللطيف ، الإسلام والغرب ، صعوبات الحوار ، ص14.

وأدت تجزئة المسلمين إلى وجود تفاوت في الأحجام والإمكانات، وفي توزيع السكان والمياه والثروات، والأخطر من ذلك أنه وبالنظر إلى خريطة التجزئة يلحظ أن حدود التجزئة يراد منها صراعات حدودية لا تنتهي، أو صراعات داخلية، وربما دويلات جديدة.¹

وينتج عن ذلك انتشار الفقر وقلة التعليم وسوء التغذية وبشكل كبير ومريع في العالم الإسلامي -مع الإقرار بالتفاوت بين أجزاءه- فقد أورد تقرير التنمية البشرية للعام 2006، الصادر عن الأمم المتحدة مواقع مائة وسبع وسبعين دولة من حيث علاقتها بموضوع الفقر. تبوأ فيها الكثير من الدول الإسلامية مقاعد متقدمة في معاشة الفقر.² وفي إحصائية أخرى قدر عدد الفقراء العرب بشكل خاص ما نسبته 28,41% من إجمالي السكان في الوطن العربي في النصف الأول من عقد التسعينات من القرن الماضي.³

ومن المرجح أن هذه الحالة ستزيد سوءاً بسبب الأزمة المالية العالمية، وستبقى على هذا الحال على الأقل في المنظور القريب خاصة إذا لم يطرأ تغيير على الأنظمة القائمة وفقاً لما جاء في تقرير الأمم المتحدة.⁴ ولهذا قال هاليداي:⁵ "مفهوم "الخطر الإسلامي" هو ذاته خرافة، والحديث عن نزاع مستمر عبر تاريخي بين العالم "الإسلامي" والعالم "الغربي" هراء، فمن الجانب الإسلامي من الحماسة أن نرى البلدان الإسلامية، وكأنها بمعنى ما تهدد الغرب، فقد اختفى منذ أمد طويل الخطر العسكري الذي تثيره قوات إسلامية موحدة"⁶

ولست مع القول أن المسلمين في موقع دفاعي وغير هجومي⁷ فحسب، بل إنهم -في الغالب- قد وصلوا إلى مرحلة من الضعف الشديد بحيث لا يستطيعون معها الدفاع عن أنفسهم فما زال الكثير من أرضهم تحت نير الاحتلال وهم في معظم الأحيان لا يستطيعون، قول كلمة

⁶ . نيكسون، أمريكا والفرصة التاريخية، ص188.

¹ . شفيق، منير، التجزئة والدولة القطرية: قراءة استطلاعية، ص28، 29، ط1، القاهرة: دار الشروق، 2001م.

² . فتبؤات الجزائر الموقع 102، ومصر 112، والمغرب 123، والسودان 141، واليمن 150، ولا داعي لذكر دول أخرى، والتي يزيد فيها الفقراء

عن 50%، من سكان تلك الدول كجيبوتي والصومال وموريتانيا أنظر: <http://www.idu.net/portal/modules.php?>

³ . النجفي، سالم توفيق، وعبد المجيد، أحمد فتحي، السياسات الاقتصادية الكلية والفقر مع إشارة خاصة إلى الوطن العربي، ص233، ط1،

بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سنة 2008م.

⁴ . <http://www.alarabnew.com/alshaab/GIF/19/12/2003/n2.htm>

⁵ . فريد هاليداي: أستاذ العلاقات الدولية في مدرسة لندن للاقتصاديات، صدرت له كتب كثيرة منها: "شبه الجزيرة العربية دون سلاطين"،

و"إيران، الديكتاتورية والتنمية"، وصناعة الحرب الباردة"، وغيرها. هاليداي، فريد، الإسلام وخرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق

الأوسط، (ترجمة محمد مستجير)، ص5، ط1، دم، مكتبة مدبولي، 1997م.

⁶ . هاليداي، م. ن، ص134.

⁷ . سعدي، محمد، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة

العربية، 2006م، (سلسلة أطروحات الدكتوراة).

"لا" لمخالفهم، وهم "لا ينتجون وسائل الحضارة الإنسانية الحديثة ولا علومها ولا فلسفتها، وأما العودة إلى معالم الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها فهي عودة إلى التاريخ واسترجاع لذاكرة أو دراسة لمرحلة".¹

وإذا نظرنا إلى النزاعات السائدة بين المسلمين وغيرهم، نجد أن المسلمين -في الغالب- هم الضحايا، وهم الجانب المعتدى عليه، فيضربون ويقتلون وهم في أوطانهم، ويظهر هذا بشكل واضح في فلسطين والعراق وكشمير والسودان والبوسنة ولبنان وأفغانستان... وكافة البقاع، فكلهم هنتجتون عن العنف والعداء الإسلامي غير واقعي، وكل ما يقوم به بعض المسلمين أنهم يقومون أحياناً بردات فعل هنا أو هناك وهذه الردات لا تقوى لتشكل خطراً أو تهديداً للغرب بأي حال.

وإن الحضارة الإسلامية وأي حضارة أخرى لن تقوم بدون وجود مركز قوي اقتصادي وعلمي وعسكري، يقوم بدور الحاضن لها، ويصل لمرحلة النديّة للحضارات المتقدمة مما يجعل فكرة الصدام غير واقعية². ولهذا قيل أن تحليل هنتجتون: "صالح فقط لزيادة حدة النزاعات القائمة، وهنا تكمن أهميته السلبية".³

وسياسة هنتجتون تضخيمية وتغليطية، بحديثه عن "الإنبعاث الإسلامي" وإدماجه له ضمن الوقائع التاريخية الكبرى للعالم، وهي تخالف الواقع المعاش، فما زال المسلمون غير قادرين للقيام بمشروعات نهضوية حقيقية وشاملة لدى الشعوب الإسلامية، في ظل أنظمة استبدادية، همها الأول الإبقاء على عروشها، وفي ظل النزاعات الداخلية الكثيرة للعالم الإسلامي مما يبقي التباعد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي في حالة راسخة وعلى الأقل في الأفق المنظور.⁴

¹ . ضاهر، مسعود، صدام الحضارات: ارتباك الخائفين وصلابة القادرين، العربي، العدد 452، ص 28، الكويت : وزارة الاعلام الكويتية، تموز، 1996م.

² . العسكري، ماذا يتبقى من نظرية صدام الحضارات، ص 11.

³ . مولر، هارالد، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتجتون، (ترجمة:إبراهيم أبو هشيش)، ص 298، ط 1، طرابلس: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2005م.

⁴ . سعدي، حول صراع الحضارات، ص 11.

فحقاً لقد تجاهل هنتجتون أن الأديان لا تصنع الحروب ولكن استخدام السياسة لها قد يصنع الحروب، كما أن الحضارات بما فيها الحضارة الإسلامية ليست عدوانية بطبيعتها، وأنها توجه باتجاهات عدة وفق الدويلات الحاكمة، كل حسب توجهاته ومصالحه.¹

وإن الناظر إلى تاريخ الصراعات قديماً وحديثاً يجد أن الصراعات ليست حكراً على شعب أو دولة أو جهة، فكما خاض المسلمون صراعات داخلية وخارجية خاضها الغرب كذلك، فهي ليست خاصة بالمسلمين كما حاول أن يصورها هنتجتون، ويكفي أن أستحضر بعض المقطعات من تاريخ أوروبا الذي لم تنقطع الحروب والصراعات فيه على مدار التاريخ القديم والحديث، فهي غير بسيطة بساطة الترسيم المذكورة (حرب الأمراء والأباطرة، حرب القوميات، حرب الأيدلوجيات...).

فالحرب بين أثينا وأسبرطة² مازالت خالدة والحروب الإيطالية³ كذلك والحروب الدينية⁴ والحروب الهولندية⁵ والحروب الفرنسية الهندية⁶ وحرب الاستقلال الأمريكية⁷ وحروب الثورة الفرنسية⁸، والحرب الأهلية الأمريكية⁹، وما إلى ذلك من حروب، ناهيك عن الحروب التحريرية في آسيا وإفريقيا وما نجم عن ذلك من خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات مما يبقى صورة خالدة عنها في الذاكرة.¹⁰

¹ . أبو شهيوه وخلف، مقدمة صدام الحضارات وإعادة، ص44.

² . وتسمى الحرب البلبونيزية (404 - 431 ق.م) ازداد الصراع المسلح بين أثينا عاصمة اليونان، واسبرطة المزاحمة لها على السيادة، وقد تغلبت عليها. من أسبابها مناصرة اسبرطة لإحدى الأقليات وقضايا اقتصادية، المنجد في الاعلام، مجموعة مؤلفين ، (المساهمون في التحرير عبدالله العلالي، وآخرون) ، ط19، بيروت: دار المشرق، 1992م، والموسوعة العربية الميسرة، ج1، 697.

³ . الحروب الإيطالية: (1494-1529) ظهرت بعد أن تدخلت بعض دول أوروبا بما فيها فرنسا واسبانيا في الشؤون الإيطالية، تحت دعوى فض النزاعات، وترتب على ذلك فقدان الإيطاليين لحريتهم واستقلاليتهم ثلاثة قرون، نشأت على إثرها الحروب. صلاواتي، الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة، ج4، ص1506، 1505، ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، سنة 2001م.

⁴ . الحروب الدينية: (1562 - 1529) سلسلة حروب أهلية في فرنسا كانت في ظاهرها انفصالا بين البروتستانت والكاثوليك، كما كانت قتالاً من أجل الملك. صلاواتي، م.ن، ص1507.

⁵ . الحروب الهولندية: (1652-1654)، وقعت بين إنجلترا والهولنديين نتيجة أزمة في التنافس بينهما على نقل التجارة. صلاواتي، م.ن، ص1510.

⁶ . الحروب الفرنسية الهندية: (1689-1763) تطلق على حروب أمريكا الشمالية الاستعمارية بين إنجلترا وفرنسا وتتصل بحروب المحالفات الأوروبية صلاواتي، م.ن، ص1510.

⁷ . حرب الاستقلال الأمريكية: (1775-1783) النضال الذي انتهى بحصول الولايات الثلاث عشر المطلة على المحيط الأطلنطي في أمريكا الشمالية على استقلالها من بريطانيا، وقيام الولايات المتحدة الأمريكية. الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص695.

⁸ . حروب الثورة الفرنسية: (1792-1802) حرب أوروبية عامة نتيجة الثورة الفرنسية. صلاواتي، م. س. ، ج4، ص1506، 1507.

⁹ . الحرب الأهلية الأمريكية: (1861-1865م) وقعت بين الولايات المتحدة الأمريكية الشمالية (الاتحاديون) والولايات الجنوبية (التعاهديون). الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص696.

¹⁰ . الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ص96، 97. والبيلاوي، حازم، نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي؟، ص42، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1999م.

فليس الإسلام مسؤولاً عن القرن الذي يسميه بريجنسكي¹ "قرن المذابح المليونية"، كما أن الإسلام لم يشارك في جرائم بحق الإنسانية، فقد قدر عدد الذين لقوا مصرعهم في القرن الماضي بين (167-175) مليون نسمة، معظمهم مسؤولية الحضارة الغربية، وليس للإسلام علاقة بهم، فقد استهلكت الحربان العالميتان الأولى² والثانية³ من العسكريين فقط حوالي 27,5 مليون، كما إن هتلر⁴ وحده قتل 17 مليون، وأباد لينين⁵ ما بين (6-8) مليون نسمة، وفي عهد ستالين⁶ قتل ما لا يقل عن 20 مليون إضافة إلى ضحايا حكم ماو⁷، الذي يقدر عددهم بين (27-29) مليون نسمة، ناهيك عن الصراعات الأخرى⁸.

وتبقى فكرة التحالف بين الحضارتين الإسلامية والكونفوشية أمراً بعيد التصور، وأن الدليل الوحيد الذي ذكره هنتجتون على وجود مثل هذه الرابطة، وهو تصدير السلاح من كوريا الشمالية والصين إلى بعض الدول الإسلامية كالباكستان وإيران وسوريا والعراق، غير كاف ولا يقوى للاحتجاج به، وقد اعتبره كيشوري محبوباني⁹ بأنه "انتهازي لا يقوم على تقمص عاطفي طبيعي أو على أحلاف حضارية"¹⁰.

فهذه العلاقة النفعية لا تدل على تنسيق أو انسجام حضاري أو تقارب ثقافي ولو جاز لنا الاستدلال على وجود تحالف بين حضارتين لوجود علاقة، فماذا نقول عن التبادلات التجارية والاقتصادية الحاصلة بين دول مختلفة من حضارات متعددة، كتركيا وإسرائيل، أو أمريكا

- ¹ . زيغنيو بريجنسكي: مستشار مجلس الأمن القومي أثناء فترة رئاسة الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر. بريجنسكي، زيغنيو، الفوضى الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، (ترجمة: مالك فاضل)، ط1، ص15، عمان: منشورات الأهلية، 1998م.
- ² . الحرب العالمية الأولى: (1914-1918) نشبت بين ألمانيا والنمسا والمجر والإمبراطورية العثمانية من جهة، والحلفاء فرنسا وانكلترا وروسيا وبلجيكا واليابان والولايات المتحدة في المرحلة الأخيرة من جهة ثانية، أسبابها عديدة، منها: نزعة ألمانيا على التوسع، ظهور تحالفات جديدة في أوروبا، حرب البلقان وغيرها. المنجد في الاعلام، ص216.
- ³ . الحرب العالمية الثانية: (1939-1945) نشبت بين قوات المحور ألمانيا وإيطاليا واليابان من جهة، والحلفاء فرنسا وانكلترا والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة والصين من جهة أخرى، من أسبابها إرهاب الاقتصاد الألماني بتعويضات الحرب العالمية الأولى مما ساهم في ظهور النازية ودكتاتورية هتلر. المنجد في الاعلام، ص216.
- ⁴ . هتلر أدولف: (1889-1945) دكتاتور ألماني، وزعيم الحزب النازي، ولد في براونو بالنمسا، شن حرباً عنيفة على الشيوعيين. الموسوعة العربية الميسرة، ج2، ص1891.
- ⁵ . لينين (فلاديمير)، (1870-1924)، زعيم الثورة الروسية، ومؤسس الحزب الشيوعي في روسيا السوفياتية، المنجد في الاعلام، ص506.
- ⁶ . ستالين، جوزيف فساريفيتش: (1879-1953)، سياسي ودكتاتور روسي وزعيم شيوعي ولد بجورجيا، اسمه الحقيقي دزوغاشفلي، اتخذ اسم ستالين (أي مصنوع من الصلب) بعد انخراطه في الحركة الثورية. الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص962.
- ⁷ . ماوتسه تونغ: (1893-1976)، من رجال الدولة في الصين ومن مؤسسي الحزب الشيوعي فيها، قاد الثورة على النظام الحاكم، أعلن جمهورية الصين الشعبية 1949م، شغل رئيس الدولة في الفترة (1954-1959م). المنجد في الاعلام، ص517.
- ⁸ . بريجنسكي، الفوضى، ص13 - 22.
- ⁹ . كيشوري محبوباني، نائب وزير الخارجية وعميد كلية الخدمة المدنية لسنغافورة، عمل ممثلاً دائماً لسنغافورة لدى الأمم المتحدة (1984-1989)، صدام الحضارات، هنتجتون ومجموعة مؤلفين، ص159.
- ¹⁰ . صدام الحضارات، أخطار التفكك، كيشوري محبوباني، ص59، 60.

والسعودية وما إلى ذلك، فهناك اختلافات ثقافية هائلة بين الحضارتين بحيث يصعب التقاؤهما. فهذا التحالف: "ليس منطقياً فما يفصل بين الحضارة الإسلامية وثقافات الشرق الأقصى أعمق وأوسع بكثير مما يفصل بين الحضارة الغربية والإسلامية".¹

وقد خرج هنتجتون عن طور الموضوعية التي لابد أن يلتزم بها الباحث عندما وضع توصياته، فعلى الرغم من إقرارها أن المستقبل سيضم حضارات مختلفة ينبغي لكل منها التعايش مع الآخر إلا أنه لم يلتزم بهذا فدعى إلى المحافظة على التفوق العسكري الغربي، ومنع انتشار الأسلحة النووية، كما دعى إلى وحدة الغرب وما إلى ذلك²، مما يظهر التحيز السافر للغرب، ويظهر النظرة الشوفينية المستأصلة على ما يبدو في فكره كذلك، فكما انطلق هنتجتون من التحيز والشعور بالاستعلاء للغرب، خرج بتوصيات تحمل نفس الفكرة.

ولهذا قيل: "تمثل نظرية "صدام الحضارات" قراءة مشوهة وغائية تهدف إلى الحفاظ على وحدة الغرب وتجانسه في المستقبل وفي ظل لحظة تاريخية اتسمت بالميوعة الإستراتيجية في أعقاب تداعي منظومة تحالفات الحرب الباردة".³

¹ . سعدي ، حول صراع الحضارات، ص93.

² صدام الحضارات، الصدام بين الحضارات، ص 40، 41.

³ . سالم، صلاح، العرب والغرب... بين نظرية "المؤامرة" و"صدام الحضارات" شؤون عربية، عدد 122، ص151، صادرة عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، صيف، 2005م.

الفصل الثالث

مؤثرات في "فكرة الصراع"

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : حوار الحضارات

المبحث الثاني : حوار الأديان

المبحث الثالث : العولمة

يحاول الباحث من خلال هذا الفصل دراسة بعض الجوانب التي يتصور أنها تقف عائقاً في وجه الصراع كفكرة، أو على الأقل تسهم في التقليل من إمكانية تطبيقه وسأتناول بالبحث المؤثرات الآتية لما لها من أثر كبير على قضية الصراع - وهي: حوار الحضارات، وحوار الأديان، والعولمة.

المبحث الأول : حوار الحضارات

لقد ساد في الفترة الأخيرة مصطلحات حوارية عديدة كحوار الحضارات وحوار الأديان والحوار الإسلامي المسيحي أو حوار الإسلام والغرب أو الحوار العربي الأوروبي وهي كلها كما قيل "عناوين لموضوع واحد أو لموضوعات متقاربة متداخلة لا تكاد تتمايز إلا بشيء من التعميم أو التخصيص"¹.

وسأتناول حوار الحضارات وحوار الأديان من بين هذه المصطلحات لشمولها وشيوعها ولما لها من عميق أثر.

أ. المفهوم

الحوار لفظ شائع الإستعمال في اللغة العربية منذ الجاهلية بمصدره اللغويين، وهما الحوار والمحاورة². ويدل على قيم ومبادئ أساسية في الثقافة والحضارة الإسلامية³.

فأصل معنى الحَوْر: الرجوع عن الشيء، والرجوع إليه، والتحاور بمعنى التجاوب، والمحاورة: مراجعة النطق والكلام في المخاطبة⁴ وعلى هذا تنتسج كلمة الحوار لكل معاني الخطاب والسؤال والجواب⁵، فإذا وجدَ الإنسانُ لحديثه مجيباً كان ذلك أولى إلى رضاه، لأنه

¹ . حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي ، حوار الحضارات تحرير المصطلح والمنهج، ناصر الدين الأسد،(مراجعة وتقديم خالد الكركي) ، ص69، ط1، عمان، بيروت: منتدى عبد الحميد شومان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2004م.

² . حوار الحضارات ، من ، ص19.

³ . التويجري، عبد العزيز بن عثمان. الحوار من أجل التعايش، ص12، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1998.

⁴ . ابن منظور، لسان العرب. ج4، ص217-218، مادة حور. والزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس، ج6، ص317، مادة حور.

⁵ . العليان، عبد الله علي. حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، رؤية إسلامية للحوار، ص9، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م.

يشعر باحترام السامعين، واهتمامهم به، أما إذا لم يكن لذلك صدى فإنه سيشعر بعدم الرضا والاستهانة به، وعلى هذا يكون الحوار محبباً¹.

وقد أولى القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بالحوار، فجاء فيه لفظ الحوار ثلاث مرات: مرتين بصيغة الفعل "فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً"².

وقوله عز وجل: "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا"³، ومرة بصيغة الاسم: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"⁴.

ومن يقرأ القرآن الكريم يجد صوراً متعددة للحوار، كالحوار بين الخالق وأحد مخلوقاته كالرسل والملائكة والشيطان...، وحوارات بين الرسل وأقوامهم، وحوارات مع أهل الكتاب أو مع المنافقين...، وحوارات حول موضوعات محددة كالقرآن الكريم واليوم الآخر... وما إلى ذلك، وقد امتاز أسلوب الحوار في القرآن الكريم باتساع دائرته، وشموله لما لا يحصى من المسائل،⁵ لدرجة أنه يمكن القول أن "القرآن كتاب حوار في الأساس".⁶

ويُعدُّ "حوار الحضارات" من المصطلحات الحديثة التي دعت إلى استعمالها طبيعة العلاقات الدولية المتشابكة، وإن كانت دلالاته الاصطلاحية قديمة، حيث كان بلفظ الجدل أو الجدل⁷، ومن البدهي القول أن الحضارات لا تتحاور، وإنما الحوار يكون بين أصحاب الحضارات المختلفة كما أنه لا يكون بين أصحاب الحضارة الواحدة.

¹ الغرب وبقيّة العالم بين صدام الحضارات وحوارها، حوار الحضارات شروطه ونطاقه، محمد سليم العوا، صموئيل هنتخبون، ص 241، ط1، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، 2000م.

² سورة الكهف، 18، آية رقم 34.

³ سورة الكهف، 18، آية رقم 37.

⁴ سورة المجادلة، 58، آية رقم 1.

⁵ طنطاوي، محمد سيد، أدب الحوار في الإسلام، ص 4، دط، مدينة السادس من أكتوبر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1997.

⁶ هذه العبارة يرددها كثيراً الشيخ يوسف القرضاوي والعلامة السيد محمد حسين فضل في الكثير من الحوارات والمؤلفات، العليان، حوار الحضارات، ص 22.

⁷ يعد الجدل أو الجدل من المعاني المضمومة في هذه الأيام، وفي أغلب الأيام الماضية فلا تستعمل في معرض تبادل الآراء أو المناقشات حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، حوار الحضارات، ص 20.

ويقوم مفهوم حوار الحضارات على فرضية "أن الخصائص الثقافية للشعوب تؤثر في العلاقات بين الدول، وأن تحقيق التعاون الدولي يتطلب توظيف تلك الخصائص بحكم الترابط بين السلوكيات السياسية والاقتصادية من ناحية والسلوكيات الثقافية من ناحية أخرى"¹.

ويتناول حوار الحضارات كل ما من شأنه أن يسهم في حالة إرساء التفاهم والتعايش بين الشعوب والحضارات، ويخفف من حالات التوتر والاضطراب الدولي وما شاكل ذلك وبالتالي فهو لا يتطرق إلى القضايا الدينية خاصة العقيدة والمتعلقة بالعبادات إلا من بعيد وإن تطرق لشيء من الدين فيكون من متعلقات التعايش والقيم الروحية والأخلاقية.

ب- نشأة حوار الحضارات:

تعتبر قضية الحوار بين الحضارات أو الثقافات مطروحة في الفكر الإنساني منذ قرون بعيدة،² فهي "تقليدٌ قديم في أزمنة السلم وأوقات الحرب"،³ إلا أنها أخذت أبعاداً جديدة خلال النصف الأخير من القرن الماضي نتيجة للتطورات في العلاقات السياسية والثقافية بين الشعوب، مما جعل للحوار الحضاري أهمية خاصة باعتباره هدفاً في ذاته وباعتباره عنصراً مؤثراً في مجمل العلاقات بين الأمم والشعوب.⁴

وتعتبر أطروحة روجيه جارودي⁵ من أوائل الأفكار التي قدمت لتبني فكرة الحوار الحضاري بشكل واضح وذلك في كتابه "في سبيل حوار الحضارات" الذي صدر في طبعته الفرنسية سنة 1977م، ومن ثم ترجم إلى العربية بعد ذلك بعام واحد⁶، وقد انتقد جارودي في كتابه سلوك الغرب وعلاقته بالأمم والحضارات الأخرى، ودعا الغرب أن يعيد

¹ . بييرس، سامية، حوار الحضارات والمبادرة الحضارية العربية، شؤون عربية، العدد 16، ص170، تصدر عن الامانة العامة لجامعة الدول العربية، شتاء سنة 2003.

² . بييرس، م.ن، ص170.

³ صراع الحضارات أم حوار الثقافات (اوراق ومداخلات المؤتمر الدولي حول صراع الحضارات ام حوار الثقافات، المنعقد في 10-12- مارس-1997م) حوار الحضارات في عالم متغير، السيد يسين، (تحرير فخري لبيب)، ص 37، د.ط، دم، (مطبوعات التضامن 173) ، د.س.

⁴ . بييرس، م.س، ص170.

⁵ . روجيه جارودي مفكر وفيلسوف فرنسي اعتنق الماركسية ثم المسيحية ثم الإسلام وله مؤلفات عديدة منها كيف صنعنا القرن العشرين ، والإرهاب الغربي، لمزيد من المعلومات انظر: البوطي، محمد سعيد، شخصيات استوقفتني ، ص211- 238 ، ط 1 ، بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1999م.

⁶ الميلاد، زكي، المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟ ص67، 68، ط1، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1999،

النظر إلى ذاته وإلى الآخر الحضاري، ودعاه إلى إحداث تغييرات جذرية في علاقاته الدولية والحضارية من خلال الأخذ بحوار الحضارات والعمل باتجاه ما يعرف بالسلم العالمي الذي يمكن أن يولد مشروعاً كونياً ينسجم مع المستقبل.¹

كما دعا جارودي قبل إسلامه وفي مجلة البدائل الاشتراكية إلى وحدة الأديان السماوية² وأطلق عليها الديانة الإبراهيمية - على اعتبار أن أصلها واحد - وبناءً على دعوته تم تأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات.³

إلا أنه يمكن القول أنه لم يتفاعل كثيراً مع طرح جارودي ولم تأخذ أقواله في هذا المضمار أبداً كثيرة، وبقي الحديث عن حوار الحضارات، حديث خافت إلى أن خرج هنتجتون بنظريته في الصدام الحضاري، مما أعاد الحديث والاهتمام إلى مقولة "الحوار الحضاري" من جديد وبشكل قوي وذلك في سياق الاعتراض على تلك الأطروحة، وكرد فعل ضدها، وهكذا أصبحت تستخدم في وسائل الإعلام، وعند الكتاب والمؤلفين وحتى المسؤولين مقولة "حوار الحضارات بدل صدامها" على اعتبار أن مقولة "حوار الحضارات" هي المقولة الجاهزة والاعتراضية لمقولة الصدام.⁴

وكان لمبادرة الرئيس الإيراني محمد خاتمي، بدعوته لحوار الحضارات في خطابه للأمم المتحدة في عام 1998⁵، أثراً كبيراً على سير عمليات الحوار إذ تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة على أثر ذلك قرارها رقم 22 في دورتها رقم 53 في 4 نوفمبر 1998، بإعلان عام 2001 عاماً للحوار بين الحضارات، وقد اعتبر هذا القرار رداً عملياً على دعاة

¹ . غارودي، روجيه، في سبيل حوار الحضارات، (تعريب عادل العوا)، ص 115، 137، 215، ط4، بيروت: عوديات للنشر والطباعة، 1999م.

² . وهذه الدعوة فيها الكثير من المحاذير، فهي تؤدي في معناها إلى أن أصحاب الديانات كلهم مؤمنون ولا فرق بينهم عند الله، وقد عدت على أنها وسيلة لتدمير الديانة الإسلامية وإزالتها في الديانة الإبراهيمية. عجب، بسام داود، الحوار الإسلامي المسيحي المبادئ - التاريخ - الموضوعات - الأهداف، ص 434، 446 ط2، د.م، دار قتيبة (1429هـ - 2008م) .

³ . عجب، م.ن، ص 438.

⁴ . الميلاد، المسألة الحضارية، ص 68، 69، والجنحاني، الحبيب، حوار الحضارات، لماذا؟ وكيف؟ ومع من؟ العربي، العدد 557، ص 16، 17، إبريل سنة 2005م.

⁵ . نشر مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق هذا الخطاب باللغة العربية في كتاب الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص 177 - 181. ط1، بيروت سنة 2000م.

الصراع والصدام بين الحضارات، وعلى القائلين بنهاية التاريخ وبانتصار حضارة على الأخريات.¹

ومنذ تبني هذا القرار عمد السكرتير العام للأمم المتحدة إلى تقديم تقارير بشكل متواصل للجمعية العامة، والتي بدورها أعدت لعام حوار الحضارات ورتبت الأنشطة المتصلة به وطالبت بإسهامات الدول والمنظمات الغير حكومية بهذا الشأن، كما شكل فريق خبراء من كافة الحضارات لمتابعة هذا المؤتمر.²

ومن خلال استعراض قرارات الجمعية العامة السنوية منذ عام 1998 يلاحظ تزايداً مطرداً في عدد الدول التي تبنت مشروعات القرارات حول حوار الحضارات، بما فيها دخول بعض الدول التي آثرت في البداية الابتعاد ربما توجساً مما يتعلق بتلك القرارات كأمريكا مثلاً.³

وقد أعادت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م والتي وقعت في نيويورك وبواشنطن أطروحة هنتجتون حول "صدام الحضارات"، كما أعادت كذلك - ومن وجهة نظر الكثيرين - تزايد الوعي العالمي بقضية تسوية ومنع المنازعات من خلال إرساء أسس جديدة للعلاقات الدولية تأخذ بالاعتبار التعددية الثقافية والاعتراف بالآخر وإقامة الحوار معه، مما أدى إلى تنامي الدعوة إلى أهمية الحوار بين الحضارات والأديان وتسريع وتيرة المبادرات الفكرية والنماذج التطبيقية لحوار الحضارات، والتخفيف من حدة الاختلافات، وإبراز القضايا المشتركة بما يكفل منع المجابهات والعداوات ومما يؤسس للتعايش السلمي ويعمل على تحقيق السلام والاستقرار.⁴

¹ . يسين، السيد، الغرب الكوني والشرق المتفرد: الحضارات بين الصراع والحوار، السياسة الدولية، العدد 161، ص16، القاهرة: مؤسسة الأهرام، يوليو، سنة 2005م. وعبد الناصر، وليد محمود، حوار الحضارات على أجندة العلاقات الدولية، السياسة الدولية، العدد 147، ص16، يناير 2002م.

² . عبد الناصر، م.ن، ص16.

³ . عبد الناصر، م.ن، ص16، 17.

⁴ . بيبس، حوار الحضارات، ص173، 174.

ولست مع الدكتور فوزية العشماوي¹ بقولها أن أحداث 11 سبتمبر هي "التي فجرت قضية حوار الحضارات وليس تحدي أو صراع الحضارات"² فمع الاحتفاظ بالدور الكبير الذي كان لأحداث الحادي عشر من سبتمبر في تزايد الدعوة للحوار الحضاري إلا أنه قد سبق بخطاب محمد خاتمي وما ترتب عليه من تبني الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بجعل عام 2001م عام "حوار الحضارات" مما يؤكد أن تفاعلات الحوار الحضاري كانت رداً على أطروحة الصدام أساساً وليس رداً على أحداث 11 سبتمبر.

ج. أهميته:

نظراً لما لحوار الحضارات من أهمية وعظيم أثر كونه يُعالج قضية حساسة وبالغة الخطورة فقد بذلت معظم المنظمات الدولية والإقليمية جهوداً كبيرة لتعزيز الحوار الحضاري، وأصبح موضوع حوار الحضارات يحظى بأهمية متزايدة على الساحة الدولية، كما أصبح يطرح وبقوة في معظم المؤتمرات والمنتديات الدولية سواء كانت سياسية أو ثقافية أو حتى اقتصادية، ومن أبرز تلك المنظمات التي كان لها دور في تعزيز هذا الحوار ما يلي³:

1. الأمم المتحدة :

فبعد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بجعل عام 2001م عام حوار الحضارات توالى قرارات الجمعية بهذا الشأن وتضمنت في مجملها خطوات تنفيذية لتعزيز الحوار بين الحضارات.

وقد اتسم النقاش حول موضوع الحوار بين الحضارات في الجمعية العامة للأمم المتحدة في الفترة ما بين (1998-2001) بالاجتماع على إيجابية التنوع الثقافي لما له من أثر في تقدم البشرية، وضرورة تفعيل الحوار، وتدعيم ونبذ الصراع وإدانة الإرهاب، وتجنب ادعاء حضارة واحدة التفوق أو الرغبة في الهيمنة على بقية الحضارات، كما دعي فيه إلى احترام المعتقدات الدينية للشعوب والحفاظ على الكرامة الإنسانية ومبادئ العدالة⁴.

¹ . أستاذ اللغة العربية والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة جنيف - سويسرا. العشماوي، فوزية، الحوار بين الحضارات والخصوصيات الثقافية، العربي، العدد 534، ص18، مايو 2003م.

² . العشماوي، م.ن، ص19.

³ . بييرس، حوار الحضارات، ص175.

⁴ . عبد الناصر، حوار الحضارات، ص16-19.

وقد قامت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)¹ بأنشطة مختلفة كعقد مؤتمرات وحلقات دراسية ومنشورات وإنتاجاً إعلامياً بغرض تعزيز الحوار بين الحضارات².

2. جامعة الدول العربية:

كان للمجموعة العربية مداخل في أول دورة للجمعية العامة للأمم المتحدة تتناقش موضوع حوار الحضارات وتحديداً في 10 ديسمبر 1999، حيث ألقى وفد قطر بياناً باسم المجموعة العربية عرض فيه الموقف العربي من الحوار بين الحضارات و لم تدخل جامعة الدول العربية في مجال حوار الحضارات رسمياً إلا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، ولعل الذي دفع باتجاه ذلك تخوف العديد من الدول العربية لضربات من قبل الولايات المتحدة وحلفائها، وإدراكها لمخاطر الربط بين الإسلام والإرهاب، إضافةً إلى المخاطر والمعاملات التمييزية التي بدأت تواجه الجاليات الإسلامية، في البلدان الغربية.³

كما عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعاً على هامش الاجتماع الاستثنائي لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي بالدوحة يومي 8 و 9 أكتوبر 2001، ناقشوا خلاله هذه المسائل وأقروا مبادرة طرحها أمين عام الجامعة لإيجاد تجمع فكري عربي، يساهم في مواجهة الحملة ضد العرب والمسلمين ويعمل على تصحيح مسار الخلل الثقافي داخل العالم العربي واستبدال الصورة النمطية عن العرب في الخارج.⁴

كما عقدت جامعة الدول العربية عدة مؤتمرات من أبرزها مؤتمر "حوار الحضارات: تواصل لا صراع" وذلك بتاريخ 26 و 27 نوفمبر 2001 في القاهرة، والذي شارك فيه مجموعة من المفكرين والمتقنين العرب، وصدر عنه وثيقتان هامتان هما إعلان ملنقى المفكرين العرب وبرنامج العمل.⁵

¹ . تأسست اليونسكو في 4 نوفمبر 1946م، لدعم التعاون بين الأمم ولتعزيز الاحترام العالمي للعدل والقانون وحقوق الإنسان والحريات، لها ثلاثة فروع رئيسة، مقرها باريس ، الموسوعة العربية الميسرة م2، ص1759.

² . بيبرس، حوار الحضارات، ص176.

³ . عبد الناصر، حوار الحضارات، ص19.

⁴ . المكان نفسه.

⁵ . بيبرس، م.س، ص182.

3. منظمة المؤتمر الإسلامي¹:

أبدت منظمة المؤتمر الإسلامي اهتماماً كبيراً لموضوع الحوار بين الحضارات، في إطار سعيها لإظهار صورة حقيقية مشرقة للإسلام فعقدت عدة لقاءات في سبيل ذلك كعقدها "الندوة الإسلامية للحوار بين الحضارات" في طهران في الفترة من (3-5) مايو عام 1999م. وشارك فيها رؤساء وممثلوا الدول في المنظمة، وصدر عن هذه الندوة ما يسمى بـ "إعلان طهران بشأن الحوار بين الحضارات" الذي تناول مبادئ ومجالات الحوار كما تناول مسألة المشاركين في الحوار وعدم اقتصرهم على ممثلي الحكومات وضرورة اشتمالهم على ممثلي المجتمع المدني والمفكرين والمتقنين وقد شكلت المنظمة فريق خبراء حكوميين قام بوضع تقرير تضمن "برنامج عمل تنفيذي" لتنفيذ ما جاء في إعلان طهران من مبادئ².

وقامت المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الاسيسكو) بجهود وأنشطة هامة، كتنظيم وعقد العديد من الندوات والمؤتمرات، وحلقات النقاش حول "حوار الحضارات" فتم خلالها التأكيد على دور الإسلام في إرساء مبدأ الحوار والتفاعل مع الحضارات، وضرورة إزالة الحاجز النفسي بين العالم الإسلامي والعالم الغربي وتجنب كل ما من شأنه تأجيج الصراع بين الحضارات³.

4. المنظمة الفراكوفونية الدولية⁴:

لقد بذلت المنظمة الفراكوفونية الدولية جهوداً كبيرة في دعم حوار الحضارات وكان للقيمة التي عقدتها في أكتوبر 2002م. دوراً كبيراً في إبراز معالم الحوار، إذ صاغت الدول الأعضاء مشروع إعلان وبرنامج عمل أكدت فيه على جملة قضايا مهمة كتأكيداها على قيم التسامح والمساواة والإتفاق على قيم مشتركة بين الحضارات المختلفة، وإبراز الدور الايجابي للحوار وطالب المشروع بالتركيز على التضامن مع القطاعات الأكثر ضعفاً في

¹ . منظمة المؤتمر الإسلامي: هيئة دائمة تمثل الدول الإسلامية، اتفق على تأسيسها سنة 1969، عقب جريمة محاولة المسجد الأقصى، تضم 42 عضواً وتشرف على وكالة مختصة، الصلاواتي، الموسوعة العربية، ج7، ص3302.

² . بييرس، حوار الحضارات، ص177، وعبد الناصر، حوار الحضارات، ص20، 21.

³ . عبد الناصر، حوار الحضارات، ص21.

⁴ . المنظمة الفراكوفونية الدولية: منظمة للدول والحكومات الناطقة باللغة الفرنسية تحتوي على 55 عضواً وحكومة و30 مراقباً ويعود المصطلح الى الجغرافي الفرنسي أونسيم روكولو ، حيث حدد عام 1880 مجموعة الاشخاص والبلدان الذين يتحدثون الفرنسيه تأسست عام

wikipedia.org . 1970

المجتمع الدولي، كما تضمن مشروع البيان وبرنامج العمل مقترحات متعددة لتفعيل حوار الحضارات¹.

5. الاتحاد الأوروبي:

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تزايد الوعي داخل الإتحاد الأوروبي، ومؤسساته المختلفة بضرورة استبعاد أطروحة صدام الحضارات، والبدء بسياسة نشطة في مجال الحوار بين الحضارات.

وعقد الإتحاد عدة مؤتمرات ولقاءات في سبيل ذلك كالمؤتمر الغير عادي المنعقد في بروكسل في الفترة من (5-6) نوفمبر سنة 2001م حيث أعلن فيه الشجب لأحداث سبتمبر وأكد من خلاله على ضرورة تعميق الحوار بين الحضارات، بادر البرلمان الأوروبي بعقد لقاء غير عادي للمنتدى البرلماني الأوروبي - المتوسطي وذلك بتاريخ 8 نوفمبر سنة 2001م، تم فيه الإتفاق على ضرورة تعزيز الحوار بين الثقافات وتنويع أشكاله لتحقيق التفاهم بين الشعوب وتجنب الصدام².

وتم عقد مؤتمر آخر في بروكسل في (20-22) مارس سنة 2002م تمخض عنه مبادرة جديدة للاتحاد الأوروبي سميت "برنامج عمل للحوار بين الثقافات والحضارات" وأكدت هذه المبادرة على المبادئ الأساسية للحوار، وأهدافه، كما أكدت على ضرورة إنشاء مؤسسة أوروبتوسطية لتنشيط الحوار، وقد أقر وزراء خارجية الدول الأورو متوسطية هذه المبادرة في مؤتمر لاحق آخر.

وأظهر الاتحاد الأوروبي اهتماماً وجدية واضحة بحوار الحضارات في مؤتمرات أخرى وحث على ضرورة تفعيل هذا الحوار، ورصد مبالغ مالية لتوفير إطار مؤسسي يهدف إلى تحديد وتطوير وتفعيل حوار الحضارات كتمويله لإقامة " المؤسسة الأوروبتوسطية لحوار الحضارات والثقافات"³.

¹ . عبد الناصر، حوار الحضارات، ص24، 23.

² بيبيرس، حوار الحضارات، ص179.

³ . بيبيرس، م، ن، ص179-181.

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة الرامية لتفعيل حوار الحضارات، وأحداث نتائج أكبر على الصعيد الدولي والحضاري، نجد أن هناك اختلافاً يدور حول جدية وفاعلية هذا الحوار، فمنهم من شكك في جدواه معتبرينه غير مجد وأنه لم يحقق شيئاً ذات قيمة، وأنه ذو طابع رسمي يدور في غرف مغلقة¹، يفرض فيه القوي إرادته على الضعيف.

ومنهم من اعتقد بزيادة أهميته وعظيم جدواه وكبير منفعته، خاصةً في ظل تداول الاتهامات والمخاوف بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، النابعة عن كثرة التداعيات الدولية المتعلقة بهما وفي ظل الصراع بنظرية هنتجتون، مما زاد من الحاجة إليه وأكسبه المزيد من الواقعية والإهتمام.

ولعل هذا ما يبرر قول عبد العزيز التويجري: "إن الحاجة إلى حوارٍ هادف يقوم بين الثقافات والحضارات تنبع أساساً من طبيعة هذا العصر الذي اشتد فيه الصراع بين الدول والأمم والشعوب، وفشا فيه النزاع حول المصالح والمواقف والسياسات، واكتسى فيه تعامل البشر بعضهم مع بعض وعلى عدد من المستويات طابع الحدة والضراوة، بينما تراجعت القيم الإنسانية السامية".²

وبين الصورة السلبية المتشائمة، والصورة الإيجابية المتفائلة ومن أجل الحصول على نتائج أكثر ايجابية وواقعية، وضع الكثير من المؤلفين والمفكرين شروطاً لهذا الحوار.

د- شروط الحوار³ :

لقد تعددت الشروط الموضوعية لحوار الحضارات وذلك وفقاً للظروف والمناخ والزمن الذي يتم فيه الحوار وطبيعته⁴، ومن أبرز تلك الشروط ما يلي:

¹ . الأسد، ناصر الدين، نحن والآخر صراع وحوار، ط1، ص75، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997.

² . التويجري، الحوار من أجل التعايش، ص149.

³ . كان يطلق على شروط الحوار قبل عشرة قرون تقريباً شروط المناظرة أو أصول الجدل، العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية للحوار، ص80.

⁴ . العليان، م، ن، ص79، 80.

1. التكافؤ/ المساواة:

يساهم تكافؤ الأطراف المتحاوره ومساواتها في إيجاد أرضية يكون فيها الشعور المتبادل بالإعتبار والندية والإرادة المشتركة لكلا الطرفين، مما يساعد في انجاح الحوار؛ كونه البديل عن التفاوت في مستويات المتحاورين، بحيث لا يشعر أحد الطرفين بالدونية، ولا يستطع طرف أن يفرض رأيه على الآخر¹

"فالحوار يجب أن يكون قائماً على قوة الأطراف المتفاعلة وتوازن المصالح بينها، ومن ثم ينتقي استبداد الهيمنة"².

وعلى الرغم من حالة الضعف التي يمر بها العالم الإسلامي إلا أنه بإمكان المسلمين إيجاد نوع من توازن المصالح بما أوتوا من مقدرات بشرية ومدخرات مادية وطبيعة جغرافية، وتاريخ حضاري عريق، إذا توفرت الإرادة لذلك، وكما أن للمسلمين مصالح عند الغرب، فإن للغرب مصالح كثيرة يسعى لتحقيقها في العالم الإسلامي، ومن هنا فإنه بالإمكان إيجاد حالة من توازن المصالح، و"معرفة هذه المصالح والإعتراف بها وإقامة تبادل متكافئ أو شبه متكافئ بينها عامل مهم من عوامل بناء الثقة، وفي مقدمة هذه المصالح مصلحة الأمة في تحقيق ذاتها، وفي حرية تصرفها في ثرواتها، وفي الإعتراف بلغتها وثقافتها وعقيدتها، بعيداً عن محاولات تنزيب تلك الذات وطمس معالمها وبعيداً عن فرض ثقافة الآخر وطغيان لغته ومصطلحاته ومفاهيمه"³.

ولإيجاد حالة من التوازن لا بد من توحيد الجهود وتوثيق التنسيق وإيجاد صورة حية للتضامن الإسلامي ولهذا يقول عبد العزيز التويجري:

"إن من أسباب توقف الحوار عند هذا الحد ضعفنا نحن وتشتت جهودنا وقلة التنسيق فيما نقوم به من عمل... إن حوارنا مع الغرب سيظل دائماً مرتبطاً بأحوالنا الداخلية وبأوضاعنا السياسية والإقتصادية، وبما نملكه من أسباب القوة المادية والتأثير المباشر"⁴.

¹ . العليان، م.ن، ص80.

² العولمة والهوية الثقافية، حوار الحضارات وتفاعلها بين الوحدة والتنوع.. مصطفى السعدني، ص760.

³ الأسد، نحن والآخر، ص79.

⁴ . التويجري، الحوار من أجل التعايش، ص55، 56.

2. الاحترام المتبادل:

والإحترام يقوم على أساس الإعتراف بالآخر والاعتراف بأن الاختلاف والمغايرة سنة كونية وضرورة بشرية، وعلى حقيقة أن الناس كلهم أطلقوا من نفس واحدة (الأخوة الإنسانية).¹

والإعتراف بالآخر واحترامه والإقرار له بحق الحياة والتعايش معه ومشاركته في صناعة الحاضر والمستقبل يساهم في التوصل إلى قرارات إيجابية²، وإلا فالحوار سيصبح من طرف واحد، ويكون عندها مجرد محاولة لكل طرف غزو الطرف الآخر ودحره، وبالتالي ستحل الآثار السلبية بدل الآثار الإيجابية المرجوة لهذا الحوار.³

وقد دعانا القرآن الكريم أن نلتزم بالاحترام والإحسان في الحوار فقال عز من قال: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "⁴.

3. تحديد أهداف وقضايا الحوار:

إن تحديد الأهداف الرئيسية والفرعية في الحوار بين الحضارات أو الثقافات، شرط أساسي لترتيب قائمة الموضوعات التي يتعين أن يشملها الحوار⁵، فبدون هذا التحديد سيكون الحوار دائراً في حلقة مفرغة، وسيتشعب كثيراً، ولن يؤدي إلى نتائج عكسية، و يوجب الخلافات الموجودة.

4. تهيئة الأجواء الهادئة للحوار:

إن إيجاد مناخ هادئ للمتحاورين، يساعد في عدم استفزاز شعور الآخر، أو صدمه بإثارة كلام أو موقف أو انفعال قد يحبط مقتضى الحوار الذي تسعى إليه الأطراف، كما

¹ . العليان، حوار الحضارات، ص82.

² . مرشو، غريغوار منصور، والحسيني، سيد محمد صادق، نحن والآخر، ص121، ط1، دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، (1422 هـ - 2001م).

³ . الغرب وبقيّة العالم بين صدام الحضارات وحوارها ، حوار الحضارات: شروطه ونطاقه، محمد سليم العوا ، ص 244 ، ط1، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، 2000م.

⁴ . سورة النحل 16، آية رقم 125.

⁵ . التويجري، الحوار من أجل التعايش، ص149.

تساهم الأجواء الهادئة في الحوار في تقرير وجهات نظر المتحاورين، وتجعلهم يحكمون العقل والمنطق بدل العاطفة والانفعال¹.

ويعطي نتائج سلبية من خلال عدم القدرة عن الدفاع، وذلك للجهل بطبيعة القضية المطروحة، وإن كانت ذات أهمية².

5. الإنطلاق من المبادئ المتفق عليها:

حتى يحقق الحوار النجاح المنشود، ينبغي أن ينطلق من القضايا والموضوعات المتفق عليها بين الجانبين، والتي تمثل أرضية صلبة للإنطلاق فينطلق من القضايا التي تشغل الإنسانية كمحاربة الظلم والعدوان على الشعوب ومناهضة روح الهيمنة، وحرمان الشعوب من حقوقها وما إلى ذلك³.

كما لا بد أن يتسع مجال الحوار ويتعمق ليشمل الموضوعات ذات الصلة بالحياة الثقافية والفكرية والإقتصادية والإجتماعية والعلمية، ليؤثر على مجمل العلاقات بين المسلمين والغرب ولتعود الفائدة على الجميع⁴.

6. التحضر والعدل والموضوعية:

حتى يكون الحوار أكثر جدية لا بد من أن يكون متحضراً، يبعد فيه عن الموضوعات التي تثير اختلافات كبيرة وحادة والتي بحاجة إلى تنازلات كبيرة تخص الثوابت، فإثارة مثل ذلك قد يؤدي إلى ردود عكسية أو إلى إيقاف الحوار⁵.

وحتى ينجح الحوار لا بد من أن يتم في إطار العدل والموضوعية، فبدونهما لن يتحقق السلام المنشود، ولن يتوطد الاستقرار ولن يكون هناك جسوراً من التفاهم والتعاون بين الشعوب والدول⁶.

¹ . العليان، حوار الحضارات، ص84.

² . فضل الله، الحوار في القرآن، ص51.

³ . العليان، م، س، ص85، 86.

⁴ . التويجري، الحوار من أجل التعايش، ص50.

⁵ . التويجري، م، ن، ص50.

⁶ . العليان، م، س، ص86.

7. الاستمرار والتجديد:

ولتحقيق المزيد من النجاحات للحوار لا بد من الاستمرار والتواصل في الحوارات، لأن الاحاطة بجوانب التماثل والتمايز ثم الإفادة في عملية بناء الحوار التي تعتبر عاملاً مهماً في الحوار، لا تتم في بعض الجلسات، كما لا يحيطها فرد أو مجموعة أفراد ولكنه بحاجة إلى تواصل مستمر يتعدد فيه المشاركون بتعدد جوانب الحياة.¹

والذي أميل إليه أن حوار الحضارات يعمل على التقليل من فرص الصراع والصدام الحضاري، وهذا يظهر من خلال الجدية والاهتمام الكبير الذي أظهرته بعض المنظمات والمؤسسات الدولية بهذا الجانب، كما يظهر من خلال توصيات المؤتمرات المتعددة والتي في مجملها تؤكد على ضرورة الإلتزام بالتعايش السلمي، وبحث قيم التسامح والتفاهم، وتقبل الآخر، وضرورة احترام المعتقدات الدينية ونبذ العنف والصراع وما إلى ذلك من التوصيات التي تقف في وجه فكرة الصراع.

كما أنه بالإمكان الحصول على نتائج أكبر لو التزم بالشروط الحوارية المذكورة، خاصة فيما يتعلق بتكافؤ المتحاورين والشعور بالندية فلا تعمل حضارة أو دولة للسيطره والهيمنه على الحضارات أو الدول الأخرى أو التعدي عليها مع العلم ، أنه يمكن تحقيق ذلك من خلال العمل على تحقيق توازن المصالح، بما يسهم في دعم مسيرة الحوار ويجعل القرارات الصادرة عنه مدعاةً للتطبيق من قبل جميع المتحاورين بشكل أكبر.

¹ . الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها ، حوار الحضارات: شروطه ونطاقه، محمد سليم العوا، ص245.

المبحث الثاني : حوار الأديان

أ- المفهوم:

إن كلمة الدين من أكثر الكلمات استعمالاً وذبوعاً في القديم والحديث¹. وهي تشمل معانٍ عديدة، فتطلق على ما يتعبد الله تعالى به وتطلق على الإسلام والجزاء والعادة والعبادة، والمواظب من الأمطار أو اللين منها، والطاعة، والساس، والذل، والإيفاء، والداء والحساب، والقهر، والسلطان، والملة، والحكم، والسيرة والتوحيد، والتدبير، والملك، والورع والمعصية، وغيرها².

وقد أرجع محمد عبد الله دراز³ الاختلاف في هذه الدلالات إلى الاختلاف في الاشتقاق مبنياً على أنه إذا قيل "دانه دينا فهذا يعني ملكه وحكمه وساسه وقهره وجزاه ، فالدين هنا يعني التصرف والملك وإذا قيل "دان له" فهذا يعني الخضوع والطاعة والعبادة والورع، وإذا قيل "دان بالشيء" أي أتخذة ديناً ومن هنا، فالدين هنا بمعنى المذهب والطريقة⁴.

فكلمة الدين عند العرب تشير الى وجود علاقة بين طرفين يعظم أحدهم الآخر ،فمعناها يدور حول لزوم الانقياد⁵ وعلى هذا عرف بأنه "الاعتقاد بوجود ذات، أو ذوات غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجيد "أو هو" الإيمان بذات الهية جديرة بالطاعة والعبادة⁶.

ومن البدهي القول- عند الحديث عن حوار الأديان- أن الأديان لا تتحاور وأن أصحابها هم من يتحاورون في الشؤون الدينية وذلك لإيجاد وشائج مشتركة بين الأديان لإظهارها ومحاولة تفهم وتقبل الآخر الديني.

¹ السائح، احمد عبد الرحيم، بحوث في مقارنة الأديان، الدين نشأته الحاجة إليه، ص 17 ط1، الدوحة- قطر، دار الثقافة، 1991م

² ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 166- 171 ، مادة دين و الزبيدي، تاج العروس، م 18، ص 215، 219 مادة دين.

³ محمد عبدالله دراز : فقيه متأذب مصري أزهرى كان من هيئة العلماء بالأزهر، (ت 1377هـ - 1958م)، الزركلي، الأعلام، ج 6، ص 246 .

⁴ دراز، محمد عبد الله ، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 30- 31 ، ط1، الكويت: دار القلم، دس.

⁵ دراز ، م، ن، ص 31-32

⁶ دراز ، م، ن، ص 52

ولا يقتصر حوار الأديان على أصحاب الأديان ممن يعيشون في حضارات أو دول مختلفة ولكنه قد يكون داخل الحضارة الواحدة أو الدولة الواحدة كالحوار الإسلامي المسيحي في لبنان، وهذا بخلاف حوار الحضارات الذي ينبغي أن يكون بين ممثلين من حضارات مختلفة¹.

وحوار الأديان لا يقتصر على الحوار بين ممثلي الديانات السماوية الثلاث وإنما تعدى إلى إشراك أديان وضعية أخرى عديدة كما سيتضح.

ب- النشأة:

إن مسألة الحوار مع الآخر المغاير في الدين (الآخر الديني) والإفتاح عليه ليست أمراً مستحدثاً ؛ وإنما هي مسألة قديمة ترجع إلى بدايات ظهور الإسلام، إذ ظهر الإسلام في بيئة كان أهل الكتاب شديدي الحضور فيها²، وقد بدأهم الإسلام بالحوار، متجلباً وبوضوح فيما حمله القرآن الكريم من حوارات عديدة، يمكن حصرها في اتجاهين. **أحدهما:** تمثل في دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان به واعتناقه.

وثانيها: تمثل في دعوتهم إلى التعايش معه بعد الاعتراف به إذا رفضوا الإيمان به - إذ لا يمكن التعايش مع الرفض والإنكار³.

وكما ركز الإسلام على الحوار الذاتي من خلال استخدام العقل، فقد ركز كذلك على الحوار مع الإنسان الآخر الذي يحمل فكراً أو معتقداً مغايراً ، وهذا ما جاء به جميع الأنبياء حيث كانوا يعرضون دينهم الجديد على أقوامهم، مستخدمين الحوار و النقاش في ذلك، وإن لاقوا ما لاقوا من أسباب السخرية والظلم والاستبداد⁴.

وقد أسس القرآن الكريم لهذا الحوار بشكل قوي ومتين فقال عزوجل: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"⁵.

1 حوار الحضارات و المشهد الثقافي العربي ، حوار الحضارات تحرير ، ص 23-24

² فضل الله، محمد حسين، في آفاق الحوار الإسلامي- المسيحي، ص 11-12، ط2، بيروت، دار الملاك، (1418هـ - 1998م).

³ المولى، مسعود، الحوار الإسلامي - المسيحي، ضرورة المغامرة، ص9، بيروت: ط1، دار المنهل اللبناني، (1416هـ - 1996م)

⁴ فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي ، ص 11-12

⁵ سورة آل عمران آية 3 ، رقم 64

فهذه دعوة منصفة ليجتمع المسلمون وأهل الكتاب على كلمة سواء، فيقف أمامها الجميع على مسافة واحدة، ومستوى واحد، لا يعلو بعضهم على بعض، فيعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً¹ ولا يسجد بعضهم، ولا يطع بعضهم بعضاً في معصية الله، ولا تجعل غير الله رباً، وإنما يكونون كلهم عباد الله².

وكما أسس القرآن الكريم لروحية الحوار واللقاء بالكلمة السواء فقد أشار إلى عمق المحبة والمودة، التي يكتنفها النصارى، وذلك لوجود الرهبان والقساوسة وللتواضع المرتكز على المحبة في النصرانية لمن يلتقون معه في القيم الروحية المشتركة مما يمثل خطأ عريضاً، أوصى به القرآن الكريم من موقع المودة مع النصارى³ فقال جل من قائل: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ"⁴.

ولا يوجد في الإسلام موضوعات محددة يجب التوقف عندها، أو لا يجوز تجاوزها فكل شيء قابل للحوار، فلا مقدسات ولا محرمات في ذلك، فقد حاور القرآن الكريم من رفض دعوة الرسول أو تعرض له بالسخرية أو رماء بالجنون أو اتهمه بالشاعر وما إلى ذلك أو حتى شكك في القرآن الكريم كل ذلك - بأسلوب حوارى رفيع ودقيق⁵.

أما في العصر الحديث فقد أسس لحوار الأديان بعد أن قوبل التنصير عند النصارى بتنشيط الدعوة من قبل المسلمين مما حدا ببعض النصارى بالتحول من التنصير إلى الحوار وكان على رأس هؤلاء الفيلسوف واللاهوتي الروسي فلاديمير سولوفيف Vladmir Solovyov، (1853-1900م) حيث حاول إقامة وحدة روحية بين الديانات الثلاث، والمستشرق الفرنسي وعالم الإسلاميات والتصوف لويس ماسينيون Louis Massignon، (1883-1962م)⁶ الذي اهتم بالتصوف الإسلامي وانسجم معه، وحاول إقامة علاقات مع

¹ قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 1، ص 406، ط17، [جديدة مشروعة] القاهرة: دار الشروق، (1412هـ-1992م)

² الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، (حققه محمد بن عبد الرحمن عبد الله)، (خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسبوني)، ج1، ص 340، ط1، بيروت: دار الفكر، 1987م.

³ العلاقات الإسلامية المسيحية، قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل، العلاقات الإسلامية المسيحية: قراءات إسلامية في الراهن والمستقبل، محمد حسين فضل الله، ص 37، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1994م

⁴ سورة المائدة5، آية رقم 82

⁵ فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، ص 12-13

⁶ جورافسكي، أليكسي، الإسلام والمسيحية من التناقص والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، (ترجمة خلف محمد الجراد) ص 108-109، ط 3، دمشق: دار الفكر، 2005م

المسلمين فعمل على إنشاء "دار السلام" في القاهرة، وهو مكان يلتقي فيه النصارى والمسلمين في مناسبات دينية وعلمية¹.

وقد عمدت فرنسا في تلك الأثناء وتحديداً عام 1932م، إلى إرسال ممثلين لها ليفاوضوا رجال الأزهر في فكرة توحيد الأديان² الثلاثة، الإسلام والنصرانية واليهودية³، وتم عقد مؤتمرين عالميين للأديان أولهما كان في لندن عام 1926م، والثاني كان في جامعة السوربون في باريس عام 1937م، وقد أشرف عليهما المجلس العالمي للأديان، ودعي إليهما عدد كبير من رجال الدين في العالم، وكان يهدف من ورائهما دراسة أوضاع العالم، خاصة وأنه كان على أبواب الحرب العالمية الثانية ولم يصدر عن المؤتمرين أية قرارات أو توصيات⁴.

وجرى التحول التاريخي في انطلاق الحوار وذلك بانطلاق المبادرة المسيحية التي صدرت عن المجمع الفاتيكاني الثاني، حيث تم الاعتراف بالمسلمين بأنهم ممن يشملهم الخلاص⁵ وفتح المجال لجعل أبواب العلاقات والحوار مع المسلمين مفتوحاً فمما جاء في البيان الأول الصادر في 21 تشرين الثاني عام 1964م ما نصه: "بيد أن تدبير الخلاص يشمل أيضاً أولئك الذين يؤمنون بالخالق وأولهم المسلمون الذين يعلنون أنهم على إيمان إبراهيم ويعبدون معنا الله الواحد الرحمن الرحيم، الذي يدين الناس في اليوم الآخر"⁶.

كما طالب بضرورة تناسي الجوانب المظلمة الماضية، وإبراز القواسم المشتركة بين الدينين واعتمادها للعمل، فجاء في البيان الثاني، "وإذا كانت قد نشأت على مر القرون منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين فالمجمع المقدس يحض الجميع على أن

¹ بوسة، هيربرت، أسس الحوار في القرآن الكريم، دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية، (ترجمة: احمد محمود هويدي)، (مراجعة: عمر صابر عبد الجليل) ص 197، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م

² تقوم فكرة توحيد الأديان أو وحدة الأديان خاصة السماوية منها على أن كل الناس الذين لهم دين هم أناس مؤمنون ولا فرق بينهم ولا تناقض فهم بوحدون بين الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام ويطلقون عليها الديانة الإبراهيمية نسبة إلى إبراهيم عليه السلام باعتباره الأصل أو الأب لأصحاب الديانات السماوية الثلاث، وقد حذر من هذه الفكرة لأنها تقيد بأن الإسلام ما هو إلا صورة مكررة للديانات السابقة وأن محمداً عليه السلام لم يأت بجديد فقد عدت بأنها محاولة من المحاولات التي ترمي لتدمير الإسلام وتذويبه لمزيد من الاطلاع انظر: عجب، الحوار الإسلام المسيحي، ص 434-457

³ www.petra.gov.jo/artical.aspx?acsection=9&acrticle=74183?lng=&

⁴ عجب، الحوار الإسلامي المسيحي، ص 240، 241

⁵ خلاص البشر: يعني تخليص الإنسان من الخطيئة الأصلية التي سببها آدم - عليه السلام - ليظهر الإنسان، عجب، م. ن، ص 296

⁶ حداد، جوليت، البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (من 1373هـ / 1412هـ - 1954م / 1992م)، (إشراف أوغسطين وبيرة لاتور وهشام نشابه)، ط1، ص 29، بيروت: دار المشرق، 1995م.

يتناسوا الماضي، وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل ويصونوا ويعززوا معاً العدالة الاجتماعية والخير الأخلاقية والسلام والحرية لفائدة جميع الناس"¹.

وإبان انعقاد المجمع المسكوني² قرر البابا بولس السادس تأسيس أمانة سر خاصة بشؤون الحوار مع الديانات غير المسيحية، وأطلق عليها فيما بعد "المجلس البابوي للحوار بين الأديان"، حيث يعني بتعميق التقارب بين إتباع الديانات المختلفة³.

وانبثق عن مجلس الكنائس المسكوني⁴ في جنيف - والذي يضم أكثر من ثلاثمائة كنيسة ومذهب - عام 1971م لجنة فرعية للحوار تتكون من مقر دائم ومكتبيتين خاصتين أحدهما للعلاقات مع الإسلام والآخر للعلاقات مع اليهودية بهدف توثيق الروابط الروحية والفكرية بين الديانات السماوية، والعمل على التعاون بين أصحاب الديانة المسيحية والديانات السماوية الأخرى⁵.

ج - طبيعة الحوارات وأهميتها:

لقد كان لإعلان المجمع الفاتيكاني الثاني كبير الأثر على مسيرة الحوار بين الأديان إذ بدأت الكنائس تحذو حذو الفاتيكاني، وكان من أوائل الآثار في ذلك إلقاء كاردينال الكنيسة الكاثوليكية ف. كينغ، محاضرة مهمة في الأزهر بالقاهرة⁶ وقيامه بزيارة المسجد الأموي بدمشق واستماعه إلى خطبة فيه عن المسيح ومريم وعليهما السلام⁷.

ومنذ ذلك الحين واللقاءات تجري بشكل مستمر بين الطرفين، وقد أخذت طابعاً فردياً وجماعياً وذلك من خلال المؤتمرات والندوات والملتقيات، وصدر عنها العديد من البيانات والكتب والتوصيات - فلست بصدد عرض هذه الحوارات أو الدخول في تفصيلاتها فهذا

¹ حداد، البيانات المسيحية الإسلامية، ص 29.

² المجمع المسكوني: مجمع يشمل كل ممثلي الكنيسة الدينين وتعتبر قراراته أساساً للعقيدة، الموسوعة العربية، الميسرة، ج2، ص 1652.

³ بورمانس، مورييس، والنيفر، إحميدة، مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، ص 141، 140، ط1، دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، سنة 2005م.

⁴ مجلس الكنائس المسكوني، تألف بأسترداد سنة 1948م، من مندوبين يمثلون 150 طائفة بروتستانتية، وأرثوذكسية في 44 بلداً من بلدان العالم بهدف إيجاد شراكة بين الكنائس، الموسوعة العربية الميسرة، ج2، ص 1651.

⁵ بورمانس والنيفر، مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، ص 141، 140.

⁶ جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التفاهم، ص 149.

⁷ بوسة، أسس الحوار، ص 199.

مما يطول ويحتاج الى دراسة منفصله فاكتفي بالاشارة لبعض الدراسات مما دار حولها فهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها في هذا المقام إذ قدرت بالمئات-¹.

وقد حاول الدكتور بسام عجبك في رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير الموسومة بـ "الحوار الإسلامي المسيحي" إحصاء الحوارات المنعقدة في الفترة ما بين (1900-1989م)² كما صدر عن معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية التابعة لجامعة القديس يوسف في بيروت "البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، وفيها جميع الوثائق الأساسية الصادرة عن اللقاءات الحوارية المنعقدة بين الجانبين في الفترة (1954-1995م) والفترة (1995-2001م) كما تضم الأماكن والتواريخ والموضوعات وأصحاب المبادرات والتصريحات والتوصيات لتلك الحوارات.

وأبرز ما يميز هذه الحوارات ما يلي:

- أن المسيحيين هم أصحاب المبادرة للحوار، وأن المسلمين كانوا في البداية غير متحمسين له، حيث كان يشكك في نوايا المسيحيين، وينظر إلى المبشرين على أنهم عملاء يخدمون المصالح الإستعمارية³ وكانت المناخات غير مناسبة للحوار- في نظر الكثير من المسلمين⁴ - . ثم تطور الأمر إلى أن أصبح هناك قناعة لدى المسلمين للحوار وضرورة المشاركة فيه⁵ بحيث أصبح هماً إسلامياً وقضية أساسية في السنوات الأخيرة عندهم⁶.

-غلب على الأطراف المتحاورة الطابع الرسمي منذ البدايات، فيما عدا بعض الاستثناءات كلبنان والتي تعد من طليعة الدول التي بدأ فيها الحوار⁷ وربما كان لتركيبته السكانية أثراً في ذلك.

- ثم اتسعت بيئة الحوار لتضم مسلمين مختصين ولا يمثلون بالضرورة سياسات خاصة تخضع لحكامهم، وأصبح الحوار عبارة عن عرض لكلمات متبادلة في موضوعات محددة.

¹ العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل العلاقات الإسلامية المسيحية والحوار الإسلامي المسيحي، رضوان السيد ، ص 60، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية، 1994م.

² لمزيد من الاطلاع انظر الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي، ص 217-281

³ جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التناقض، ص 154

⁴ الحسن، يوسف، الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، ص 4-5، ط1، أبو ظبي، منشورات المجمع الثقافي، سنة 1997،

⁵ الحسن م. ن ، ص 5

⁶ المولى، الحوار الإسلامي المسيحي، ص 127

⁷ من أوائل المؤتمرات المنعقدة في لبنان بهذا الشأن كان عام 1954م وكان موضوعه "القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية" أنظر: حداد، البيانات المسيحية الإسلامية، ص16

مما لا يفتح المجال لدراسة تفصيلات الأمور المختلف عليها، و يقلل من فرص الوصول التي نتائج متفق عليها من قبل الطرفين، وبالتالي التقليل من فرص صدور البيانات¹.

- لقد اختلفت المواقف والأراء من الحوار الإسلامي المسيحي، عند كل من الطرفين فمنهم من أيده، و رأى ضرورته، ومنهم من رفضه وطالب بالحد من نتائجه².

- يعد الجانب المسيحي أكثر تنظيماً أو دقة ومتابعة لما يجري من حوارات حيث يقومون بعقد مؤتمرات خاصة يتم فيها دراسة وتحليل لكل الجهود والمبادرات التي قامت بها الكنائس في مجال الحوار في فترات محددة³ كما وضعت الكنيسة أسساً وقواعداً وأهدافاً لأي حوار مع المسلمين⁴ في حين يفتقر المسلمون للقيام بمثل ذلك في ظل افتقارهم إلى هيئة عالمية تنظم إدوارهم وتوحد جهودهم.

- إن موضوعات الحوار متنوعة، وقد حاول كل فريق بحث موضوعات تتناسب ومصالحه وأهدافه، فحاولت الكنيسة مع بدايات الحوار كسب المسلمين في مواجهة الشيوعية، من خلال استقطابهم كأهل دين في وجه الإلحاد، فعرضت للقيم والأخلاق التي يتميز بها أهل الدينين ثم أدخلت في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي القضايا الإجتماعية والسياسية في الحوار ومن ثم أدخلت ما يعرف بقضايا حقوق الإنسان والديمقراطية، أما المسلمون فكانت قضايا الحرية في فلسطين ومشاكل الأقليات الإسلامية في العالم همهم الأساس⁵:

ولعل هذا ما عبر عنه محمد فضل الله بقوله: " إن التنسيق في قضايا الظلم والعدل في المنطقة والعالم بين المسيحية والإسلام في حركة المسيحيين والمسلمين هو الذي يجعل من اللقاء مسألة حياة في وعي الوجدان و في عمق الروح وفي امتداد الواقع"⁶، وان الناظر في طبيعة الموضوعات المطروحة في الحوار يجد أنها أصبحت واسعة لتشمل قضايا كثيرة فتضم كل ما يتعلق بالديانات بما فيها العقائد والأنبياء، وتضم نقاط التلاقي بين أصحاب تلك

¹ العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل العلاقات الإسلامية المسيحية والحوار الإسلامي المسيحي، رضوان السيد ، ص 62.

² عجبك، الحوار الإسلامي المسيحي، ص 377.

³ لمزيد من الاطلاع انظر : بورمانس ، مستقبل الحوار الاسلامي المسيحي ، ص 141

⁴ عجبك، م.س، ص 378

⁵ العلاقات الإسلامية المسيحية، رضوان السيد ، ص 61-62.

⁶ العلاقات الإسلامية المسيحية ، فضل الله، 41 .

الديانات والعمل على نشرها، وتبحث سبل التعايش السلمي ، و تدرس مشكلات البشرية من فقر وحروب ومهددات وطررد الوقاية منها ووضع الحلول لها¹ وقد قيل "أن موضوع العلاقات المسيحية الإسلامية يشمل ناحيتين متلازميتين: العلاقات بين الديانتين المسيحية والإسلام، والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين².

وكما أحدث المجمع الفاتيكاني الثاني التحول التاريخي في انطلاق الحوار الإسلامي المسيحي، فقد أحدث كذلك انطلاقة الحوارات المسيحية واليهودية بعد تبرئة اليهود من ذنبهم مع المسيح³، مع العلم أنها لم تأخذ طابعاً موسعاً كما هو الحوار الإسلامي، كما بدأ المسلمون الحوار مع اليهود وأن كان التأثير الفعلي له ضئيلاً.

وقد دفع الحوار الثنائي بين الديانات السماوية إلى الحوار الثلاثي أو متعدد الأطراف ليضم الديانات السماوية الثلاث إضافة إلى بعض الديانات الوضعية، فقبل فترة قصيرة من بيان الفاتيكاني عام 1965م ، تم تأسيس "مؤتمر دائم من اليهود والنصارى والمسلمين في أوروبا" حيث عمل على عقد عدة حلقات دراسية تختص بالديانات الثلاث، كما تأسس في باريس عام 1967، "الأخوة الإبراهيمية"⁴، بهدف المساعدة على إيجاد التفاهم بين أصحاب الديانات الثلاث⁵.

وتأسس عام 1978 في جامعة جورج تاون في واشنطن مركز "استمرار مجموعة الحوار الثلاثي اليهودي النصراني الإسلامي". وهو مختص بدراسة مواضيع تتعلق بالديانات.

كما أقيم في نفس الجامعة "مركز التفاهم المسيحي الإسلامي" والذي أصبح فيما بعد يعرف بمركز الوليد بن طلال للتفاهم المسيحي الإسلامي.

¹ لمزيد من المعلومات عن موضوعات الحوار .انظر: حداد البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، وعجك، الحوار الإسلامي المسيحي، ص 287-371

² بترس، كيرلس سليم، أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك (1) من سلسلة المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون ، ص 55، د.ط (إشراف عادل تيودور ومشيرعون)، جونية لبنان: مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البوليسية، 1999

³ حداد ، البيانات الإسلامية المسيحية ، ص 28، والمولى، الحوار الإسلامي المسيحي، ص 87.

⁴ اشتق مصطلح الإخوة الإبراهيمية من فكرة أن أصحاب الديانات الثلاث "موسى وعيسى محمد عليهم السلام هم من ذرية إبراهيم، وهو قريب في معناه من فكرة توحيد الأديان والديانة الإبراهيمية

⁵ بوسة، أسس الحوار في القرآن الكريم، ص 203-206

وبعد اتفاقية كامب ديفيد¹ نشطت الاتصالات بين دوائر إسلامية ويهودية في مصر والولايات المتحدة، وعلى أثرها تم تبادلًا دراسيًا حيث قام أعضاء من كل طرف بالدراسة في جامعات الآخر، وقد دفع الحوار الثلاثي إلى تأسيس بعض المدارس بحيث ضمت طلاب من ديانات متعددة².

ومع مطلع هذا القرن عقد مؤتمرات عديدة تخص الأديان المتعددة، ويسجل في هذا للدوحة الأثر الكبير في استضافة العديد من مؤتمرات حوار الأديان، إذ تم عقد أول مؤتمر فيها بهذا الشأن عام 2003م، وتم إنشاء مركز خاص يعني بالحوار بين الأديان يسمى "مركز الدوحة لحوار الأديان"، وعقد آخر مؤتمر فيها في 21-أكتوبر عام 2009، وهو بعنوان "التضامن الإنساني في مواجهة الأزمات"، شارك فيه نحو 170 عالماً وأكاديمياً وسياسياً من مختلف الديانات، وتم التركيز فيه على قضايا الأمن والسلام العالميين، وقضايا التكافل الإنساني في مواجهة التحديات التي تواجهها البشرية³.

ورعى الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز بعض هذه المؤتمرات، كالمؤتمر العالمي للحوار بين الأديان الذي استضافته أسبانيا، فانعقد في مدريد في الفترة ما بين 16-18 يوليو تموز سنة 2008م. وتم فيه مناقشة قضايا الحوار، وأثره والعمل على تعزيزه، وتطرق لقضايا التعايش السلمي ونفي الصراع، وإظهار المشترك الإنساني والواقع الأخلاقي وأهمية الدين في محاكمة الجرائم والمخدرات وحماية البيئة وإشاعة ثقافة الحوار⁴.

وتعد الأمم المتحدة راعياً أساسياً في متابعة وعقد الكثير من المؤتمرات والتي كان من آخرها "مؤتمر اتفاقية السلام لحوار الأديان" حيث تم عقده في مقر الأمم المتحدة بنيويورك في الفترة 12-13 تشرين الثاني عام 2008م بناء على طلب الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز، ومن أبرز ما أكدته المؤتمر في ختامه ضرورة الالتزام بحقوق الإنسان

¹ اتفاقية كامب ديفيد: هي اتفاقية سلام بين مصر والكيان والصهيوني تمت في 26/4/1979م. من أبرز بنودها اعتراف مصر بإسرائيل كدولة شرعية ذات سيادة مقابل الانسحاب من سيناء خلال ثلاث سنوات لمزيد من الاطلاع انظر مثلاً: الحمش، منير، السلام المدان، 219-221، ط2، القاهرة : مكتبة مدبولي، 1997م . وموسوعة السياسة، (أسسها عبد الوهاب الكياني) ، (مدير التحرير ماجد نعمة) ، ج7، ص599، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1994م.

² بوسة، أسس الحوار، ص 203-206

³ www.gatar.org/Ucoipliban/Arabic/index.php?option=com_dialogue2009/index.Conference

⁴ Php.Kamalalawneh<news.Maktoob.Com

والحريات الأساسية، وتشجيع الحوار والتفاهم والتسامح ورفض استخدام الدين لتبرير قتل الأبرياء وممارسات العنف والإرهاب¹.

واستضافت كازاخستان عدة مؤتمرات كان آخرها المؤتمر الثالث بمدينة أستانا في الأول والثاني من تموز يوليو عام 2009م وكان بعنوان "دور زعماء أتباع الأديان في تحقيق السلم العالمي،" حضرة العديد من الشخصيات الدينية المختلفة وبعض الشخصيات السياسية ومندوبين عن بعض المنظمات الدولية، وقد هدف من ورائه، وضع حلول للنزاعات الدولية، ومناهضة التهديدات التي تحيك بالبشرية والعمل على مواجهة ثقافة عدم التسامح وكرهية الآخر².

ويمكن أن يلاحظ على هذه الحوارات "المتعددة الأديان" ما يلي:

1. إن القائمين على هذه الحوارات والراعين لها في البداية هم النصارى، مما أوجد شكوكاً عند المسلمين حول مدى جديتها وصدق أهدافها المعلنة، خاصة مع بروز مصطلحات مضللة كوحدة الأديان والديانة الإبراهيمية وما إلى ذلك.

2. إن وجود هذه المؤتمرات كان ضعيفاً وأن عملية التفعيل لها بدأت بشكل تدريجي بعد لحاق الدول العربية بمصر ودخولها في عمليات سلام وتطبيع مع الكيان الصهيوني مما فتح المجال لدخول حوارات متعددة يكون اليهود طرفاً فيها، كما كان لأحداث 11 سبتمبر (أيلول) عام 2001، في الولايات المتحدة أثراً بالغاً في تفعيل هذه الحوارات وجعله أكثر ضرورة بالطبع وهذا ما يظهر من خلال كثرة المؤتمرات بعد تلك الأحداث.

3. يقوم بهذه الحوارات في الغالب النخب كما أنها أصبحت تأخذ الطابع السياسي أكثر من الديني وهذا يظهر من خلال حضور شخصيات سياسية كبيرة وعديده تلك المؤتمرات .

4. أثارت قضية حوار الأديان الكثير من الجدل خاصة في الوسط الإسلامي، فنجد الكثيرين يتحفظون ويعارضون من هذه الحوارات ولعل السبب الأهم في ذلك يعود لمشاركة اليهود فيها- في الوقت الذي يغتصبون فيه أرضاً إسلامية ويقتلون ويشردون ويدمرون كل يوم،

¹ لمزيد من الاطلاع انظر www.aawsat.com/details.asp?Section=4&article

² [www.alegt.com/15/article 240356.html](http://www.alegt.com/15/article%2040356.html). 62009/0

ويلحقون المعاناة الدائمة بأصحاب الأرض الأصليين بما يتعرضون له من أساليب القهر والبطش والظلم في ظل الإحتلال الجائر، فهم بهذا ينطبق عليهم وصف "الذين ظلموا" في قوله تعالى "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ"¹.

وهذا تصريح واضح من الله - سبحانه وتعالى - باستثناء الظالمين من أهل الكتاب "بالتي هي أحسن" ولهذا قال السيد محمد حسين فضل الله "أن سلوك اليهود هذا لا يشجع بل يجعل من المحال إقامة حوار معهم إلا في نطاق أن يتخلوا عن عدوانيتهم وخططهم الماكرة ويعيدوا الأرض إلى ساكنيها... إن هذا الحوار لا ينسجم مع أي مفهوم إسلامي"².

ومما يزيد الأمر تحفظاً ، صعوبة التفريق بين ما هو يهودي غير محارب، اذ تشمله الآيات بضرورة حوار بالتي هي أحسن وبين من هو صهيوني محارب، فقد اختلط الديني بالسياسي عندهم³، وأصبح حوار الأديان يستغل من قبل اليهود لأغراض التطبيع، ولتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية ، وهذا يظهر من خلال طبيعة وفودهم للمؤتمرات المتعددة، فعلى سبيل المثال شارك الوفد الإسرائيلي في مؤتمر كازاخستان الثالث لقادة الأديان بوفد رفيع المستوى ضم رئيس الدولة شمعون بيرس ووزراء البيئة والتحتية والصناعة والتجارة والعمل والتقنية الحديثة وممثل لوزارة الدفاع، وممثلين عن أكثر من خمسين شركة كبيرة بالإضافة الى حاخام إسرائيل الأكبر مما يؤكد أن أهدافهم بالمشاركة لا تقتصر بالدرجة الأولى على الجوانب الدينية وإنما تتعدى ذلك إلى جوانب أخرى⁴.

- لا تسير هذه المؤتمرات على نسق واحد من الائتلاف والانسجام فقد يطرأ عليها بعض الاختلافات التي قد تشتد أحياناً، لدرجة انسحاب بعض الوفود من المؤتمر كما فعل الوفد الإيراني أثناء كلمة بيرس في مؤتمر كازاخستان الثالث⁵ أو كاشتداد الخلاف بين بعض الممثلين المسلمين والوفد اليهودي في مؤتمر مدريد بعد مطالبة اليهود المسلمين بتوفير الأمن ونبذ الإرهاب ومحاربة حركة المقاومة الإسلامية، والإعتراف بيهودية الدولة كشرط لحل القضية الفلسطينية⁶.

¹ سورة العنكبوت 29، آية رقم 46

² فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي ، ص 34، 33

³ [www.islamonline.net / servlet/ satellite? C= ArticleA](http://www.islamonline.net/servlet/satellite?C=ArticleA)

⁴ لمزيد من الاطلاع أنظر: القدس 15 تموز 2009، العدد 14338، ص 22

⁵ لمزيد من الاطلاع انظر: [unitedna.net/ Article. Asp? Id= 459& catId=b](http://unitedna.net/Article.Asp?Id=459&catId=b)

⁶ لمزيد من المعلومات انظر. [www.islamonline.net : / servlet/ satellite? C= articleA](http://www.islamonline.net/servlet/satellite?C=articleA)

- تركز المؤتمرات المتعددة الأديان على جوانب عديدة، يشترك فيها معظم الأديان، وتهتم البشرية بشكل عام فتتطرق لقضايا تخص الحريات والتكافل الاجتماعي والدولي، ورفع الظلم وحقوق الإنسان والتعايش السلمي وما إلى ذلك ولا تتطرق للقضايا العقديّة والدينيّة إلا من بعيد ، وربما كان ذلك للفروقات المتعددة والمتشعبة لوجود عدة أديان، بخلاف الحوار الثنائي كالحوار الإسلامي المسيحي على سبيل المثال حيث تطرق فيه لبعض التفاصيل ودقائق الأمور.

ويظهر للباحث - بعد هذا العرض مع تحفظي ومعارضتي لبعض القضايا، مما يختص ببعض إجراءات وطبيعة الحوار، خاصة فيما يتعلق باستغلالها من قبل اليهود في توسيع دائرة التطبيع وتحقيق مكاسب سياسية ودينية- أن حوار الأديان برمته يعمل نحو التخفيض من فكرة الصدام بين الدول والشعوب والحضارات وهذا يظهر من خلال المناقشات الدائرة في تلك الحوارات والتوصيات الصادرة عنها، مما يدعو للتعرف بالآخر الديني، وإزالة الجهل به والخوف منه، ومن خلال إظهار القواسم المشتركة وبحث قيم التعايش السلمي والتسامح والمحبة وما إلى ذلك من قيم ومبادئ والتحذير من استغلال الدين للقيام بالحروب لتحقيق بعض المآرب والمصالح وهذا يتنافى مع أفكار الصدام ويقلل من فرص وجودها. فتكمن أهمية حوار الأديان في الأهمية الكبيرة للدين نفسه وأثره ألا محدود في حياة الأمم والشعوب وربما لهذا قيل:

"لن يكون هناك سلام بين الحضارات بدون سلام بين الأديان"¹

¹ كونج، هانس، القيم الأخلاقية المشتركة للأديان الإسلام رمز الأمل، (ترجمة: رانيا خلاف) ، ص41، ط1، القاهرة: دار الشروق ، 2007م.

المبحث الثالث: العولمة

تعد العولمة من المصطلحات الدارجة والمنتشرة في العصر الحديث فإلام ترمي؟ وما تأثيرها على فكرة الصراع الحضاري، هذا ما سأتناوله في هذا البحث.

أ. المفهوم:

تعد العولمة ظاهرة قديمة من الناحية التاريخية، ولكنها كمصطلح وأسلوب انتشرت مع نهايات القرن العشرين وتحديداً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية، ورجحان ميزان القوى لصالح الولايات المتحدة¹، ولهذا قيل إن كثرة الكلام عن العولمة لا يعود إلى نشأة الظاهرة وإنما لنموها المتسارع.²

والعولمة على وزن "الفوعة"، وهي ترجمة للمصطلح الإنجليزي (Globalization) أو المصطلح الفرنسي (Mondialisation)، وبغض النظر عن مدى الدقة في اختيار اللفظ المقابل للعالم (Monde)، أو الكرة الأرضية (Globe)، فإن الاختيار جاء على صيغة فوعل، وهذا يحمل في معناه أن التشكيل المفروض يكون من خارج المادة، وبالتالي فهناك معنى للفوقية وأحادية الاتجاه، بدل الحوارية وثنائية الاتجاه التي يحملها اللفظ "تفاعل".³

فالعولمة تحمل معاني القهر والإجبار على لون من الخصوصية بخلاف العالمية التي هي ثمرة للتفاعل الاختياري بين الحضارات المتعددة والمتمايزة والتي تمثل القاسم المشترك للأمم والحضارات.⁴

وللعولمة تعريفات كثيرة ومتنوعة، لدرجة أنه قيل " أنه كلما كثر الحديث عن العولمة ، ازداد مفهومها غموضاً لدى عامة الناس وخاصتهم "⁵ وهذا يعود لتعدد الزوايا التي ينظر من خلالها الباحثون لهذه الظاهرة، ولإختلاف انطباعاتهم وتباين أفكارهم نحوها، فمنهم من

¹ . دودين، محمود موسى عيسى، العولمة بين الوهم والحقيقة، ص11، د.ط، د.م، دن، د.س. ، والعرب والعولمة (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، تعقيب سيار الجميل، ، ص38، 39، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1998.

² العولمة والهوية الثقافية ،العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، جلال أمين ص698 .

³ . درويش، أحمد، تحديات الهوية العربية بين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، المسلم المعاصر، العدد 98، ص6، القاهرة: جمعية المسلم المعاصر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 2000م.

⁴ . عمارة، محمد، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص13، ط1، مدينة السادس من أكتوبر، دار نهضة مصر للطباعة، 1999م(سلسلة في التنوير الإسلامي 32).

⁵ حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي ، حوار الحضارات الاسلام والغرب احمد كمال ابو المجد ، ص54.

حصر معناها في البعد المكاني فقال بأنها: "مجرد وصف لمجموعة من العمليات التي تشمل أغلب الكوكب أو التي تشيع على مستوى العالم".¹

ومنهم من نظر إليها من زاوية النظام القائم عليها معتبراً إياها "حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ".²

ومنهم من نظر إلى العولمة من الزاوية الإقتصادية المادية فقال عنها بأنها: "عملية تتميط العالم بحيث يصبح العالم بأسره وحدات متشابهة هي في جوهرها وحدات اقتصادية تم ترشيدها، أي إخضاعها لقوانين مادية عامة، مثل قوانين العرض والطلب والإنسان الذي يتحرك في هذه الوحدات هو إنسان اقتصادي جسماني لا يتسم بأي خصوصية".³

ومنهم من اعتبر العولمة "كسراً للحواجز وسقوطاً للفوارق الاثنية والثقافية وتقارباً للمسافات بمعناها المكاني والاجتماعي"⁴ وبهذا يقترب الجميع من الثقافة الكونية أو السوق الكونية أو الأسرة الكونية، ولذا نجد بعض الباحثين قد أطلق على العولمة "الكونية" من الكوننة ومنهم من أطلق عليها "الكوكبة" إشارة إلى كوكب الأرض، وإن كانت العولمة هي الأكثر انتشاراً من بينها.⁵

ويمكن القول أن هناك مجموعة من العناصر المشتركة تجمع هذه التعريفات منها:

- تجاوز الأفكار والخبرات والنظم والسلع والعادات والسياسات لبيئاتها المحلية وعبورها للحدود السياسية والجغرافية على مستوى العالم ولهذا يقال بأن العالم أصبح "قرية واحدة كبيرة".⁶

¹ . باشا، أحمد فؤاد، التقدم العلمي في ظل العولمة، المسلم المعاصر، العدد 95، ص6، القاهرة: مؤسسة المسلم المعاصر، يناير، فبراير، مارس، 2000م.

² . العظم، صادق جلال، وحنفي، حسن، ما العولمة، ص136، ط2، بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 2000م (سلسلة حوارات القرن العشرين).

³ . <http://www.elmessiri.com/articles-view.php?id=39>

⁴ العولمة والهوية الثقافية العرب ومخاوف العولمة، قراءة أولية، باقر سلمان النجار، ص302.

⁵ . القرضاوي، يوسف، المسلمون والعولمة، ص9، ط1، القاهرة: مطابع دار التوزيع والنشر الإسلامية، (1421هـ - 2000م).

⁶ . العولمة والهوية الثقافية، العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، جلال أمين، ص698.

- تقوم العولمة على عدم الإعتبار بالخصوصيات المحلية والتراثية والثقافية، بما تمتلكه من وسائل جبارة تستخدمها في بسط النفوذ خاصة في ظل التطورات الهائلة في وسائل الإتصالات.
- تلعب الدول المتقدمة دوراً بارزاً في هذه العولمة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، ولهذا يعدها البعض شكلاً من أشكال الهيمنة الغربية¹.
- إن مجالات العولمة عديدة ومتنوعة تضم جميع نواحي الحياة الإقتصادية والسياسية والثقافية والإجتماعية.

ب. العولمة وتراجع الحدود:

تعد الثورة الصناعية التي نعيشها اليوم هي الأكثر تطوراً وتتميز هذه الثورة بأنها تقوم على الإستثمار في مجال البحوث العلمية المكثفة، والاستثمار فيها يعد جزءاً رئيساً في الإستثمار الكلي، في إنتاج التكنولوجيا الجديدة، وتعد ثورة المعلومات العنصر الأساسي فيها، وتعتمد على مصدر متجدد وهو التدفق اللامتناهي واللامحدود للمعرفة والأفكار².

وتتراكم المعلومات بفترة سريعة ومتلاحقة، فيذكر أنها تضاعفت في الفترة الواقعة بين (1850 - 1925) مرة واحدة، وتضاعفت مرة أخرى في الفترة (1925 - 1950)، وكذلك في الفترة (1950 - 1970)، وقد تضاعفت ثلاث مرات في الفترة (1970 - 1993) ويتنبأ بأنها تواصل تضاعفها بينما تتناقص الفترة الزمانية³.

وتراكمت المعلومات لدرجه أنه يمكن القول أن المعلومات أصبحت أحد ثوابت المجتمع الإنساني الحديث، حيث تتفاعل المعلومات مع عناصر المجتمع الأخرى: الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والتكنولوجية⁴، فهي بمثابة سلعة تسوق ومورداً أساسياً في عمليات التنمية، ولا بد من التعايش مع هذه المعلومات، بمختلف جوانبها سواء كانت مثبتة عبر الوسائط والتكنولوجيا المختلفة أو من حيث أشكالها (المقروءة والمسموعة والمرئية)، والتي

¹ . حنفي، حسن، والعظم، صادق جلال، ما العولمة ، ص44.

² . المياح، عبد اللطيف علي، والطائي، حنان علي، ثورة المعلومات والأمن القومي العربي، ص15، 16، ط1، عمان: دار مجدلاوي للنشر، 2003م.

³ . الرميحي، محمد، المعلوماتية العربية، العربي، العدد 414، ص 20، 21 الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، مايو، 1993.

⁴ . علي، نبيل، الوطن العربي وتحديات مجتمع المعلومات، العربي، العدد 398، ص75، 76، الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، يناير، 1992.

يتم من خلالها نشر هذا الكم اللامتناهي من المعلومات بشكل سريع ودقيق للغاية، بفضل التطورات العلمية في مجال المعلومات والاتصالات.¹

ولهذا قيل أن العلم حالياً يشهد ثلاث ثورات أدت إلى ظهور ما يعرف بمجتمع المعلومات وهي:

1. ثورة المعلومات أو الانفجار المعرفي، الهائل المتمثل في الحجم الكبير واللامحدود من المعرفة بأشكالها وأنواعها المتعددة.

2. ثورة وسائل الإتصال المتمثلة بالتكنولوجيا الحديثة، كالإتصالات السلكية واللاسلكية، والتلفاز والأقمار الصناعية وما إلى ذلك.

3. ثورة الحواسيب، وما يعرف بشبكة الإنترنت.²

ونتيجةً للاختلاف الواضح بين أعضاء المجتمع الدولي في القدرات وعلى كافة المستويات، نشأ بينهم تباين في القدرات كذلك في إنتاج المعلومات - وهذا التباين ينطبق على الدول المتقدمة ذاتها وإن كان الاختلاف بينها وبين الدول النامية أشد وضوحاً.³

وقد كان للولايات المتحدة الأمريكية والدول الصناعية الأخرى النصيب الأكبر في ذلك، مما يجعل التدفق الشامل للأنباء والمعلومات ينطلق من تلك الدول، فهناك وعلى سبيل المثال: أكثر من 20 مجموعة إعلامية يفوق دخلها بليون دولار سنوياً في أمريكا، ومثلها تقريباً في أوروبا طابعها هو التحرك الأفقي والسيطرة على مساحات واسعة من الأراضي إعلامياً⁴، وأن 80% من الأنباء الموزعة يومياً في العالم تتولى إنتاجها وكالات عالمية محدودة العدد⁵، ونظراً للفاعلية الكبيرة للولايات المتحدة في مجال العولمة يطلق بعض الباحثين عليها الأمركة.⁶

¹ . عليان، ربحي مصطفى، مجتمع المعلومات والواقع العربي، مجلة رسالة المكتبة، العدد الثاني، ص6، عمان: مجلة المكتبات والمعلومات الأردنية، حزيران، 2004م، وانظر: بطرس، انطوان، المعلوماتية على مشارف القرن الحادي والعشرين، ص21، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1997م.

² . عليان، م.ن، ص7، وعلى، الثقافة العربية، ص92، وكاظم، نجاح، العرب وعصر العولمة: المعلومات البعد الخامس، ص171-192، ط1، بيروت، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2000م.

³ . الجمل، راسم محمد، نظام الاتصال والإعلام الدولي الضبط والسيطرة، ص117، 118، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية 2005م.

⁴ أمين، رضا عبد الواحد، الإعلام والعولمة، ص135، ط1، القاهرة: دار الفجر للنشر، 2007م.

⁵ . البياتي، ياس خضير، الاتصال الدولي والعربي، مجتمع المعلومات ومجتمع الورق، ص94، ط1، عمان: دار الشروق للنشر، 2006م.

⁶ . غليون، برهان وأمين، سمير، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة حوارات لقرن جديد، ص46، ط1، دمشق، بيروت: دار الفكر، المعاصر، 1990م.

ولم تقتصر آثار التكنولوجيا على الجوانب المعلوماتية والأنباء والاتصالات وإنما أحدثت كذلك ثورة في الإقتصاد، إذ استفادت الدول المعولمة من التقدم التقني في تطور الصناعات والشركات مما أدى إلى ظهور الشركات الكبرى التي تمد أنشطتها خارج حدود بلادها الأصلية، والتي يبلغ عددها نحو 40 ألف شركة ولها نحو 200 ألف فرع وما يزيد من عظمة هذه الشركات ويزيد من رصيد استثماراتها بشكل مطرد و سريع جداً، وتستحوذ أكبر مئة شركة عالمية من الشركات المتعددة الجنسية على ما يقارب نصف ذلك الرصيد، وتستحوذ الولايات المتحدة و اليابان وفرنسا وألمانيا وبريطانيا نحو 172 شركة من أكبر مئتي شركة في العالم، لتكون مسؤولةً من خلال هذه الشركات على ثلث الناتج العالمي من السلع والخدمات، و 75% على صعيد العالم مما يتعلق بالبحث والتطوير، مشغلة أكثر من 75 مليون عامل¹.

وقد استفادت الدول المعولمة من المؤسسات الدولية المتعددة كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وما إلى ذلك في زيادة تأثيرها والضغط باتجاه تنفيذ غاياتها²، كل ذلك يتم في ظل ما يعرف بـ "اقتصاد السوق" وما رافق ذلك من شيوع الحرية التجارية بين الدول، فقد ألغيت الحواجز والموانع، وقربت المسافات، وأُتيحت صوراً مذهلة من التواصل العالمي التجاري، وأصبح هذا شائعاً، فتجدُّ الكثيرين يعملون في البورصات، لتحقيق المزيد من الأرباح دون النظر إلى الحدود أو الجغرافيا، أو حتى طبيعة أو جنسية من يتعامل معهم، وأصبح العالم في ظل التقدم التقني وشيوع العولمة قريةً صغيرة تقلصت فيه أدوار الدولة إلى حد ما خاصةً في ظل ما يعرف بالخصخصة.

بل ذهب محمد عابد الجابري- وقد كان أستاذ الفلسفة في جامعة محمد الخامس بالرباط - إلى أبعد من ذلك حيث أنهى الدور الجوهري الذي تقوم به الدولة بالكامل بقوله: "إن العولمة عالمٌ من دون دولة... العولمة نظام يقفُّ على الدولة والأمة والوطن: نظام يريد رفع الحواجز والحدود أمام الشبكات والمؤسسات والشركات المتعددة الجنسية، وبالتالي إذابة الدولة الوطنية وجعل دورها يقتصر على القيام بدور الدركي لشبكات الهيمنة العالمية"³.

¹ . بكار، عبد الكريم ، العولمة طبيعتها وسائلها تحدياتها التعامل معها ، ص66 ، ط3، عمان: دار الاعلام، (1423هـ-2002م).

² . بكار، م.ن، ص67، والقرضاوي، المسلمون والعولمة، ص27.

³ . العرب والعولمة: العولمة والهوية الثقافية: تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي، محمد عابد الجابري، ص303.

وقد خالف صادقُ العظم¹ الجابري في مسألة انحسار دور الدولة واعتبر أن العولمة لم تلغ دور الدولة وإنما تم رفعها إلى تركيبة أعلى مما يستتبع تعديلات في وظائفها المتعددة².

وعلى أية حال، فإنه على الرغم من الاختلاف في تحديد حجم التغير في دور الدولة إلا أن هناك اتفاقاً على وجود تغير ملموس في دورها، وأن العالم أصبح يتغير بفضل التطورات الجوهرية والسريعة فيه، مما يجعل من الصعب إتباع سياسة غلق الأبواب، وعزل الأبناء والآنزواء عن الواقع، فوسائل الاتصالات أصبحت داخل كل بيت بما تحويه من عناصر تشويق وإغراء، ومن الصعب أن يتحكم بإدارتها أو تحديد القطيعة في التعامل معها.

ج. العولمة والثقافة:

يعد البعد الثقافي من أكثر الأبعاد تأثيراً على هوية الفرد والجماعة، وهذا يرتبط بمدى صمود أو ذوبان أي مجموعة من الكيانات الوطنية المستهدفة، وقد زاد أهمية البعد الثقافي في ظل العولمة إلى حد بعيد، وشهد هذا البعد نقلة نوعية بحيث أصبح بحد ذاته غاية وليس وسيلة، وأصبحت الثقافة المعولمة تفرض نفسها من خلال استغلال الإغراءات التي منحتها التقنيات الحديثة كاللجوء إلى ثقافة الصورة بدلاً من الكلمة، ومخاطبة جميع البشر، دون التوقف عند مخاطبة الصفوة أو أصحاب الإختصاص³.

فشاعت أنماط الاستهلاك الغربية، وقيمه، وراجت البضائع والمنتجات الصناعية، وأصبحت الحياة تصور على أنها مجرد متعة ورفاهية من خلال أساليب الحياة اليومية من مأكّل ومشرب، وكساء ومواصلات، ووسائل إتصال ونظم تعليم واجتماع..وما إلى ذلك ولهذا قيل: "لقد أدت - بلا شك- سيطرة وسائل الإعلام الغربية إلى تدمير جزئي أو كلي للثقافات الأصلية للشعوب وقوت النمط الإستهلاكي الغربي فيها"⁴.

¹ . صادق جلال العظم، ولد في دمشق 1934م، دكتور في قسم الفلسفة وعلم الاجتماع في جامعة دمشق والجامعة الأمريكية في بيروت.

² . حنفي، والعظم، ما العولمة، ص201.

³ . درويش، أحمد، تحديات الهوية العربية بين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، المسلم المعاصر، العدد 98، ص8، 9.

⁴ . يكن، فتحي، وطنبور، رامن، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص38، 39، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م.

فأصبحت الثقافة - في ظل العولمة- مجرد سلعة ينطبق عليها ما ينطبق على سواها من السلع المادية، يكون فيها الأجدر من يمتلك تقاينة أكبر مما يقود إلى القول بأن التبادل الثقافي العالمي الجاري وفي ظل التجارة الحرة، تبادل غير متكافئ، ولا يعبر عن إمكانية لتتألف متوازن بين الثقافات والشعوب والمجتمعات.¹

وهذا يبرهن على أن الانتشار الواسع لثقافة الغرب، يعود لكونها ثقافة الغالب وليس لكونها أكثر إنسانية،² فانتشارها يعود للقانون الذي صاغه ابن خلدون بقوله المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب في زيّه ونحلته وسائر عوائده.³

وتعد العولمة إرادة لاخترق الآخر وسلبه خصوصية الثقافية و"محاولة السيطرة على الإدراك عبر الصورة السمعية البصرية التي تسعى إلى تسطيح الوعي وجعله يرتبط بما يجري على السطح من صور ومشاهد ذات طابع إعلامي مثير للإدراك ومستفز للعواطف وحاجب للعقل".⁴

وقد أطلق محمد عابد الجابري على الثقافة السائدة في ظل العولمة "ثقافة الاختراق" ووصفها بأنها ثقافة جديدة، لم يعرف لها التاريخ مثيلاً من قبل وهي ثقافة اشهارية إعلامية تصنع الذوق الاستهلاكي والرأي السياسي، وتنتشئ رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتاريخ يهدف من ورائها "التطبيع مع الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري".⁵

وقد سادت اللغات الأجنبية وعلى رأسها الإنجليزية عمليات التواصل المستمرة ففي إحصائية لما يتعلق بالمواقع على الانترنت وجد أن 82% من المواد باللغة الإنجليزية، و4% باللغة الألمانية، و 1.6% باللغة اليابانية، و 1.3% باللغة الفرنسية، و 1% باللغة الأسبانية والباقي وهو 9.8% موزعة بين باقي لغات العالم ومعظمها لغات أوروبية.⁶

¹ . العرب والعولمة، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، عبد الإله بلقزيز، ص309-317.

² . العرب والعولمة، المناقشات، محمد ابراهيم منصور، ص354.

³ . ابن خلدون، المقدمة، ص116.

⁴ . العولمة والهوية الثقافية، الإعلام المعاصر وتحديات العولمة، عواطف عبد الرحمن، ص807.

⁵ . العولمة والهوية الثقافية، العرب والعولمة، محمد عابد الجابري، ص302.

⁶ . ياسين، السيد، المعلوماتية وحضارة العولمة: رؤية نقدية عربية، ص42، 43، ط1، مصر: دار نهضة مصر للطباعة، 2001م.

وقد حاول هنتجتون التقليل من ظاهرة انتشار اللغة الإنجليزية، بقوله أنها ليست اليوم اللغة العالمية أو ليست لغة حضارة واحدة، ومعتبراً إياها "أداة" للاتصال وليست مصدراً للهوية وللجماعة".¹

لكن الموضوع لا يتعلق بعدد المتحدثين بقدر ما يتعلق بقوة تلك اللغة في هيمنتها على العلوم والإنتاج الثقافي وربما لهذا قيل "إن ما تحاوله مرحلة (العولمة) هو تشريع قانون لتفكيك الإزدواجية والرباط الطبيعي بين اللغات والأمم، وبين اللغات الوطنية وذاكرتها وبينها وبين آدابها، وبالتالي تخلق العولمة الطرف الذي يقنن توطين اللغات لكي تتمزق الثقافات الوطنية".²

وكان لتعميم ثقافة العولمة أثراً كبيراً في إنتاج تفاعلات قوية في مختلف المجتمعات وعلى الصعيد الفردي والجماعي على حد سواء،³ واختراق الهويات من خلال تهميش المفاهيم العقدية والسياسية والثقافية، وإحلال المفاهيم الاقتصادية الاستمناعية محلها فأصبح العالم يشهد انخفاضاً في مستوى الإهتمام بالخصوصيات والمثاليات والروحانيات، وذلك بتأثير العولمة التي تعمل على خلع الفرد من هويته وأسرته، وتخلع الأسرة من المجتمع، والمجتمع من الأمة، والأمة من رباطاتها الإنسانية".⁴

كما أدت السرعة الكبيرة للتغيرات التي رافقت العولمة، إلى ظهور شروحات واضحة في كافة المجالات بما فيها المجال الثقافي فعلى سبيل المثال تبلورت الأخلاق والتقاليد والنظم الأسرية في حقب متطاولة، وفي إطار محلي ومغلق إلى حد ما، وفجأة - وفي ظل العولمة - أصبحت هناك مقتضيات كثيرة، تستدعي تغير كل ما هو سابق، مما أوجد شروحات كبيرة في البنيان الاجتماعي وأحدث اضطرابات واسعة في الثقافات المحلية في مختلف المناطق وأوجد قيم وأوضاع اجتماعية جديدة.⁵ فأصبحت الشعوب تجد نفسها مغربة عن ثقافتها الوطنية والممتدة بعيداً في التاريخ.⁶

¹ . هنتجتون، صدام الحضارات وأعادة، ص 133-140.

² . جيمسون، فريدريك، وميوشي، ماساو، ثقافات العولمة، (ترجمة ليلي الجبالي)، ص 53، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004م.

³ العولمة والهوية الثقافية، تفاعلات ثقافة العولمة، أمثلة من رواية شرف لصنع الله إبراهيم، أحمد صدقي الدجاني، ص 763، 764.

⁴ . بكار، العولمة، ص 86، 87.

⁵ . بكار، م. ن، ص 96، 97.

⁶ . السعدون: حميد حمد، العولمة وقضاياها، ص 18، ط1، عمان: دار وائل للنشر، 2000م.

ومما ساعد في نشر هذا التحول الثقافي الكبير، أنه جاء بعد "ما بعد الحداثة" الذي تطور باتجاه حالة اللانظام، وإلى أن الواقع ذو طبيعة متغيرة، وأنه يقود إلى تعددية الأنظمة والاستعداد للانفتاح على المجهول والتأويلات المتعددة¹، فيعد فكر ما بعد الحداثة ضد الأساس، وضد المرجعيات وضد العقلانية وضد الدين والأخلاق.²

وقد وصف عبد الوهاب المسيري³ العالم بعد التحولات الكبيرة في الفكر والثقافة الإنسانية، بأنه أصبح وحدات متشابهة وأنه يقوم في جوهره على وحدات إقتصادية تم إخضاعها لقوانين مادية بحتة، وأن الإنسان في هذه الوحدات خاضع لهذه القوانين، ولا يخرج عنها البتة، فهو إنسان اقتصادي جسماني، لا يتصف بأي خصوصية وليس له انتماء واضح ولا يوجد له ذاكرة تاريخية⁴.

وأن هذه التحولات في الثقافة لا تقتصر على الدول المستقبلية للمعولمة، بل يتعدى ذلك إلى الدول المعولمة نفسها وعلى رأسها أمريكا، وقد عمل المسيري على إثبات ذلك من خلال بيانه أن المنتجات المادية الحديثة تتميز بمعاداتها للخصوصية - أي خصوصية - بما فيها الغربية وحتى الإنسانية، بل والحضارية، معتبراً إياها لا تنتمي إلى أي تشكيل حضاري أو اجتماعي، فعلى الرغم أن المنتجات الحضارية الأمريكية نشأت في أمريكا إلا أنها ليست أمريكية بمخالفاتها ما كان سائداً من الحضارة الأمريكية، وكذلك من خلال تقويض الحضارة الجديدة للتقاليد الحضارية الأمريكية.⁵

وقد ضرب أمثلة على التطورات الهائلة في مجال الرياضة مبيناً أن أخلاقيات السوق اقتحمت عالم الرياضة، فأصبح اللاعب يباع ويشترى بدراهم كالسلعة، وأصبح المال هو المحرك في هذا العالم، وأصبح لا ينظر إلى دين اللاعب أو جنسيته أو انتماءاته بقدر ما ينظر إلى براعته واسم فريقه، وأن الهدف من المباراة أصبح يقاس بتحقيق النصر، بغض

¹ . بكار، العولمة، ص 62.

² . <http://www.elmesseri.com/articles-view.php?id39>

³ . عبد الوهاب محمد المسيري، مفكر مصري، حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي والأمريكي المقارن، شغل عدة مناصب علمية في جامعات عديدة له العديد من المؤلفات والمقالات، لمزيد من الإطلاع على مؤلفاته انظر مثلاً، المسيري، عبد الوهاب، موسوعة

اليهود واليهودية والصهيونية، ج 8، ص 195 - 208، ط 1، القاهرة، بيروت: دار الشروق، 1999م.

⁴ <http://www.elmesseri.com/articles-view.php?id39>

⁵ . نفس المكان .

النظر عن الطريقة التي يتم بها، مما همش دور الأخلاق والقيم السائدة، ونشر المخدرات والأدوية المنشطة في أواسط اللاعبين.¹

يظهر من خلال هذا العرض المتقدم أن العولمة قد أدخلت تغييراً كبيراً على الثقافات المحلية المختلفة، وذلك من خلال سيطرتها على أدوات ووسائل عديدة تتميز بالإغراء وبسهولة الانتشار، ومن ثم نشر الأفكار والمعلومات والثقافات من خلالها بشكل سريع وسهل ومتشعب في كافة الإتجاهات مما جعل العالم بالفعل قرية صغيرة عززت فيه فرص التعرف على الآخر وعلى ثقافته، وأزيج اللثام عن الجهل به والخوف منه، مما يفتح المجال لنشر قيم المحبة والرحمة والتعاون والسلام ويغلق أبواب الكره والقسوة والصدام.

¹ . <http://www.elmesseri.com/articles-view.php?id39>

الفصل الرابع

موقف الإسلام من الآخر

وفيه

المبحث الأول : نظرة الإسلام للإنسان

المبحث الثاني : علاقة المسلمين بغيرهم داخل المجتمع الإسلامي

المبحث الثالث : علاقة المسلمين بغيرهم خارج المجتمع الإسلامي

مسألة : (حزب التحرير وحتمية صراع الحضارات) .

المبحث الأول: نظرة الإسلام للإنسان:

لقد شاعت إرادة الله وحكمته أن يكرم الإنسان ويجعله خليفة في الأرض، وقد أعلن الله - عز وجل - ذلك أمام الملائكة فقال: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"¹. وذكر الطبري في معنى خليفة أنها "من قولك خلف فلاناً في هذا الأمر إذا قام فيه بعده"² كما قال جل ثناؤه: "ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"³. وفي تأويل آخر قال: أي "مَنِّي يخلفني في الحكم بين خلقي وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه"⁴.

فالخلافة الكاملة تكون بالالتزام بأمر الله وإقامة شرعه وتطبيق العدل والإحسان في أرضه، وقد كان آدم أول نبي لتبليغ الدعوة عن الله⁵، فإن التزم الإنسان بالخلافة الكاملة نال السعادة في الدنيا والآخرة، أما إن اقتصر وجوده على عمارة الأرض وسكنها فقد حقق الخلافة بمفهومها العام⁶ وبهذا يكون معنى الخلافة "ساكناً وعامراً يعمرها ويسكنها"⁷.

قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...."⁸. فالإستخلاف مسمى قرآني خصَّ الله به الإنسان دون غيره من المخلوقات تكريماً واختباراً له، وجعل الإنسان خليفة له للقيام بشؤون الأرض وإظهار الحق وإقامة العدل ونشر المحبة، ومن ثم تتبلور صفات الله تعالى في الحياة كالرحمة والعدل والتدبير والعلم وما إلى ذلك من صفات⁹.

¹ سورة البقرة 2، آية رقم 30

² الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (قدم له خليل الميس)، (ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العتار)، ج 1، ص 228، 229، دط، بيروت: دار الفكر، (1415هـ-1995م).

³ سورة يونس 10، آية رقم 14.

⁴ الطبري م.س، ج 1، ص 228، 229

⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 251

⁶ الزحيلي، محمد، التكريم الإلهي للإنسان، ص 12، 13، ط 1، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، 1995م.

⁷ ابن كثير، اسماعيل القرشي الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، ج 1، 68، ط 2، القاهرة: دار الحديث، (1410هـ-1990م).

⁸ سورة النور 24، آية رقم 55

⁹ الزحيلي، م.س، ص 11

فسلم الله زمام هذه الأرض للإنسان، وسخرها له، وربط فيها الأسباب بالمسببات، وأعطاه العقل، ليتمكن من استغلال الأرض وإعمارها والاستفادة منها على الوجه الأكمل، فهي منزلة عظيمة، وتكريم كبير أولاه الله للإنسان في هذا الكون الكبير¹.

فتقوم الخلافة في الأرض على عدة عناصر هي:

1- الأخذ بالأسباب المادية، فالأسباب مرتبطة بالمسببات في هذا الكون، وما على الإنسان إلا الأخذ بها بالسعي والنظر والبحث والتفكير.

2- الاستفادة مما في هذا الكون من مدخرات وخيرات مسخرة في هذا الكون.

3- استخدام المواهب الذاتية للإنسان بدءاً من الحواس وانتهاءً بالعقل للاستفادة مما في هذا الكون ولتحقيق السعادة والرفاهية لهذا الإنسان.

وإن أضيف لهذه العناصر التقيد بأحكام الله وشرعه تحققت الخلافة الكاملة².

وعندما خفيت الحكمة من مشيئة الله باستخلاف الإنسان على الملائكة وهذا يظهر من سؤالهم "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"³. جاءهم القرار من العليم الخبير فقال: "قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"⁴.

وقد استدلل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ويعيد الحقوق ويحكم بالعدل ويزجر عن تعاطي الفواحش⁵.

وتجلى تكريم الله للإنسان بأن جعل الملائكة يسجدون لآدم، وقد أكد القرآن الكريم ذلك وفي عدة مواطن منها قوله عز وجل "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"⁶، وقوله عز وجل: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"⁷.

¹ قطب ، في ظلال القرآن ج 1 ، ص 56

² الزحيلي، التكريم الإلهي، ص 13، 12، وانظر السبهاني ، عبد الجبار حمد عبيد : الاستخلاف والتركيب الاجتماعي في الإسلام. ص 53، 52 ، ط 1 ، عمان: دار وائل ، 2003 م.

³ سورة البقرة 2، آية رقم 30

⁴ سورة البقرة 2، آية رقم 30

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج 1، ص 69، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م 1، ص 251.

⁶ سورة البقرة 2، آية رقم 34

⁷ سورة ص 38، الأيتان، 71، 72.

وسواءً حمل السجود على معنى الخضوع لا الإحناء، أو على وضع الجبهة على الأرض، أو التحية والإكرام والإعظام¹ فإنه يحمل معاني التكريم للإنسان، وبهذا قال سيد قطب².
 "إنه التكريم في أعلى صورة، لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء ولكنه وهب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة"³. وكان لرفض إبليس دعوة الله بإيائه واستكباره عن السجود لآدم - ظناً منه أنه أفضل منه بسبب خلقته - أن عدّه الله من الكافرين.

ولم يكن تكريم الله للإنسان قاصراً على سجود الملائكة لآدم -عليه السلام- وإنما فضله على كثير من المخلوقات، وقد صرح القرآن الكريم بذلك فقال عز وجل:
 " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً "⁴. والفعل "كرمنا" على وزن فعّلنا فهو يفيد المبالغة ويقصد منه أنه "جامعٌ للمحاسن وليس من كرم المال"⁵.

والتكريم شاملٌ لجنس الإنسان بغض النظر عن العرق واللون والجنس وعن كل الفوارق بما فيها الدين ولهذا قيل في معنى الآية "أي جعلناهم قاطبةً برّهم وفاجرهم ذوي كرم أي شرف و محاسن حجة لا يحيط بها نطاق الحصر"⁶.

وقد تعددت أوجه تكريم الله للإنسان فقليل أنه كان بالعقل⁷، وقيل بالنطق، وقيل باعتدال القامة وامتدادها، وقيل بالمطاعم والذات وقيل بتسليطه على غيره من المخلوقات، وتسخيرها له، وقيل بالخط والفهم، وقيل بأكله بيده، وقيل بتدبير المعاش وغير ذلك من المعاني⁸.
 ولم يمانع بعض المفسرين من حمل التكريم على جميع هذه المعاني⁹ وهو ما يظهر لي،

¹ ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج 4، ص 44.

² سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية "موشا" في أسبوط استشهد عام 1966 م. الزركلي، الأعلام، ج 3، ص 147.

³ قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص 57.

⁴ سورة الإسراء 17، آية رقم 70.

⁵ أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ)، تفسير البحر المحيط، (دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض)، (قرطبه: عبد الحي الفرماني) ج 6، ص 58، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1413هـ - 1993م).

⁶ الألوسي، محمود عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، م 9، ج 15، ص 171، بيروت: دار الفكر، (1414هـ - 1994م).

⁷ رجح بعض المفسرين العقل كابت عطفية، انظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية (ت541هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 1156، ط 1، بيروت: دار ابن حزم، (1423هـ - 2002م).

⁸ الطبري، جامع البيان، م 9، ج 15، ص 157، وأبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 58، 59.

⁹ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1255هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (تحقيق وتخرّيج سيد إبراهيم) ط 3، ج 3، ص 345، القاهرة: دار الحديث، (1418هـ - 1997م).

فالصفات المذكورة -بمجمليها- يتميز بها الإنسان عن غيره وبذلك فضلوا على كثير من المخلوقات ¹.

وقد ركب الله العقل في الإنسان إذ يستطيع به أن يميز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وأن يتمكن من الاستفادة مما أودعه الله له في هذا الكون من خيرات ومدخرات، وركب فيه الروح التي وهبها الله منه ² فقال: " فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ " ³. كما ركب فيه الجسد بما فيه من شهوات وغرائز وميول يشترك فيها مع غيره، وأوجد -سبحانه وتعالى- التوازن والانسجام الكامل بين هذا العناصر ⁴، فجعله على هذه الصورة المتقنة البديعة وصدق الله إذ يقول: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" ⁵.

وذلل الله الكون وجعله منقاداً للإنسان، فسخر له الأرض بما فيها من مياه ويابسة وهواء، وسخر له ما في السماوات من كواكب ونجوم، وأعطى الإنسان القدرات بحيث يتمكن من الاستفادة من كل ذلك فيتمكن من إعمار الأرض والقيام بمهام الخلافة على الوجه الأكمل وذكر القرآن الكريم نماذج عديدة مما سخره لخدمة الإنسان تذكيراً له بفضلله ونعمه وقد جمعت هذه المعاني في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً " ⁶.

وذكر القرطبي أن التسخير في السماوات يضم الشمس والقمر والنجوم والملائكة التي تحوط الإنسان وتجر إليه النفع. كما هو عام في الأرض يضم الجبال والأشجار وما لا يحصى ⁷.
وبين القرآن الكريم أن أصل البشرية واحد يعود إلى آدم، ومنه بثَّ الرجال والنساء جميعاً، فقال عز وجل " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " ⁸.

¹ يرى بعض المفسرين أن الإنسان مفضل على كل المخلوقات باستثناء الملائكة. انظر مثلاً الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد (ت 528 هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، (رتبة و ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين)، ج2، ص 653، 654، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، (1415 هـ - 1995م).

² الزحيلي، التكريم الإلهي للإنسان، ص36.

³ سورة الحجر، 15، آية رقم 29.

⁴ الزحيلي، التكريم الإلهي للإنسان، ص36، 37.

⁵ سورة النين، 95، آية رقم 4.

⁶ سورة لقمان، 31، آية رقم 20.

⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م7، ج14، ص68.

⁸ سورة النساء، 4، آية رقم 1.

وكما قرر القرآن الكريم الوحدة الإنسانية، فقد قرر أن الحكمة من جعل الشعوب والقبائل المتعددة التعارف والتعاون وهذا ظاهرٌ في قوله تعالى: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم "1.

ولهذا قيل بأن "الوحدة الإنسانية تتضمن الدعوة إلى التآلف بالتعارف، وإلى ترك التعادي بالتخالف"2.

ووضح سيد قطب الغاية من جعل الشعوب والقبائل بقوله أن الله "يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل. إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات فتتوَع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات"3.

وقررت الآية إزالة جميع الفوارق بين الناس من لون وشكل وطول ونسب وحسب وعرق ولغة ووطن وما إلى ذلك وأثبتت التفاضل بشيء واحد وهو العمل الصالح وتقوى الله سبحانه وتعالى، وقد روي عن أبي هريرة⁴ رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال : "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ"5.

كما حارب الإسلام العصبية الجاهلية بكل أشكالها وأمر الرسول عليه السلام بتركها فقال عنها "دعوها فإنها منتنة"6.

وقد عيّر أبو ذر⁷ رجلاً بأمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:- "يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إِنَّكَ امرؤ فَيْكَ جاهلية"8.

¹ سورة الحجرات 49، آية رقم 13.

² رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، ص 276، ط3، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1406 هـ.

³ قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3348.

⁴ أبو هريرة: الدوسي اليمني اختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن بن صخر وقيل ابن غنم وقيل كان اسمه عبد شمس، وعبد الله وقيل غير ذلك، أمام فقيه مجتهد حافظ، روى كثير من الأحاديث. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ-1374م)، سير أعلام النبلاء، (حققه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤاط)، ط7، 290، ص 571 بيروت مؤسسة الرسالة، 1990.

⁵ مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب رقم 45، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله رقم 10، حديث رقم 2564، ص 1035.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب رقم 65 التفسير، باب الآية 8 من سورة المنافقين من طريق جابر بن عبد الله، حديث رقم 4907، ص 871.

⁷ أبو ذر جندب بن جندب الغفاري، وقيل جندب بن سكن، وقيل بريد بن جندب الذهبي، سير أعلام النبلاء ج2، ص 46.

⁸ البخاري، صحيح البخاري، كتاب رقم 2 الإيمان، باب رقم 22 المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها، حديث رقم 30، من طريق المعرور، ص 8.

وقرر القرآن الكريم أن الناس كانوا على دين واحد، ولكنهم اختلفوا فيه مع مرور الزمن وأشركوا به وكفروا فأرسل الله عز وجل الرسل رحمةً وعنايةً بهذا الإنسان¹.

فتوالى الرسل وتتابع الأنبياء² وأنزلت الكتب السماوية لتهدي الإنسان وترشده ولتأخذ بيده نحو الطريق القويم فيتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة وليقوم بدور الخلافة على حقها³ " قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " ⁴.

وشاعت حكمة الله أن يكون سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم الرسل، وشريعته خاتمة الشرائع، وأن يكون الإسلام للناس كافة فهو ليس لقوم أو شعب أو عرق معين بل هو دين عالمي، وبالتالي شرع لهم أحكاماً عامة تختص بالجميع وساوى بينهم في المعاملة دون أي تفرقة على أساس اللون أو الجنس أو العرق أو النسب....، فليس في الإسلام خاصة بالبيض دون السود أو عكس ذلك ولا أحكام أخرى تخص الغرب دون الشرق أو العكس... إلى غير ذلك من الأحكام التي تظهر التفرقة وضيق الأفق⁵.

وقرر القرآن الكريم أن الاختلاف والتعدد سنة الهيأة وأن الله جعله علة الخلق قال تعالى: " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ " ⁶. قال القرطبي: "أي وللاختلاف خلقهم"⁷.

وأكد القرآن على أن الله جعل الاختلاف بين الناس ليبتليهم ويختبرهم وهو المحاسب لهم قال تعالى: "لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ " ⁸.

والتعدد والتمايز والاختلاف كما هو في الإنسان، فهو في عوالم الخلق الأخرى المادية والنباتية والحيوانية ما عدا الذات الإلهية، وهذا التعدد والاختلاف سنة من سنن الله وقانوناً إلهياً منذ أن خلق الله الكون وهو آية من آيات الله تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م، 2، ج، 3، ص 30، 31.

² أجمل القرطبي عدد الرسل بثلاثمائة وثلاثة عشر، وعدد الأنبياء بمائة وأربعة وعشرين ألفاً، القرطبي، م، 2، ج، 3، ص 31.

³ الزحيلي، التكريم الإلهي للإنسان، ص 79، والسبباني، الاستخلاف والتركيب الاجتماعي، 53.

⁴ سورة البقرة، آية 38.

⁵ الزحيلي، التكريم الإلهي للإنسان، ص 79.

⁶ سورة هود، 11، الايتان رقم 118، 119.

⁷ القرطبي، م، 5، ج، 9، ص 101.

⁸ المائدة، 5، آية رقم 48.

وَأَلَّوْنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ¹ ولا بد من تعايش كل الفرقاء وتعارف جميع عوالم الخلق لسيادة هذا القانون، مما يستدعي سيادة السماحة في العلاقات بين الأمم والشعوب والثقافات والديانات، وبدون السماحة يحل الصراع الذي ينهي ويفني التعددية الأمر الذي يصادم سنة الله في الاختلاف والتنوع². ولهذا فإن الإسلام لم يعادي الأديان الأخرى، بل أمر بالإيمان بجميع الأنبياء ولم يفرق بينهم قال تعالى: " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"³.

وقد فتح الإسلام المجال للإنسان بأن يختار الدين الذي يريد، ولم يلجأ إلى إكراه الآخرين، أو إجبارهم على الدخول في الإسلام. قال تعالى: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"⁴. وأمر بأن نجادل أهل الكتاب بالحسنى فقال عز وجل: " وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"⁵.

وأحل الإسلام طعام الذين أوتوا الكتاب، وأحل الزواج من نسائهم فقال عز وجل " الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"⁶.

ودعا الإسلام إلى حسن معاملة أهل الكتاب فكان صلى الله عليه وسلم - يعود مرضاهم، فقد روى البخاري أنه: "كان غلام يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض، فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعود، ففعد عند رأسه، فقال له: "أسلم"، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار"⁷. كما " توفي - صلى الله عليه وسلم - ودرعه مرهونة عند يهودي في المدينة"⁸.

¹ سورة الروم، آية رقم 22.

² عمارة، محمد، السماحة الإسلامية، حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب، ص121، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005م، (سلسلة هذا هو الإسلام (2)).

³ سورة البقرة، آية رقم 136.

⁴ سورة البقرة، آية رقم 256.

⁵ سورة العنكبوت، آية رقم 46.

⁶ سورة المائدة، آية رقم 5.

⁷ البخاري، صحيح البخاري، كتاب رقم 23 الجنائز، باب رقم 79 إذا أسلم الصبي، حديث رقم 1356، من طريق أنس، ص217.

⁸ البخاري، صحيح البخاري، كتاب رقم 56 الجهاد والسير، باب رقم 89 ما قيل في درع النبي - صلى الله عليه وسلم - والقميص في الحرب، من طريق عائشة، حديث رقم 2916، ص482.

وقد سما الإسلام بالمسلمين عندما أمرهم بالالتزام بحسن التعامل والخلق، وبدعوتهم كي يتحملوا أذى من يعيشون معهم من أهل الكتاب وأن يواجهوا ذلك بالصبر والتقوى فقال -عز وجل-: " لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ "1.

وأمر بالعدل بين الناس جميعاً فقال -عز وجل-: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى . وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ "2.

وخص الأمر بالعدل مع الخصوم والأعداء وحذر من استغلال العداء والكره في رفع العدل واستبداله بالظلم فقال عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى "3. وقد أثارت هذه التأكيدات على العدل تساؤل بعض المفسرين كالنسفي⁴ فقال: "وإذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه"5.

فاحترم الإسلام إنسانية الإنسان، فقد روي "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرّت به جنازة فقام، فقبل له: إنها جنازة يهودي، فقال: "أليست نفساً؟"6

كما حرم قتل الانسان وعبر عن فظاعة قتله معتبراً أن من قتل نفساً واحدة بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحيا نفساً واحدة فكأنما أحيا الناس جميعاً "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً"7.

¹ سورة آل عمران 3، آية رقم 186.

² سورة النحل 16، آية رقم 90.

³ سورة المائدة 5، آية رقم 8.

⁴ النسفي هو عبد الله بن أحمد بن محمود ، أبو البركات (ت 710 هـ)، فقيه حنفي مفسر من أهل إيذج لامن كور أصبهان ت سنة 710 هـ، الزركلي، الإعلام، ج4، ص67.

⁵ النسفي، عبد الله بن أحمد ، تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (تحقيق مروان محمد الشعار)، ج1، ص397، ط1، بيروت: دار النفائس، (1416هـ - 1996م).

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب رقم 23 الجنائز، باب رقم 49 من قام لجنازة يهودي، من طريق سهل بن حنيف، حديث رقم 1312، ص210.

⁷ سورة المائدة 5، آية رقم 32.

فالنظرة الإسلامية للإنسان تلتقي مع منهج الوسطية الذي جاء به الإسلام "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس" ¹

والوسطية تتنافى وفكرة الصراع الحضاري الذي يسعى إلى هدم الغير والغائه، وتقوم على الحوار مع الحضارات الأخرى والتفاعل معها دون ان يفقد الذات أو يسحق الذوات الأخرى ، كما تقوم على فكرة الدفع .² التي أشار القرآن الكريم إليها فقال عز وجل " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ " ³ ، كما قال: " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " ⁴

فالتدافع الحضاري سنة من سنن الله في الكون وليس الصراع كذلك الذي يعد حالة عارضة شاذة عن القاعدة ⁵. والتدافع يتوسط بين الصراع والسكون وهو عبارة عن حراك وتنافس وتسابق اجتماعي وثقافي وحضاري، يعدل المواقف الظالمة والمنحرفة دون صراع للأطراف الأخرى فلا تلغي التعددية التي يقوم عليها الإسلام، ويبقى العالم متعدد الحضارات ، وكان لهذه النظرة الأثر الكبير لازدهار التعددية في الملل والنحل والشرائع واللغات والعادات بل ووجود الديانات المتعددة ومؤسساتها في ظل حضارة الإسلام ⁶. في حين جعلت النزعة الصراعية الحضارة الغربية تضيق حتي بالتعددية المذهبية داخل النصرانية وجعلها تحدد الصراع ضد سائر الحضارات كما فعل هنتجتون وغيره من مفكري الغرب ⁷.

يظهر مما سبق أن نظرة الإسلام للإنسان تقوم على تكريمه، ووضعه في مكانة عالية، كما أنها تقوم على إقرار التعدد والاختلاف في عالم الإنسان وغيره من العوالم مما استدعى حرية الاختيار وعدم الإكراه أو الإكراه في الدين، كما استدعى عدم الإصطدام بالديانات الأخرى، وأسس لإقامة العدل واحترام إنسانية الإنسان، وفتح باب التعايش والتسامح بين الناس. ولبيان أثر هذه النظرة ومدى تطبيقها في حياة المسلمين مع غيرهم أفردت المبحثين اللاحقين تحدثت فيهما عن موقف الإسلام من غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي، وكذلك خارجه.

¹ سورة البقرة 2 ، آية رقم 143.

² العولمة والهوية الثقافية، ، الوسطية وحوار الحضارات ، عبد الحميد إبراهيم ، ص 168.

³ سورة البقرة 2 آية رقم 251.

⁴ سورة فصلت 41، الأيتان رقم 34 .

⁵ التوجيهي ، صراع الحضارات في المفهوم الاسلامي، ص 26-28 .

⁶ عمارة ، محمد ، الحضارات العالمية تدافع... أم صراع ؟ ص 17-20 ، ط1، القاهرة: دار نهضة مصر، 1998م، (في التنوير الاسلامي) وعمارة ، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في اطار الحضارة ، ص 21، ط1، القاهرة : دار الرشاد، (1418هـ- 1997م) .

⁷ عمارة ، الحضارات العالمية ، ص 21.

المبحث الثاني: علاقة المسلمين بغيرهم داخل المجتمع الإسلامي:-

لقد أنصف الإسلام المواطنين غير المسلمين ممن يعيشون في ظل الدولة الإسلامية وأعطاهم الكثير من الحقوق، وقد عرف هؤلاء قديماً بـ "أهل الذمة" أو "الذميين"، والذمة في اللغة تعني الحرمة والحق والعهد والضمان والأمان¹، وفي الاصطلاح يطلق أهل الذمة على "أهل العهد من الكتابيين ومن في حكمهم"²، والذمة في عرف الشرع: وصف يصيرُ به الإنسانُ أهلاً لما له ولما عليه³، وسموا بأهل الذمة لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين على أن يعيشوا في ظل حماية الإسلام آمنين مطمئنين⁴.

وعقد الذمة عقد مؤبد يعطي أهله من غير المسلمين حقوق المواطن، مقابل الإلتزام ببعض الواجبات، وهي تشبه في عصرنا ما يعرف بالجنسية، فبعقد الذمة يقر غير المسلمين على دينهم ولا يتعرض لهم، ويتم حماية الدولة الإسلامية لهم، كما يتم رعايتهم وإعطائهم كامل حقوقهم المدنية شأنهم شأن المسلمين، ويعفون من الخدمة العسكرية على أن يدفعوا الجزية، وأن يلتزموا بأحكام القوانين الإسلامية العامة وفي غير الشؤون الدينية⁵.

والجزية ضريبة سنوية تفرض على الرجال القادرين حسب ثروتهم⁶ وبالتالي فهي لا تجب على المرأة أو الأعمى أو الكبير في السن أو الفقير أو العبد وما إلى ذلك ممن لا يقدرّون على الدفع⁷، كما أنها تختلف حسب الوضع المادي لصاحبها⁸، وهي تتراوح بين دينار وأربعة دنانير (4.75 إلى 19 دولاراً أمريكياً)⁹.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص، 221، مادة ذم.

² أخرج بعض الفقهاء "ممن في حكم أهل الذمة" مشركي العرب والمتردين، وبعضهم أخرج المتردين فقط، لمزيد من الإطلاع انظر: الكاساني، أبو بكر بن مسعود الحنفي (ت587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (تحقيق وتعليق علي محمد معوض وعادل عبد الموجود)، ج9، ص428، 429، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1418هـ - 1997م).

³ عمارة، محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ص235، 236، ط1، بيروت، القاهرة: دار الشروق، 1993م.

⁴ عجبك، الحوار الإسلامي المسيحي، ص37.

⁵ القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص7، ط2، القاهرة: مكتبة وهبة، 1984م.

⁶ الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، فريق البحوث والدراسات الإسلامية فدا، ص881، دط، الاسكندرية: مكتبة علاء الدين، د.س.

⁷ الكاساني، بدائع الصنائع، ص440، 441.

⁸ للإطلاع، انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية (ت751هـ)، أحكام أهل الذمة (حققه وعلق عليه يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري) ط1، م1، ص123. الدمام، بيروت: رمادي للنشر ودار ابن حزم، (1418هـ - 1997م).

⁹ ديورانت، قصة الحضارة ج13، ص130.

وقد بين الكاساني¹ - رحمه الله - الهدف من وراء الجزية بقوله: "إنَّ أهل الكتاب إنما تركوا بالذمة، وقبول الجزية لا لرغبة فيما يؤخذ منهم أو طمع في ذلك بل للدعوة إلى الإسلام، ليخالطوا المسلمين فيتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه، وينظروا فيها فيروها مؤسسة على ما تحتمله العقول وتقبله، فيدعواهم ذلك إلى الإسلام فيرغبون فيه"²

وقد أعطى الإسلام غير المسلمين ممن يعيشون في ظل الدولة الإسلامية الكثير من الحقوق، وألزم المجتمع الإسلامي تجاههم بمجموعة التزامات، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

أ- الحماية الداخلية والخارجية:

لقد حذر الإسلام من ظلم أهل الذمة أو الاعتداء عليهم فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة"³.

وحمى الإسلام دماء أهل الذمة وحرم قتلهم، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً"⁴.

وقال سيدنا علي - رضي الله عنه -: "إنما بذلوا الجزية لنتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا"⁵.

وقد عد الفقهاء قتل الذمي من الكبائر⁶، فذهب الحنفية⁷ إلى وجوب قتل المسلم بالذمي وذهب مالك⁸ والليث بن سعد⁹ إلى وجوب القصاص في حالة خاصة وهي القتل غيلة، أي الذبح عمداً¹⁰.

¹ الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني أو الكاشاني فقيه حنفي من أهل حلب، له 'بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع' و"السلطان المبين في أصول الدين". توفي بحلب سنة 587هـ، الزركلي، الإعلام، ج2، ص70.

² الكاساني، بدائع الصنائع، ج9، ص433.

³ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني(ت752هـ)، سنن أبي داود، كتاب رقم 14، الخراج والإمارة والفيء، باب رقم 33، في تفسير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث رقم 3052، قال عنه الألباني أنه صحيح، (حكم على الأحاديث والآثار وعلق عليه محمد ناصر الألباني)، (اعتنى به مشهور آل سلمان)، ص467، ط2، الرياض: مكتبة المعارف للنشر، سنة 1417هـ.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب رقم 87 الديات، باب رقم 30، إثم من قتل ذمياً بغير جرم حديث رقم 6914، من طريق عبد الله بن عمرو ص1191.

⁵ ابن عابدين، محمد أمين(ت1252هـ)، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، (دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض)، ط1، ج10، ص165، بيروت: دار الكتب العلمية، (1415هـ - 1994م).

⁶ عجبك، الحوار الاسلامي المسيحي، ص40.

⁷ الحنفية نسبة لأبي حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي الفقيه المجتهد (80-150هـ) الزركلي، الإعلام، ج8، ص36.

⁸ مالك هو مالك بن أنس الأصبحي الحميري أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، واليه تنسب المالكية، (93-179هـ)، الزركلي، الإعلام، ج5، ص257.

⁹ الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، بالولاء، أبو الحارث، محدث و فقيه (94-175 هـ) الزركلي، م، ن، ج5، ص248.

¹⁰ ابن عابدين، م، س، ص165.

وكما حمى الإسلام أنفس الذميين، فقد حمى أبدانهم، أيضاً، والأدلة على تحريم التعذيب وإيقاع الضرر بالآخرين كثيرة - بعموميتها، منها ما رواه هشام بن حكيم¹ من أنه وجد رجلاً وهو على حمص يشمسُ ناساً من النبط² في أداء الجزية، فقال: ما هذا إني سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إنَّ الله يعذبُ الذين يعذبون الناسَ في الدنيا"³.

وكان سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حريصاً على أن لا يؤذى أهل الذمة أو يحملون ما لا يطيقون، فقد أوتي ذات يوم بمال كثير من الجزية فقال: "إني لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: "لا والله، ما أخذنا إلا عفواً صفواً، قال بلا سوط ولا نوط"⁴؟ قالوا: نعم، قال: "الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني"⁵.

- حماية الأعراض:

وقد حرم الإسلام الاعتداء على أعراض الذميين، وتعرضهم للإيذاء أو الشتم واعتبر فقهاء الحنفية أن شتم الذمي جريمة ومعصية يعاقب عليها صاحبها⁶ وقد علق ابن عابدين⁷ على ذلك بقوله "لكننا التزمنا بعقد الذمة معه أن لا تؤذيه"⁸ كما أكد القرافي⁹ على ضرورة حفظ غيبة الذميين وعدم التعرض لأعراضهم ومصالحهم بأي حال من الأحوال فقال ما نصه "وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحدهم لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم وأن يعانون على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم وبالجمله فيرهم و الإحسان إليهم مأمورٌ به"¹⁰.

¹ هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي، صحابي ابن صحابي، أسلم يوم فتح مكة وتوفي بعد سنة 15 هـ، الزركلي، الأعلام، ج8، ص85.

² النبط: جيل ينزلون السواد وسموا بذلك لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص411، مادة نبط.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب رقم 45، البر والصلة والآداب، باب رقم 33 الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، حديث رقم 2613، ص 1051-1050.

⁴ بلا سوط ولا نوط أي بلا ضرب ولا تعليق، ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص418، مادة نوط.

⁵ ابن القيم، أحكام أهل الذمة، م1، ص139.

⁶ ابن عابدين، رد المحتار، ج6، ص127.

⁷ ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره، مولده ووفاته في دمشق (1198 - 1252 هـ) الزركلي، الأعلام، ج6، ص42.

⁸ ابن عابدين، م.س، ج6، ص128.

⁹ القرافي: هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس الصنهاجي القرافي، من علماء المالكية، نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب)، وإلى

القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي رحمه الله - بالقاهرة)، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاء، له مؤلفات جليلة في الفقه والأصول، ت سنة 684 هـ، الزركلي، الأعلام، ج1، ص94، 95.

¹⁰ القرافي، الفروق، ج3، ص31-32، الفرق 119.

- حماية الأموال:

وكما حمى الإسلام دماءَ وأعراض أهل الذمة فقد حمى أموالهم كذلك وهذا ظاهر وواضح في مختلف العقود مع أهل الذمة، فقد جاء في عقد الصلح الذي أجراه الرسول مع أهل نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوق"¹.

وقد بلغت رعاية الإسلام بإعطاء أهل الذمة الحرية للتصرف في بعض السلع مما لا يحل عند المسلمين أصلاً كالخمر والخنزير، قال الكاساني "كما لا يمنعون من إظهار بيع الخمر والخنازير"². ولا يفرق الفقهاء بين سرقة المسلم أو سرقة الذمي إذ يقام على السارق حد السرقة - وهو القطع - إن سرق من مسلم أو من ذمي على حد سواء وإن توفرت الشروط لذلك لأن مال الذمي معصوم مثل مال المسلم³، إلا إذا سرق الخمر أو الخنزير فإنه لا يحد لعدم تقومهما عند المسلمين⁴.

وقد سمت عدالة الإسلام، وظهر حرص المسلمين بمحافظتهم على أموال الذميين وعدم تعديهم عليها، وهذا ظاهر في موقف سيدنا عمر بن الخطاب مع أهل عربسوس⁵ حيث عرض عليهم أن يعطوا مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ومكان كل شيء شيئين مقابل أن يتركوا مكانهم بعد أن علم أنهم يخبرون العدو بعورات المسلمين، ولا يظهرون المسلمين على عورات عدوهم⁶.

كما يظهر في موقفه كذلك - رضي الله عنه - عندما أمر بإعطاء الرجل من أهل الذمة ممن اعتدي على كرمه بقيمته، بعد أن علم أن المسلمين قد اعتدوا على كرمه بالأكل من شدة الجوع⁷.

وكما حمى الإسلام الذميين داخلياً فقد حماهم من أي عدوان خارجي، شأنهم شأن المسلمين، وقد أوصى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، بنصرة أهل الذمة فقال: "فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فإنهم أقوامٌ لهم الذمة"⁸.

¹ البلاذري، فتوح البلدان ص46، وأبو يوسف، الخراج، ص298، 289.

² اختلف في هذه المسألة، لمزيد من الإطلاع انظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج9، ص450.

³ ابن عابدين، رد المحتار ج10، ص165، وعجك، الحوار الاسلامي المسيحي، ص43.

⁴ ابن عابدين، م، س، ج6، ص142.

⁵ عربسوس: بفتح أوله وسكون ثانيه، بلد من نواحي الثغور قرب المصيصة غزاه سيف الدولة بن حمدان، ياقوت، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، م4، ص96، ط2، بيروت: دار صادر، 1995م.

⁶ البلاذري، فتوح البلدان، ص99.

⁷ أبي عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، ص72، ط1، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، 1981 م.

⁸ أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت182هـ)، الخراج، (تحقيق محمد عبد الحفيظ المناصير)، ص300، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة العلمية، (1430هـ - 2009م).

وأوجب الإسلام على المسلمين لزوم الدفاع عن الذميين كما يدافعون عن أنفسهم، فقد نقل القرافي عن ابن حزم¹ القول: "أنّ من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكرّاع² والسلاح ونموتُ دون ذلك صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة"³.

وعقب القرافي على ذلك بقوله: "وحكى في ذلك إجماع الأمة فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صوناً لمقتضاه عن الضياع أنه لعظيم"⁴.

ولعل من أظهر الأمثلة التي تبين حرص المسلمين على توفير الحماية لأهل الذمة وإمعانهم في ذلك موقف أبي عبيدة⁵، حينما ردّ أموال الجزية لأصحابها من أهل حمص بعد أن انسحب المسلمون منها، وعجزوا عن حماية الذميين الذين بداخلها⁶.

ب- كفالة بيت المال:

لم يقتصر عناية الإسلام بالمحافظة على مال أهل الذمة بل كفل أيضاً كل احتياجاتهم شأنهم شأن المسلمين، حتى أنه أجاز التصدق عليهم⁷.

وقد أقر أبو بكر الصديق المعاهدة مع أهل الحيرة والتي فيها: "وجعلتُ لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحتُ جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام"⁸.

¹ ابن حزم هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، (384 - 456هـ)، عالم الإسلام في عصره، انتسب إلى مذهبه خلق كثير من الأندلس، زهد برئاسة الوزارة وتبدير المملكة، وانصرف إلى العلم والتأليف، الزركلي، الأعلام، ج4، ص 254، 255.

² الكُراع: اسم لجميع الخيل والسلاح، الزبيدي، تاج العروس، ج11، ص420 (مادة كراع).

³ القرافي، أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت684هـ)، الفروق وأنوار البيروق في أنواع الفروق، ومعه إدرار الشروق على أنواع الفروق لقاسم بن عبد الله، ابن الشاطئ، وبجاشيته الكتابين تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية لمحمد بن علي بن حسين المكي، (ضبطه وصححه خليل المنصور)، ط1، ج3، ص29، 30، بيروت: دار الكتب العلمية، (1418هـ - 1998م)، الفرق 119.

⁴ القرافي، م، ن، ج3، ص30.

⁵ أبو عبيدة، هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن نهر بن مالك، القرشي الفهري المكي توفي سنة 18 هـ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص23-25.

⁶ أبو يوسف، الخراج، ص442، 443.

⁷ الخلال، أحمد بن محمد (ت211هـ)، أحكام أهل المال من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، (تحقيق: سيد كروي حسن) ط1، ص61، كتاب الزكاة، باب المسلم يتصدق من أهل الذمة أو يصدق عليهم، بيروت: دار الكتب العلمية، (1414هـ - 1994 م). وأنظر ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، المحلى بالآثار، (تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري) ج6، ص344، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، د.س.

⁸ أبو يوسف، م، س، ص453.

كما أخذ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يهودياً متسولاً إلى بيته، وأعطاه شيئاً من منزله بعد أن علم أن الذي أوصله إلى هذه الحالة هي الجزية والحاجة والسن ثم بعث إلى خازن بيت المال وقال له: "أنظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه، أن أكلنا شببيته ثم نخذله عند الهرم: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين"¹، فالفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية و عن ضربائه"².

كما كان الخلفاء يوصون بكفالة أهل الذمة فهذا عمر بن عبد العزيز³ - رحمه الله - يوصي عامله على البصرة عدي بن أرطاة⁴ فيقول له: فانظر أهل الذمة فارق بهم، وإذا كبر الرجل منهم وليس له مال فانفق عليه"⁵.

وأكد القرافي على ضرورة كفالتهم وبين ذلك بقوله: "فالرفق بضعفيهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة"⁶.

ج - الحريات:

ضمن الإسلام لأهل الذمة الحريات بمجملها، بما فيها حرية المعتقد، فقد منع الإسلام الإكراه والإجبار لقبول الدين فقال عز وجل "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"⁷.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً"⁸.

¹ سورة التوبة 9، آية رقم 60.

² أبو يوسف، الخراج، 413.

³ عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبوفص الخليفة الصالح والعدل (61-101 هـ). الزركلي، الأعلام، ج5، ص50.

⁴ عدي بن أرطاة الفراري، أبو وائلة، أمير من أهل دمشق، ولاء عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة 99 هـ، توفي سنة 102 هـ، الزركلي، م.ن، ج4، ص219.

⁵ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، (دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا)، ج5، ص296، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990 م.

⁶ القرافي، الفروق، ص31، الفرق 119.

⁷ سورة البقرة 2، آية رقم 256.

⁸ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص294.

وقد أكد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على إعطاءهم الحرية في اختبار المعتقدات الدينية، فقد فكتب - صلى الله عليه وسلم - لأهل نجران ".... لا يفتن أسقف من أسقفيتهم، ولا راهب من رهبانيتها، ولا واقه¹ من وقاهيته على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير"².

والتزم المسلمون بإعطاء أهل الذمة هذا الحق، فقد جاء في المعاهدة العمرية مع أهل بيت المقدس: "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم. وصلبانهم، وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقى منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم"³.

وقد عزا أبو يوسف⁴ السبب في بقاء الكنائس وانتشارها بقوله: "فإنما كان الصلح جرى بين المسلمين وأهل الذمة في أداء الجزية، وفتحت المدن على أن لا تهدم بيعهم ولا كنائسهم داخل المدينة ولا خارجها"⁵.

وأعطى المسلمون الحرية لأصحاب الديانات الأخرى في القيام بطقوس عبادتهم وشعائهم الدينية فجاء في معاهدة خالد بن الوليد⁶ لأهل عانات⁷: "... وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلوات، وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم"⁸.

وقد أكد على ذلك ول ديورانت بقوله: "ولقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرديشتيون⁹ واليهود والصابئون¹⁰ يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد

¹ الواقعة: قيم البيعة، الزبيدي، تاج العروس، ج19، ص116.

² البلاذري، فتوح البلدان، ص46.

³ الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة: دار المعارف، د.س.

⁴ أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري البغدادي، (113-182 هـ) صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه الزركلي، الأعلام، ج8، ص193.

⁵ أبو يوسف، الخراج، ص440.

⁶ خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو سليمان المكي توفي بجمص وقيل بالمدينة سنة 21 هـ، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، ط1، ص230-232، بيروت: دار الكتاب العربي (1414هـ- 1987 م).

⁷ عانات: تقع في المغرب، وقرأها سميت بثلاثة إخوة من قوم عاد خرجوا هرباً فنزلوا الجزائر فسميت بأسمائهم وهم أوس وسالوس وناووس، ياقوت، معجم البلدان م4، ص72، 71.

⁸ أبو يوسف، الخراج، ص458.

⁹ الزردشتيون سموا بذلك نسبة إلى زرادشت بن بورشسب الذي يزعم المجوس نبوته، والذي جدد بيوت النيران، ورتب لهم عيدين النيروز والمهرجان. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت548هـ)، الملل والنحل، (صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد، ج2، ص264، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ- 1992 م).

¹⁰ الصابئون: جمع صابئ وهم الذين عظموا النجوم وعبدوها، المرجع السابق، ج2، ص259، 258.

المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم ... وكان المسيحيون أحراراً في الاحتفال بأعيادهم علناً، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين".¹

وأقر المستشرق آدم متز² بأن الحكومة الإسلامية لم تكن تتدخل في الشعائر الدينية لأهل الذمة، بل بلغ الأمر ببعض الخلفاء أن كان يحضروا أعيادهم ومواكبهم، بل وأعانوا أيضاً النصارى على بناء كنيسة قد هدمها المسلمون.³

وقد سمح لغير المسلمين بإيجاد محاكم خاصة بهم، فكانت المحاكم الكنسية، وقد بلور أهل الذمة كثيراً من القوانين الخاصة بهم وألفوا في ذلك الكتب، ولم تقتصر أحكامهم على الاختصاص بقضايا الزواج بل شملت أيضاً الميراث، وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين، مع إبقاء باب المحاكم الإسلامية مفتوحاً لهم أنى شاءوا.⁴

وبلغ التسامح الديني عند المسلمين، والتعايش السلمي في ظل دولة الإسلام مرحلة متقدمة، فقد شكل نادياً يضم عشرة أعضاء من مذاهب وديانات متعددة وذكر أن اجتماعاتهم "كان يسودها روح التسامح المتبادل والفكاهة الحلوة والنقاش الهادئ، الذي يمتاز بالأدب والمجاملة".⁵ ومما يؤكد على الحجم الكبير من الحرية الدينية التي حظي بها غير المسلمين في المجتمع الإسلامي وجود معابدهم في بلاد الإسلام منتشرة بجوار المساجد، وقد ذكر ديورانت أن عدد الكنائس في بلاد الإسلام وفي عهد المأمون بلغ أحد عشر ألف كنيسة، إضافة إلى وجود عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار.⁶

وهذا يبين الفرق الشاسع بين الحرية الدينية التي أولاهها الإسلام لغيره من الديانات، وبين الصورة المعتمة التي رسمها غير المسلمين في تعاملهم مع الأماكن والمظاهر الدينية الإسلامية، حيث نقلت لنا كتب التاريخ صوراً للخراب والدمار الذي لحق بأماكن العبادة الخاصة بالمسلمين.

¹ ديورانت، قصة الحضارة، ج13، ص130.

² آدم متز (Adam Mez)، مستشرق سويسري ألماني، كان أستاذ اللغات الشرقية في جامعة بال (Basel) بسويسرة توفي سنة 1335 هـ، الزركلي، الأعلام، م1، ص282.

³ متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، (نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة)، ص70، 69، 73، ط3، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م.

⁴ متز، م.ن، ص75.

⁵ ديورانت، قصة الحضارة، ج13، ص165.

⁶ ديورانت، م.ن، ج13، ص132.

ومما يؤكد على هذه الصورة القائمة ما يجري في أيامنا هذه من التدخلات في لبس المرأة المسلمة، أو في منع بناء المآذن أو المساجد من أصلها كما حدث أخيراً في سويسرا، أو في تحويل المحتل الصهيوني المساجد والمقدسات الإسلامية إلى معالم آثار صهيونية، وعدم السماح للمسلمين بممارسة شعائرهم الدينية.

حرية العمل:

فتح الإسلام لأهل الذمة حرية اختيار العمل وممارسة النشاطات الاقتصادية وفق ما يشاءون شأنهم شأن المسلمين، بل وأجيزَ الدخول معهم في شراكة¹. فقد قرر الفقهاء أن أهل الذمة كالمسلمين في البيوع والتجارات وسائر المعاملات إلا أنه منعوا من التعامل بالربا، كما منعوا من بيع الخمر والخنازير في أمصار المسلمين سداً لذريعة الفساد وإغلاقاً للفتنة².

وقد أقر المستشرقون العدول بهذه الحرية، وذكروا الأحوال الاقتصادية الرفيعة التي وصل لها أهل الذمة، وكان منهم من قال: " ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكان قدمهم راسخاً في الصنائع التي تدر الأرباح الوفرة فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظمهم الصيارفة والجهابذة في الشام مثلاً يهوداً على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى³."

وقد عزا الجاحظ⁴ أسباب حب الناس للنصارى في ذلك الوقت المراتب الرفيعة التي نالوها بسبب أعمالهم فقال "ومما عظمهم في قلوب العوام، وحببهم إلى الطغام أنّ منهم كتاب السلاطين وفرادي الملوك وأطباء الأشراف والعطارين والصيارفة"⁵.

¹ اشترط بعض الفقهاء في شراكتهم أن يكون المسلم هو الذي يلي البيع و الشراء خوفاً من أن يتعامل الذمي بالربا فيختلط الحلال بالحرام، ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ج1، ص552-560.

² القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص22.

³ متز، الحضارة الإسلامية، ص68.

⁴ الجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، اللبثي أبو عثمان كبير أئمة الأدب ولد في البصرة سنة 163 هـ وتوفي فيها سنة 255 هـ: الزركلي، الأعلام، ج5، ص74.

⁵ الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ)، رسائل الجاحظ: الرسائل الكلامية كشاف آثار الجاحظ، (قدم لها وبوبها وشرحها علي أبو لمحم)، ص262، ط3 بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1995م. رسائل رقم (11) الرد على النصارى.

وقد بلغ أهل الذمة مرحلةً متقدمة من الثراء، والتي كان من أسبابها قلة الضرائب المفروضة عليهم، وزهدها وهذا يظهر بوضوح بالمقارنة مع ما يدفعه المسلمون من زكاة، وأكد على ذلك ستيفن رنسيما¹ بقوله: "فإنّ المسيحيين أصابوا من الثراء ما يزيد على ما كانوا عليه زمن الأباطرة المسيحيين، إذ استتب الأمن ونشطت التجارة، وازداد هبوط الضرائب... وازدادت سعادة المسيحيين الأتقياء في ظل حكم المسلمين"².

ونال أهل الذمة المزيد من الرعاية والاهتمام، وأغدق السلاطين والأمراء عليهم الكثير من الأموال لدرجة أنه قيل عن أحدهم وهو يوحنا بن ماسويه³ أنه "كانت ملوك بني هاشم، لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرته... وكان معظماً ببغداد جليل المقدار"⁴.

وعمل الكثير من أهل الذمة في الوظائف الرسمية، وقد بلغ عددهم من الكثرة بحيث أثار استغراب آدم متر فقال: "ومن الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام"⁵ وجعل لأهل الذمة ممثلين عنهم في قصر الخلافة وعند الحكومة⁶.

كما أتيح لهم تولي مهام قيادية في الدولة الإسلامية واستتني بعض الوظائف المحددة والتي تأخذ صبغة دينية بحتة كالخلافة وإمارة الجهاد والقضاء، كونها تحكيم بين الناس وفق أحكام الشريعة الإسلامية⁷.

¹ ستيفن رنسيما: تلقى تعليمه في إيتون وكمبرج، ودرس في جامعات كمبرج وأكسفورد واستانبول وسانت أندرو، اهتم بالدراسات البيزنطية والعلاقات بين الشرق والغرب، رنسيما، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، (نقله إلى العربية السيد الباز العريني) ج1، ص8، ط3، بيروت: مطبعة دار النجوى، (1413هـ-1993م).

² رنسيما، م.ن، ج1، ص47، 48.

³ يوحنا بن ماسويه أبو زكريا من علماء الأطباء سرياني عربي المنشأ، عهد إليه الرشيد بترجمة بعض الكتب القديمة، عمل طبيباً للرشيد والمأمون وغيرهما، الزركلي، الأعلام، ج8، ص211.

⁴ ابن جليل، سليمان بن حسان الأندلسي (ت 377 هـ)، طبقات الأطباء والحكماء، (التحقيق فؤاد رشيد) د.ط، [طبعة مصورة عن طبعة القاهرة]، ص64، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القديمة، مركز تحقيق التراث، (1426هـ-2005م).

⁵ متر، الحضارة الإسلامية، ص87.

⁶ متر، م.ن، ص60.

⁷ عجبك، الحوار الإسلامي المسيحي، ص51.

كما أجاز أن يكون وزير التنفيذ من أهل الذمة إذا توافرت فيه الأهلية للقيام بهذا العمل¹، فاستلم أهل الذمة مناصب عليا في الدولة فكان منهم مسؤول ديوان جيش المسلمين²، وخازن بيت المال، ومنهم من استلم رئاسة اللجان التي تحكم بعض الأمصار، ومنهم من ترك له تصريف شؤون الحكم وتوجيه السياسة القومية وما إلى ذلك³.

وقد بلغ أهل الذمة في الحكم أن وصلوا إلى مرحلة إيقاع الظلم بالمسلمين وإيذاءهم والتعدي عليهم مما أثار العديد من الشكاوي ضدهم، فقد اشتكى لأبي جعفر المنصور⁴ من ظلم أهل الذمة بالقول: "سلطت الذمة على المسلمين، ظلموهم وعسفوهم⁵ وأخذوا ضياعهم، وغصبوهم أموالهم، وجاروا عليهم، واتخذوك سلماً لشهواتهم"⁶.

وقام المهدي⁷ بعزل بعض كتاب أهل الذمة بعد أن تأكد من صدق الشكاوى المقامة ضدهم، كما وتذمر المأمون⁸ من نفوذ أهل الذمة وظلمهم، فأصبح يسأل عن أصلهم وطبيعة تناسلهم لعله يجد سبب عدوهم⁹.

ويمكن القول أن العلاقة التي سادت بين المسلمين وغيرهم داخل المجتمع الإسلامي كان يسودها التسامح والعدل، كما بلغت مرحلة سامية من التعايش الفريد من نوعه ولم يكن هناك صراعاً ولا أدل على ذلك من الصورة المرسومة من سكن المسلم مع النصراني في دار حيث كان يختلط الأولاد فلا يميز المسلم منهم من النصراني¹⁰.

¹ ذكر الماوردي ثمانية شروط لأهلية هذه الوزارة وهي: الأمانة، وصدق اللهجة، وقلة الطمع، وإزالة العداوة مع الناس، والذكورة والذكاء والفطنة، وأن لا يكون من أهل الأهواء، الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص31، 30، دط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.س.

² متز، الحضارة الإسلامية، ص88، 87.

³ ديورانت، قصة الحضارة، ج13، ص133، 285 وانظر أرنولد، سيرتوماس، و.، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، (ترجمه إلى العربية وعلق عليه حسن إبراهيم، وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النجراوي)، ص81-83، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1970م.

⁴ أبو جعفر المنصور هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس (95-158هـ) ثاني خلفاء بني العباس، الزركلي، الأعلام، ج4، ص117.

⁵ عسفوهم: أي استخدموهم وظلموهم، ابن منظور، لسان العرب ج9، ص246، مادة عسف.

⁶ ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ج1، ص461.

⁷ المهدي، هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي أبو عبد الله (127-169هـ) من خلفاء الدولة العباسية أقام في الخلافة عشر سنين وشهراً. الزركلي، الأعلام، ج6، ص221.

⁸ المأمون: هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور أبو العباس، سابع الخلفاء العباسيين (170-218هـ)، المرجع السابق ج4، ص142.

⁹ ابن قيم، أحكام أهل الذمة، ص462-467.

¹⁰ الخلال، أحكام أهل الملل، ص11.

فلم يكن لأهل الذمة مساكن أو أحياء خاصة بهم، وقد ذكرت كتب التاريخ أنه في عام 319هـ، دفن موتى المسلمين والنصارى مع بعضهم فلم يكن يميز بينهم، وذلك بعد أن أتى السيل فأغرقهم¹. وأقر متز بذلك فقال: "ولم يكن يوجد في المدن الإسلامية أحياء مغتصبة لليهود والنصارى، بحيث لا يتعدونها ... وكانت الأديرة المسيحية منتشرة في كل أجزاء بغداد حتى كادت لا تخلو منها ناحية"².

وقد بلغت حالة الحرية والعدل والرفاه والمساواة التي عاشها أهل الذمة في ظل دولة الإسلام، إلى أن كثيراً منهم كان يرحب بالمسلمين الفاتحين، كما دفع كثير منهم إلى الدخول في الإسلام³. وقد عبر ديورانت عن تلك الحالة بقوله: "وكان المسيحيون في بلاد الشرق يرون أن حكم المسلمين أخف وطأة من حكم بيزنطة وكنيستها"⁴.

هذا ما ساد من العلاقات الحسنة التي حكمت المسلمين وغيرهم في ظل الدولة الإسلامية، وأما بالنسبة لحالات التضييق على أهل الذمة مما يتعلق باللباس والعمل وما إلى ذلك - والتي كان غالبيتها بين القرنين الخامس والثامن الهجري⁵ - فهي حالات شاذة خارجة عن الأصل وتعود لأسباب عديدة ويحمل أهل الذمة جزءاً كبيراً منها، ومن أبرز تلك الأسباب:-

1- تعسف بعض الحكام والأمراء، وظلمهم لبعض أهل الذمة وهذه تشكل أخطاءً فردية، ولا تمثل وجهة نظر الإسلام وقد نشأت بسبب الإجهاد الشخصي أو الأهواء أو الميول⁶.

2- ظلم أهل الذمة ممن كانوا يعتلون مناصب عالية في الدولة لكثير من المسلمين وتعديهم عليهم ونهب أموالهم وعبر رنسيمن عن ذلك بقوله: "غير أن ذلك يرجع إلى ما أصابوه من ثراء وافر، وإلى أنهم ازدادوا تجبراً وعتوا"⁷.

¹ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، ج8، ص235، 236، دط، بيروت: دار صادر، (1399هـ-1979م).

² متز، الحضارة الإسلامية، ص75.

³ ديورانت، قصة الحضارة، ص133.

⁴ المكان نفسه.

⁵ عجبك، الحوار الإسلامي المسيحي، ص57.

⁶ المكان نفسه.

⁷ رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص49.

3- تعاون بعض المسيحيين ممن يعيشون في ظل الدولة الإسلامية مع المتدخلين الأجانب في البلاد الإسلامية، وإظهارهم الرغبة والتعاطف مع عدو المسلمين، مما أدى إلى الكره والأذى وإلحاق الضرر، قال رنسيما: "وحيثما ساءت أمور العرب في حروبهم مع بيزنطة في القرن العاشر، وتعرض المسيحيون لهجوم العرب، الذي غضبوا لما أظهره المسيحيون من العطف على عدو المسلمين، حرص الخليفة أن يبذل تعويضاً عن الخسائر والأضرار التي وقعت"¹.

¹ المكان نفسه.

المبحث الثالث: علاقة المسلمين بغيرهم خارج المجتمع الإسلامي

يختلف موقف الإسلام من غير المسلمين ممن يعيشون خارج المجتمع الإسلامي، وذلك وفقاً لطبيعة العلاقات الدولية والظروف المصاحبة التي تربط تلك الدول بالدولة الإسلامية، فالناس على ذلك يكونون على ثلاثة أصناف وهم:

أ- **المعاهدون:** وهم غير المسلمين الذين يرتبطون من خارج بلاد المسلمين بمعاهدات واتفاقيات مع المسلمين¹، وتعد المعاهدات مع اختلاف مضامينها- الطريق الطبيعي لتنظيم العلاقات بين الدول، فتحدد الحقوق والواجبات بين الدول وعلى مختلف العصور² وتسمى الديار التي يعيش فيها المعاهدون دار العهد³، وهي التي عقد أهلها الصلح مع المسلمين مقابل خراج يؤدونه للمسلمين أو بدون خراج⁴ ومنشأ ذلك حالة بلاد النوبة و صلح أرمينية حيث قام عبد الله بن سعد بن أبي سرح⁵ بعقد عهد معهم فيه تبادل تجاري وليس جزية، كما أقر معاوية⁶ لأهل أرمينية بسيادتهم الداخلية الكاملة⁷.

وقد عقد الرسول صلى الله عليه وسلم معاهدة مع اليهود في أوائل الهجرة وهي أول معاهدة للمسلمين⁸، كما عقد صلى الله عليه وسلم، صلح الحديبية مع أهل مكة في السنة السادسة من الهجرة⁹.

وأوجب الإسلام على المسلمين الالتزام بما جاء في المعاهدات والوفاء بما عاهدوا عليه، قال تعالى: " وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ " ¹⁰، وقال عز وجل: "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً"¹¹. ورفع الله شأن

¹ عجبك، الحوار الاسلامي المسيحي، ص66.

² السوسوة، عبد المجيد محمد، أسس العلاقات الدولية في الإسلام، ص79، ط1، بيروت، دار ابن حزم، (1426هـ - 2005م).

³ يقسم بعض الفقهاء العالم الى دار الاسلام ودار الحرب واضيف دار العهد ودار الحياذ ، وهذا التقسيم لم يكن معروفا في عهد الرسول عليه السلام ، والصحابه الكرام وانما وضع في عصر التدوين الفقهي لمعالجة بعض القضايا المستجدة ، وهو اليوم فقد مغزاه في ظل ضعف المسلمين والحاق معظم بلادهم ببلاد الكفر. الزحيلي ، هبة، اثار الحرب في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة، ص204، ط3، دمشق: دار الفكر (1419هـ - 1998م) و السوسوه ، م، ن، ص72-78. وعيد، عارف خليل ، العلاقات الدولية في الفقه الاسلامي ، ص50، ط1، عمان: دار النفائس (1417هـ - 2007م).

⁴ السوسوة، م، س، ص76، 77.

⁵ عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري ، فاتح افريقيا اسلم قبل فتح مكة، ت37هـ، الاعلام ، الزركلي، ج4، ص88.

⁶ معاوية ابن "أبي سفيان" ، صخر بن حرب بن امية ، مؤسس الدولة الاموية، ت60هـ، الزركلي م، ن، ج7، ص261 .

⁷ البلاذري، فتوح البلدان، ص، 120، 145.

⁸ للاطلاع على المعاهدة انظر: ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي(ت774هـ) ، البداية والنهاية ، ومعه نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم ، (تحقيق صدقي جميل العطار) ط1، ج1، ص621، 620، بيروت: دار الفكر، (1416هـ - 1996م).

⁹ للاطلاع على الصلح ، انظر : ابن كثير م، ن ، ج3 ، ص336.

¹⁰ سورة النحل، آية رقم 91.

¹¹ سورة الإسراء، آية رقم 34.

الموفين بالعهود فقال عز وجل " إِنَّمَا يَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ"¹.

ولعن الله ناقضي العهد وتوعدهم بالنار فقال " وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ "².

وأوجب الإسلام على المسلمين الالتزام بكافة ما جاء في المعاهدات من شروط والتزامات طول مدة المعاهدات فقد قال عز وجل " إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ "³.

فإذا نقضوا العهد مع المسلمين، يصبح المسلمون في حل من هذه المعاهدة وعليهم المعاملة بالمثل حتى لو وصل الأمر إلى إعلان الحرب⁴، قال تعالى " الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فَمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ، وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ "⁵.

ب- المحاربون: وهم الذين يكونون في حالة حرب مع المسلمين أو عدااء معلن يهدد بالحرب ولا توجد بينهم وبين المسلمين معاهدات أو اتفاقيات أمن وصداقة⁶.

فعلى الرغم من أن الإسلام دين سلام وهداية، فرض الله فيه السلم على المؤمنين، فقال عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً"⁷. وأمر بمسالمة الأعداء بقوله عز وجل- "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها"⁸.

إلا أنه أباح القتال دفاعاً عن العقيدة إذا ما اعتدي عليها وتأميناً للدعوة إذا وضعت العراقيل في وجهها ودفاعاً عن الأرض والمقدسات إذا ما اغتصبت أو اعتدى عليها، وفي سبيل رفع الظلم والعدوان عن المستضعفين⁹، قال عز وجل " وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

¹ الرعد13، ايه، رقم، 19، 20.

² الرعد13، ايه رقم، 25.

³ سورة براءة، ايه رقم 4.

⁴ عجبك ، الحوار الاسلامي المسيحي ، ص 66 .

⁵ سورة الأنفال آية 56-58.

⁶ الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص 177، 176. عجبك م. س، ص 67.

⁷ سورة البقرة، آية رقم 208.

⁸ سورة الأنفال، آية رقم 61.

⁹ التسامح في الحضارة الإسلامية، (أبحاث ووقائع المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المنعقد بالقاهرة في الفترة 8-11 ربيع الأول 1425 هـ - 4/28 - 5/1/2004م)، الإسلام والآخر في العلاقات الدولية نظرة عامة، صوفي حسن أبو طالب، (إشراف محمود حمدي زقزوق)،

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا¹.

فقد عمل الإسلام على حصر الحروب وأسبابها، وجعل غايات الجهاد سامية رفيعة، ورفض القتال لمجرد القتال، أو إتباعاً لرغبات أو أهواء، وحرّم الاعتداء في أوقات الحروب فقال عز وجل: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"².

ومن صور عدم الاعتداء ما استحدثه الإسلام من نظام إعلان الحرب، حيث يتم الإعلان المسبق له³، قال تعالى: "وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ"⁴.

وقد التزم المسلمون بهذه القاعدة وخالف في ذلك القائد قتيبة بن مسلم⁵ حيث فتح سمرقند⁶ على حين غرة مما جعل أهلها يشتكون إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، والذي قام بدوره بتعيين قاض لينظر في الأمر، وإذا به يحكم بإخراج المسلمين منها بعد أن فتحوها⁷ وهذا من أروع الأمثلة على التزام المسلمين بالقيم والحق والعدالة حتى في ظروف الحرب.

وقد منع الإسلام الخيانة والغدر والتمثيل بالقتلى، وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوصي الجيش فيقول: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا...."⁸.

ص 396، ط، القاهرة: د.ن، (1425هـ-2004م) ولمزيد من الاطلاع على دوافع الحرب في هذا الزمان انظر : ابو شريعه ، اسماعيل ابراهيم محمد ، نظرية الحرب في الشريعة الاسلاميه، ص33-51 ، ط1، الكويت مكتبة الفلاح ، 1981م.

¹ سورة النساء، آية رقم 75.

² سورة البقرة، آية رقم 190.

³ التسامح في الحضارة الاسلاميه، ص398.

⁴ سورة الانفال، آية رقم 58.

⁵ قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي أبو حفص أمير فاتح (49-96هـ). الزركلي، الأعلام، ج5، ص189.

⁶ سمرقند: بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سمران، قيل إنه من أبنيه ذي القرنين بما وراء النهر، وقيل بناها سمر أبو كرب، فسميت شمركنت فأعربت فقيل سمرقند، وقيل غير ذلك ياقوت، معجم البلدان، ص246، 247.

⁷ البلاذري، فتوح البلدان، ص 251، وأنظر: الطبري/محمد بن جرير(ت310هـ) صحيح تاريخ الطبري (حققه وخرج رواياته محمد بن طاهر البرزنجي)، (إشراف ومراجعة محمد صبحي حلاق) ج4، ص 250-251، ط1، دمشق، بيروت: دار الفكر، (1482هـ-2007م).

⁸ مسلم، صحيح مسلم، كتاب رقم 32، الجهاد والسير. باب رقم 2 تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، حديث رقم 1730 من طريق بريدة ص720، وتغلوا بمعنى تحقدوا وتضغنوا وتخونوا. ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص499، مادة غل.

كما أوصى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - القائد يزيد بن أبي سفيان¹ عندما انطلق بجيش المسلمين إلى الشام فقال له: "إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له.... وإني موصيك بعشر.... لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرباً ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربين عامراً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة ولا تحرقن نحلاً ولا تفرقنه ولا تغل ولا تجبن"²

وقد أقر الإسلام مسألة عدم التعرض للرسول، فاتفق الفقهاء على مسألة تأمين الرسل والسفراء وحمايتهم إذا أوفدوا من قبل دولتهم، وإن تمكنوا من دخول أراضي الدولة الإسلامية قبل الإذن لهم³. فقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قولاً وعملاً أنه لم يتعرض للرسول بالقتل أو الضرب أو التنكيل أو الأذى.

وقد روى عبدالله بن مسعود⁴ أن مسيلمة الكذاب⁵ أرسل رسولين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتحدثا بما لا يليق في حق الرسول صلى الله عليه وسلم - فقال صلى الله عليه وسلم "لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما"⁶، فجرت السنة أن لا يقتل الرسل⁷.

وروي عن الرسول عليه السلام أنه قال: "إني لا أحبس العهد، ولا أحبس البرود (الرسل)"⁸.

فقد كفل الإسلام للرسول أو الممثل السياسي الحماية والرعاية والحصانة¹، متى دخل أرض المسلمين، حتى يتمكن من أداء مهمته دون ضيق أو حرج، بل إن بعض الفقهاء أجاز للرسول أو الممثل السياسي أن يدخل دار الإسلام بدون حاجة إلى عقد أمان².

¹ يزيد بن أبي سفيان هو يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب الأموي أبو خالد (ت 18هـ)، الزركلي، الإعلام، ج8، ص 184.
² الكاندلوي، محمد زكريا المدني، أوجز المسالك إلى موطأ مالك، (اعتني به وعلق عليه تقي الدين الفروي، كتاب 21 الجهاد، باب رقم 3 النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو رقم 957، ص 63-87 ط1، [محققة ومنقحة]، دمشق: دار القلم، (1424هـ-2003م).
³ شومان، عباس شومان، العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية دراسة فقهية مقارنة، ص78، ط1، القاهرة، الدار الثقافية، 1999م.
⁴ ابن مسعود هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري، من السابقين للإسلام توفي سنة 32هـ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص 461. والزركلي، الإعلام، ج4، ص 137.
⁵ مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامه بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي أبو ثمامه سماه رسول الله - عليه السلام - بالكذاب لأنه أدعى النبوة، قتل سنة 12هـ، المرجع السابق ج7، ص 226.

⁶ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب رقم 9 الجهاد، باب رقم 16 في الرسل حديث رقم 2761، ص 420، 421، صححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، (اختصر اسانيده وعلق عليه زهير الشاويش)، حديث رقم 2761، ج2، ص 529، ط1، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، (1409هـ-1989م).

⁷ الشيرازي، إبراهيم بن علي الفيروز آبادي، المذهب في فقه الإمام الشافعي وبذيله النظم المستعذب في شرح غريب المذهب لمحمد بن أحمد بن بطل (ضبط وتصحيح زكريا عميرات)، ج3، ص 278، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1416هـ-1995م).

⁸ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب رقم 9 الجهاد، باب رقم 163 في الإمام يستهجن به في المعهود من طريق أبي رافع حديث رقم 2758، ص 420. سكت عليه الحاكم والذهبي وصححه الألباني فقال: "وهو إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات" الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، م2، ص 315، 316، حديث 702، ط4، بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م.

وقد حرم الإسلام قتل المدنيين في الحرب، وأمر المسلمين بأن لا يتجاوز قتالهم غير المحاربين قال تعالى: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم"³.

فاتفق الفقهاء على حرمة قتل النساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم إذا لم يقاتلوا أو يشتركوا في الحرب⁴، وألحق بهما المجنون والخنثى⁵.

فروى "أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي - صلى الله عليه وسلم - مقتولة، فأنكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل النساء والصبيان"⁶

وقد مر الرسول صلى الله عليه وسلم بامرأة مقتولة في بعض غزواته فقال: "ما بال هذه تقتل؟ ولا تقاتل"⁷.

كما ذهب جمهور الفقهاء الى تحريم قتل كل من ليست له نشاطات حربية لاعتبارات بدنية أو عرفية ويدخل في ذلك الشيوخ والعميان والمقعدين والرهبان والسوقة (عامّة الناس) وما إلى ذلك ما لم يشاركوا في القتال⁸.

¹ للإطلاع على الحصانة التي أولاها القانون الدولي في العصر الحاضر. أنظر: أبو شريعة، نظرية الحرب، ص411، والقاسمي، ظافر، الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، ص453، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1992م.

² باعمر، احمد سالم محمد، الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي، ص132، ط1، عمان: دار النفائس، 2001م.

³ سورة البقرة، آية رقم 190.

⁴ ابن رشد، محمد بن احمد القرطبي (ت595هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، م1، ص398، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، (1423هـ - 2002م).

⁵ الحق المجنون بهما لرفع القلم عنه، والخنثى إلحاقاً بالمرأة، الكاساني، بدائع الصنائع، ج9، ص398، والمرداوي علي بن سليمان (ت885هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام احمد، (تصحيح وتحقيق محمد حامد الفقي)، ج4، ص129، ط2، بيروت: دار إحياء التراث، ومؤسسة التاريخ العربي، د.س.

⁶ البخاري، صحيح، البخاري، كتاب رقم 56 الجهاد والسير، باب رقم 147، قتل الصبيان في الحرب، من طريق ابن عمر، حديث رقم 3014، ص498.

⁷ ابن حنبل، احمد (ت241هـ) مسند الامام احمد بن حنبل، من طريق رباح بن الربيع حديث رقم 16088، ص1131، وابن ماجه، محمد بن يزيد الربيعي (ت273هـ) سنن ابن ماجه، كتاب رقم 24 الجهاد، باب رقم 30 الغارة والبيات حديث رقم 2842 ص410.

وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب رقم 9 الجهاد باب رقم 121 في قتل النساء حديث رقم 2669، ص404. وقد صححه الحاكم وقال إنه على شرط الشيخين كما صححه ابن حبان، أنظر: ابن حجر، أحمد بن علي (ت852هـ)، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، (تحقيق وتعليق عادل عبد الموجود وعلي معوض، كتاب السير حديث رقم 1861، ج4، ص274، 275، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.

⁸ وهذا مذهب أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد والحنيفة والمالكية والحنابلة والشافعي في قوله المرجوح والإمام أحمد في أحد قوليه وابن تيمية. أنظر ابن حزم، المحلى، ج5، ص350، 351. وابن العربي، محمد بن عبد الله (ت543هـ)، أحكام القرآن، (تحقيق: علي البجاوي) ج1، ص104، د.ط. بيروت: دار المعرفة، دار الجبل، (1407هـ - 1997م)، وابن قدامة، موفق الدين بن عبد الله بن أحمد (ت683هـ)، المغنى ومعه الشرح الكبير، (تحقيق: محمد شرف الدين خطاب، والسيد محمد، وسيد صادق)، ط1، ج12، ص722، القاهرة: دار الحديث، (1416هـ - 1996م)، وابن الهمام، محمد عبد الواحد السيواسي (ت681هـ)، شرح فتح القدير، على الهداية شرح بداية المبتدي لعلي المرغيناني ومعه شرح العناية وحاشية سعدي افندي، ج5، ص453، د.ط. بيروت: دار الفكر، د.س، وابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد بن تيمية، م28، ص354، د.ط. دم.دن، د.س، وابن مفلح، محمد بن مفلح المقدسي (ت762هـ)، الفروع وبذيله تصحيح الفروع، لعلي بن سليمان المرداوي، (تحقيق حازم القاضي)، ج6، ص197، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1418هـ - 1997م)، ونظام، نظام الدين البرهان بنوري وجماعة من علماء الهند، الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمية، (ضبط وتصحيح عبد اللطيف حسين عبد الرحمن)، ج2، ص215، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1421هـ - 2000م)، وابن عابدين، رد المحتار، ج6، ص213، القرطبي، جامع البيان، م1، ج2، ص323، 324..

فعد قتال هذه الفئات اعتداءً يندرج تحت قوله تعالى "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"¹. ووردت أدلة كثيرة تنهي عن قتال هؤلاء كالحديث الذي رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة"².

وما رواه ابن عباس أنه "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال: "أخرجوا باسم الله تقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع"³.

وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم مر بامرأة مقتولة في بعض غزواته، فقال: ما بال هذه تقتل ولا تقاتل، ثم قال لرجل: انطلق إلى خالد فقل له: أن رسول الله يأمرك أن لا تقتل ذرية أو عسيفاً⁴ وعلى هذا تكون علة قتل الكفار محاربتهم وإشترакهم في قتال المسلمين وليس كفرهم⁵.

وقد ذهب بعض الفقهاء كالشافعية إلى القول بأنه لو تعدد مسلم قتل عدو غير مقاتل (لا يحل قتله) فعليه الدية، ومقدارها ما يضمن به الواحد من دين المقتول⁶.

ولم يقتصر حرص الإسلام على هذا الإنسان - الذي كرمه الله - بعدم الاعتداء عليه، حتى في أشد الظروف صعوبة وهي في حال الحرب.

بل ومنع التعدي على ممتلكات العدو، فمنع تخريب البيوت أو إحراق النخيل أو الزروع أو قطع الشجر، إلا أن يكون عن طريق المعاملة بالمثل، أو اقتضى ذلك ضرورة حربية، كما منع عقر الشاة أو الدابة إلا لمأكلة، لأن فعل ذلك يعد تخريباً وفساداً في الأرض⁷.

¹ سورة البقرة، آية رقم 190.

² أبو داود، سنن أبي داود، كتاب رقم 9 الجهاد، باب رقم 90 في دعاء المشركين، حديث رقم 2614، ص 396.

³ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم 2728، ص 250، وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وهو ضعيف، ابن حجر، تلخيص الجبر، ج 4، ص 277.

⁴ تقدم ذكر الحديث، ص 113.

⁵ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، م 28، ص 354.

⁶ في حين رأي عامة الفقهاء من الحنيفة والمالكية والحنابلة أنه ليس عليه الدية ولا كفارة لأن دم الكافر لا يتقوم إلا بالأمان، والأمان غير موجود، وما عليه إلا التوبة والاستغفار.

الكاساني، ج 9، ص 401، ابن مفلح، الفروع، ج 6، ص 197، ابن عابدين، رد المحتار، ج 6، ص 215، وأبو غدة، قضايا فقهية، ص 266.

⁷ الرافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم (ت 623هـ)، العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، (تحقيق وتعليق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود)، ط 1، ج 11، ص 421 - 424، بيروت: دار الكتب العلمية، (1417هـ - 1997م).

فيمكن القول أن أهداف الإسلام في القتال أهداف نبيلة، وأنه راعى الرحمة، والقيم والأخلاق الرفيعة حتى في ظروف الحرب، وأنه كان سباقاً في تشريعاته بتحديد المدنيين من الأعداء في الحرب بعدم التعرض لهم بالأذى والقتل ما لم يشتركوا في القتال.

وقد طبق المسلمون ذلك في غزواتهم، والتزموا به وكان قادة جيش المسلمين يوصون من معهم بالالتزام بهذه المبادئ لأنهم يعلمون يقيناً أن الإسلام لا يقوم على الإكراه وإنما يقوم على المبادئ السمحة والخير للإنسانية جمعاء فظهر رفق الجيش المسلم بالحيوان والطيور والشجر ناهيك عن رفقه بالإنسان وهذا بخلاف ما كان يفعله أعداء الإسلام مع المسلمين، والناظر في صفحات التاريخ يجد البون الشاسع بين المبادئ الإسلامية السمحة ومبادئهم التي ظهر فيها التقتيل والتخريب والدمار منذ الحروب الصليبية، ومروراً بما فعله التتار، والاستعمار في كافة أرجاء العالم الإسلامي وما جرى في الحرب العالمية من ضرب قنبلتي هيروشيما وناغازاكي وما أحدثه ويحدثه المحتل الصهيوني الغاصب من جرائم ومجازر في لبنان وفلسطين، وما يرتكبه الأمريكيان من جرائم بشعة في العراق وأفغانستان وغيرها من دول العالم الإسلامي.

وقد أقر رنسيومان أحقية هذه المقارنة فقال: "إن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية فبينما كان الفرنج منذ ثماني وثمانين سنة، يخوضون دماء ضحاياهم، لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة، بناء على أوامر صلاح الدين، يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين"¹.

ج- **المحايدون:** وهم الذين ليس بينهم وبين المسلمين معاهدة ويسمحون في بلادهم للدعوة الإسلامية بالانتشار، ولا يمارسون أعمالاً عدوانية ضد المسلمين، ولا يتحالفون مع دول معادية للمسلمين وتطلق على ديارهم "ديار الحياد" وتبقى علاقة المسلمين بهم علاقة دعوة، وأسس هذا القول على العلاقة التي حكمت المسلمين ببعض الدول في صدر الإسلام كبلاد النوبة² وقبرص حيث كانت تقف على الحياد فلم يكونوا يقاتلون المسلمين ولم يؤيدوا المسلمين ولا خصومهم³.

¹ رنسيومان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 752.

² النوبة : بلاد واسعة عريضه في جنوبي مصر ، تقع بالقرب من اسوان . البلاذري معجم البلدان م5 ، ص308، 309. ولمزيد من الاطلاع على علاقات تلك البلاد مع المسلمين أنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص96، 145.

³ آثار الحرب في الفقه الإسلامي الأصلي، 208، السوسوة، أسس العلاقات الدولية، ص77، 78.

• مسألة (حزب التحرير وحتمية صراع الحضارات) :

لقد تبنت بعض الحركات الإسلامية- خاصة ما يوصف منها بالمتشددة- فكرة الصدام الحضاري، وقد تصدر حزب التحرير حمل لواء هذه الفكرة ودافع عنها وقال بحتمية الصراع وذلك من خلال الكتيب الصادر عن الحزب والموسوم بـ"حتمية صراع الحضارات"، والذي طبع عام 2002، أي بعد 9 سنوات من نشر هنتجتون لنظريته، ويتكون من 64 ورقة من الحجم الصغير، ويمكن القول أن حزب التحرير انطلق بذهابه إلى القول بحتمية صراع الحضارات من مجموعة أسس من أبرزها ما يلي:-

1- أنه يعتقد أن الصراع بين الأديان وبين الحضارات قديم، كما أنه يعتقد بأن الإسلام يقوم على الصراع فقال: "إنّ الصراع بين الأديان وبين الحضارات قديم.... والحق أنّ الإسلام دين صراع منذ أن أمر محمد صلى الله عليه وسلم- بالصدع حتى قيام الساعة"¹.

2- اعتمد على الأدلة التي تأمر وتحث على القتال واعتبرها الأساس في التعامل مع غير المسلمين وترك الأدلة التي تتحدث عن السلم والسلام.

3- استدعى بعض ما أسماه "مظاهر وجوه الصراع"، وذكر أمثلة عديدة يظهر أنها يتمثل فيها الصراع بين حضارة الغرب وحضارة الإسلام فعلى الصعيد الفكري ذكر سيطرة الغرب على وسائل الإعلام، وعلى وسائل التعليم، وإشراف الغرب على المدارس والجامعات، وإنشائه لأحزاب تنبئ حضارة الغرب، ومحاربة اللغة العربية وغير ذلك².

وعدّ أربعة عشر وجهاً للصراع الإقتصادي فذكر سيطرة الغرب على المواد الخام، وجعل الدولار بديلاً عن الذهب كعملة عالمية وجعل الدول النامية مجرد أسواق استهلاكية مغرقة بالقروض الربوية، واستيعاب الغرب للخبرات والعقول المهاجرة، وإشعال الحروب الإقليمية لشراء الأسلحة، وتعيين حكام عملاء مع جيوش ومخابرات لحماية مصالح الغرب، وما إلى ذلك³.

¹ حزب التحرير، حتمية صراع الحضارات، د. ط، ص23، د. س، 1423هـ- 2002م.

² حزب التحرير، م. ن. ص37-41.

³ حزب التحرير، م. ن. ص41-44.

وعد سبعة وجوه للصراع السياسي فذكر هدمهم لدولة الخلافة وتقريظهم لجماعة المسلمين، وتطبيق نظامهم السياسي على الأقطار الإسلامية، وإنشاء أحزاب لخدمة الغرب وما إلى ذلك¹

كما عد وجوهاً للصراع العسكري كإحتلال بعض الدول الغير إسلامية لأرض المسلمين وذكر إحتلال إستراليا لتيمور الشرقية، وإحتلال روسيا للقفقاس وقازان، وإحتلال الهند لكشمير، وإحتلال اليهود لفلسطين، وسيطرة أمريكا على الخليج واستأنس للتأكيد على رأيه بأقوال بعض السياسيين والعسكريين والمفكرين الغربيين والتي تظهر عداؤهم للمسلمين أو تحض على قتال المسلمين أو جعلهم في حالة من الضعف².

وعلى الرغم من أن حزب التحرير قد اتفق مع هنتجتون بتبنيه فكرة الصراع بين الحضارات، إلا أنه اختلف معه في تحديد أسباب الصراع ومظاهره. ويمكن القول أن رؤية حزب التحرير في "نظرية الصدام" - ومن وجهة نظر الباحث - تعاني من الضعف، بحيث لا ترقى للقول بحتمية الصراع وهذا من خلال عدة وجوه يمكن

حصرها على النحو التالي:

1- إن العوامل التي اعتمد عليها حزب التحرير حتى حتم فكرة الصراع الحضاري، تقوم تارة على التعميم المطلق، وتارة أخرى تقوم على الانتقائية، وهذا يظهر بشكل واضح، وعلى سبيل المثال، من خلال تعميمه للصراع واعتباره قديم وأزلي، وهذا يتناقض مع الحقائق التاريخية، والتي أثبتت أن التاريخ لم يكن يحمل دائماً في طياته الصراع بل حمل أيضاً التفاعل والتحاور والتبادل، كما أنه يتعارض مع ما أثبت للإسلام من خلال نظريته للإنسان ووضعه في مكان سام كما يتنافى وواقع التعددية التي أوجدها الخالق سبحانه وتعالى، ويتناقض كثيراً مع الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية التي حثت على عدم الإكراه وأمرت باحترام الآخر، والدخول معه في معاهدات، فالإسلام لا يعادي الحضارات الأخرى ولا يعادي الأديان ولا يقوم على الصراع أو الإكراه أو الإجبار فلم ينتشر الإسلام بالسيف وإنما انتشر بحسن المعاملة واللطف.

فكيف القول بصراع الأديان، وقد أحل الإسلام للمسلمين الزواج من نساء أهل الكتاب والأكل من طعامهم كما أحل التعامل معهم في سائر المعاملات، مما لا يوجد فيه حرمة، وما إلى ذلك من أدلة تظهر حسن معاملة الإسلام وتؤكد على فكرة التعايش السلمي مع أصحاب الأديان الأخرى.

¹ حزب التحرير، م، ن، ص 44-47.

² حزب التحرير، حتمية صراع الحضارات، ص 47-49.

وإن اختيار الأدلة لابد أن يكون في مكانه، فلا يجوز أن نأخذ دليلاً ونترك الآخر، فكما أن هناك أدلة تحض على القتال، فهناك أدلة أخرى تحض على السلم والحوار ولكل تطبيقه وميدانه الذي يؤخذ فيه، كما أنه لو عممنا آيات القتال، كما قال الأخوة في حزب التحرير لما كان هناك صلحاً ولا معاهدات، ولبقي القتال دائراً على طول الزمن، وهذا لم يتحقق، كما أن هذا يتنافى وبشكل واضح مع إبرام المسلمين الصلح مع غيرهم دون أن يدفعوا الجزية كما حدث في صلح النوبة

فالأصل في ذلك توجيه هذه الآيات والأدلة وإزالة التعارض بينها، فتكون آيات القتال للمحاربين من الكفار الذين يعتدون على الإسلام والمسلمين، وتكون آيات السلم والأمان لمن لا يعتدي على المسلمين ولا يحاربهم فتكون الآية القرآنية الفصل في ذلك:

"لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"¹.

وإن مظاهر وجوه الصراع التي ذكرت لا تقوى لعددها كوجه من وجوه الصراع بين الحضارات، فكثيراً من تلك المظاهر - يتحمل المسلمون لا غيرهم الجزء الأكبر منها، وليس بالإمكان أن نلقي الأمور عن كاهلنا ونحملها لغيرنا.

فمن يتحمل مسؤولية السيطرة الغربية على وسائل الإعلام؟ وماذا عمل المسلمون ليتمكنوا من أن يكونوا هم من يملكون تلك السيطرة؟، وكيف سيطر الغرب على وسائل التعليم في العالم الإسلامي؟، وماذا عمل المسلمون من أجل إزاحة تلك السيطرة أو التقليل منها؟، ونفس الأسئلة تطرح على سيطرة الغرب على اللغات والمواد الخام، وسيطرة الدولار، وسيطرة الحكام والعلماء، وإزالة دولة الخلافة وما إلى ذلك.

كما أن وجوه الصراع العسكري التي استشهد بها، لا ترقى للقول بحتمية الصراع وهناك أسئلة كثيرة تثار حول هذا الجانب تضعف قوة الاستدلال. فهل احتلال بعض الدول الأجنبية لبعض الأراضي الإسلامية يفرض القول بحتمية الصراع الحضاري؟ وهل أستراليا والهند والكيان الصهيوني

¹ سورة الممتحنة 60، الآيتان 8،9.

وغيرها من الدول المغتصبة للأرض الإسلامية تقف مجتمعة في جبهة واحدة؟! والمسلمون في المقابل يقفون في جبهة أخرى...؟!، وهل المسلمون حالياً قادرين على التجمع والتوحد والتحدى والمجابهة؟

أظن أن الإجابة تكون بالنفي، وخير دليل على ذلك ما حصل في الحرب الأخيرة، وهي الحرب الإسرائيلية على غزة والتي أوقعت عدداً كبيراً من الشهداء، وأحدثت الكثير من الخراب والدمار ولم يصنع المسلمون شيئاً في تلك الحرب أو حتى فيما بعد على إثرها، فاعتبار المسلمين كتلة واحدة أصبح - على الأقل في الوقت الراهن أو حتى في الأفق المنظورة متعذراً.

كما أن إعتبار حزب التحرير للغرب كأنة كتلة واحدة يتنافى والواقع، فهناك صراعات محتدمة بين الدول المسماة بالدول الغربية نفسها وفي مختلف الصعد، وقد أشير في الكتيب أن هناك تنافساً بين الدولار واليورو، إلا أنه لم يشر إلى اعتبار ذلك على أن الغرب ليس كتلة واحدة تقف في وجه الأغيار.

الخاتمة:

لقد تناولت هذه الدراسة نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتجتون والتي صدع بها عام 1993م، ويعتبر هذا الموضوع غاية في الأهمية والخطورة، كونه يتعلق بالعلاقات الحضارية والدولية وكونه صدر في وقت مناسب وحساس، مما هياً لانتشار وقبول هذه النظرية عند الكثيرين، وزاد من خطورتها وانعكاساتها المتشعبة.

وقد قام الباحث من خلال هذه الرسالة بدراسة هذه النظرية دراسة نقدية وأظهر موقف الإسلام منها وظهر له مجموعة نتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- 1- لقد ساعدت الظروف المختلفة على انتشار نظرية صدام الحضارات، وأثارت هذه النظرية الكثير من الجدل والنقاش كما أثارت ردود فعل متباينة في أوساط المسلمين وغيرهم على حد سواء.
- 2- لا تقوم العلاقة بين الحضارات على الصراع دائماً، وإنما يسودها كذلك حقبات من السلام والتعاون والتبادل الحضاري.
- 3- تركز نظرية صدام الحضارات على أنّ الصراع القائم سيكون على أساس ثقافي فقط، وأنّ الإسلام سيكون هو العدو للحضارة الغربية حيث يكون الصراع بينهما على أوجه، وعلل هنتجتون ذلك بما أسماه بعدائية ودموية الإسلام.
- 4- لقد تلقت نظرية صدام الحضارات كثيراً من النقد من قبل المسلمين وغيرهم على حد سواء، ويمكن القول بأن هذه النظرية لا تقوى للقول بواقعيتها، لما تعانيه من خلل جسيم وضعف كبير، خاصة فيما يتعلق بالمنهج المتبع وفي الرؤية التحليلية للأحداث حيث تقوم على الإنتقائية تارة، وعلى الغموض تارة أخرى.
- 5- كما يعد تهميش هنتجتون لدور الدولة وإغفال جانب الإقتصاد كعاملين أساسيين في تحديد أوجه الصراع، من أهم نقاط الضعف التي تعاني منها النظرية.
- 6- يعمل حوار الحضارات وحوار الأديان - مع تحفظ الباحث على بعض القضايا الخاصة بهما - على التقليل من فرص الصراع، وذلك لما لهما من أثر كبير في بث روح التسامح والتعايش السلمي وإظهار القيم المشتركة بين الحضارات والأديان، مما يساهم في التقليل من فرص الصراع.
- 7- أدخلت العولمة تغييرات كبيرة على الثقافات من خلال نشرها للأفكار والمعلومات والثقافات بشكل سريع وسهل، وفي كافة الإتجاهات، مما زاد من فرص التعرف على الآخر، وأزال الجهل به، والخوف منه، وفتح المجال للتعرف على الثقافات الأخرى والإحتكاك بها، مما يساهم في النهاية في التقريب بين وجهات نظر الناس جميعاً، والتقليل من فرص الصدام بينهم.

8- لقد وضع الإسلام الإنسان في مكانة عالية، فقد كرّمه الله و استخلفه في هذه الأرض، وأمره بالعدل والإحسان، كما أقر الإسلام التعددية والاختلاف بكافة تبايناتها وبين أنها سنةٌ من سنن الله في هذا الكون لا يجوز تجاوزها أو العمل ضدها، وبالتالي فقد نهى الإسلام عن مخالفة هذه السنة الكونية ونهى عن صراع الآخرين أو نفيهم.

9- لقد أثبتت الدراسة صورة فريدة لتعامل المسلمين مع الآخر سواء كان يعيش داخل المجتمع الإسلامي وذلك بما ساد من تعايش وتسامح بينهم، أو كان يعيش خارجه حيث التزم المسلمون بالصفات الحميدة كالعدل والوفاء والقيم والمبادئ والسمة حتى فيمن كانت تربطهم بهم علاقة الحرب مما يثبت عدم دقة اتهامات هنتجتون وادعاءاته حول عدائية ودموية الإسلام والمسلمين، ومما يؤكد على أن الإسلام لا يقوم على صرع الآخر أو نفيه.

وبناء على ما تقدم يوصي الباحث بما يلي:

1- ضرورة إظهار نقاط الضعف التي تعاني منها نظرية هنتجتون ونشرها حتى يقلل من الآثار السلبية لهذه النظرية.

2- العمل باتجاه إيجاد التكافؤ في الحورات، حتى تكون أكثر نفعاً وجدية.

3- العمل على دحض الشبهات والانتقادات والطعون الموجهة ضد الإسلام والمسلمين وإظهار زيف تلك الافتراءات وفشلها، وإبراز التعاليم الإسلامية السمحة التي تقوم على التعددية والحق والعدل والاحترام والخير للإنسانية جمعاء.

مسرد المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

1. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، **الكامل في التاريخ**، د.ط، بيروت: دار صادر، (1399 هـ - 1979م).
2. ابن العربي، محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن** (ت 543 هـ)، (تحقيق علي البجاوي)، د. ط، بيروت: دار المعرفة ودار الجيل، (1407 هـ - 1987م).
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية (ت 751 هـ)، **أحكام أهل الذمة**، (حقيقه وعلق عليه يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري)، ط1، الدمام، بيروت: رمادي للنشر ودار ابن حزم (1418 هـ - 1997م).
4. ابن الهمام، محمد عبد الواحد السيواسي (ت 681 هـ)، **شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي** لعلي المرغيناني ومعه شرح العناية وحاشية سعدي أفندي، د.ط، بيروت: دار الفكر، د.س.
5. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، د.ط، دم، دن، د.س.
6. ابن جبير، محمد بن أحمد، **رحلة ابن جبير**، د.ط، بيروت: دار صادر، د.س.
7. ابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي (ت 377 هـ)، **طبقات الأطباء والحكماء**، (تحقيق فؤاد رشيد)، د.ط، (مصورة عن ط القاهرة)، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القديمة، مركز تحقيق التراث، (1426 هـ - 2005م).

8. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ)، **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، (تحقيق وتعليق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1419 هـ - 1998م).
9. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد ، **المحلى بالآثار**، (تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري)، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.س.
10. ابن حنبل ،أحمد (ت241هـ)،**مسند الامام أحمد بن حنبل** ،د.ط ، [مضبوطة مرقمة معزوة الاطراف] ،الرياض: بيت الافكار الدولية،(1419هـ-1998م).
11. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ) ، **مقدمة ابن خلدون** وهي مقدمة الكتاب المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،(ت1413هـ - 1993م).
12. ابن رشد، محمد بن أحمد القرطبي (ت 595هـ) ، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ط 1، بيروت: المكتبة العصرية، (1423 هـ - 2002م).
13. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع ، **الطبقات الكبرى**، (دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا) ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1410هـ - 1990م).
14. ابن عابدين، محمد أمين (ت 1252 هـ)، **رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، (دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1415هـ - 1994م).
15. ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت 541هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط1، بيروت: دار ابن حزم، (1423هـ - 2002م).

16. ابن قدامة، موفق الدين بن عبد الله بن أحمد (ت 683 هـ)، **المغني ومعه الشرح الكبير**، (تحقيق محمد شرف الدين خطاب والسيد محمد وسيد صادق)، ط1، القاهرة: دار الحديث، (1416 هـ - 1996م).
17. ابن كثير، اسماعيل القرشي الدمشقي (ت 774 هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، القاهرة: دار الحديث (1410 هـ - 1990م).
18. ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي (ت 774 هـ)، **البداية والنهاية**، ومعه نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم، (تحقيق صدقي جميل العطار)، ط1، بيروت: دار الفكر (1416 هـ - 1996م).
19. ابن ماجه، محمد بن يزيد الربيعي (ت 273 هـ)، **سنن ابن ماجه**، (مراجعة وإشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ) ط1، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، (1420 هـ - 1999م).
20. ابن مفلح، محمد بن مفلح المقدسي (ت 762 هـ)، **الفروع وبذيله تصحيح الفروع**، لعلي بن سليمان المرداوي، (تحقيق حازم القاضي)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية (1418 هـ - 1997م).
21. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، ط1، بيروت: دار صادر، (1410 هـ - 1990م).
22. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت 745 هـ)، **تفسير البحر المحيط**، (دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض)، (قرظة عبد الحي الفرماوي)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1413 هـ - 1993م).
23. أبو خليل، شوقي، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ط1، دمشق: دار الفكر، (1417 هـ - 1996م).

24. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275 هـ)، سنن أبي داود، (حكم على الأحاديث والآثار وعلق عليه محمد ناصر الألباني)، (اعتنى به مشهور آل سلمان)، ط2، الرياض: مكتبة المعارف للنشر، 1417هـ.
25. أبو سعيد، حامد غنيم، مراكز الحضارة الإسلامية: مواطنها أطوارها، روادها، ط1، القاهرة: دار السلام، (1428هـ، 2007م).
26. أبو شريعة، إسماعيل إبراهيم محمد، نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح (1401 هـ - 1981م).
27. أبو عيد، عارف خليل، العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، ط1، عمان: دار النفائس، (1427هـ-2007م).
28. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت182هـ)، الخراج، (تحقيق محمد بن عبد الحفيظ المناصير)، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة العلمية، (1430هـ - 2009م).
29. أبي عبيد، القاسم بن سلام (ت 224 هـ - 838م)، الأموال، ط1، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، 1981م.
30. آرنولد، سيرتوماس.و.، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، (ترجمه إلى العربية وعلق عليه حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النجاوي)، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1970م.
31. اسبيزتو، جون، الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، (ترجمة هيثم فرحات)، ط1، سورية، دار الحوار، 2002م.
32. الأسد، ناصر الدين، نحن والآخر صراع وحوار، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997م.

33. اشبنكلر، أوزفالد، **تدهور الحضارة الغربية**، (ترجمة أحمد الشيباني)، د.ط، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.س.
34. الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط4، بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م.
35. الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح سنن أبي داود**، (اختصر أسانيده وعلق عليه زهير الشاويش، ط1، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (1409 هـ - 1989م).
36. الألوسي، محمود عبد الله الحسيني (ت 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، (قرأه وصححه محمد حسين العرب)، ط ، بيروت: دار الفكر (1414هـ — 1994م).
37. أمين، رضا عبد الواحد، **الإعلام والعولمة**، ط1، القاهرة: دار الفجر للنشر، 2007م.
38. باركر، آرنست ، **الحروب الصليبية**، (نقله إلى العربية السيد الباز العريني)، د.ط، بيروت: دار النهضة، 1967م.
39. باعمر، أحمد سالم، **الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي**، ط1، عمان: دار النفائس، 2001م.
40. الببلاوي، حازم، **نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي؟** ط1، القاهرة: دار الشروق، 1999م.
41. بترس، كيرلس سليم، **أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك (1)**، د.ط، (إشراف عادل تيودور ومشير عون)، جونية لبنان: مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البوليسية، 1999م. (سلسلة المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون).

42. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت256هـ)، **صحيح البخاري**، ط2، [فريدة مصححة مرقمة مرتبة] ، الرياض، دمشق: دار السلام، دار الفيحاء، (1419هـ-1999م) .
43. بريجنسكي، زيغنيو، **الفوضى الإضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين**، (ترجمة مالك فاضل)، ط1، عمان: منشورات الأهلية، 1998م.
44. بطرس، انطوان، **المعلوماتية على مشارف القرن الحادي والعشرين**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1997م.
45. بكار، عبد الكريم، **العولمة: طبيعتها وسائلها تحدياتها التعامل معها**، ط3، عمان: دار الإعلام (1423 هـ - 2002م).
46. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ)، **فتوح البلدان**، (وضع حواشيه عبد القادر محمد علي)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1420هـ - 2000م).
47. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، (إشراف لجنة تحقيق التراث)، ط1، بيروت: مكتبة الهلال، 1983م.
48. بورمانس، موريس، والنيفر، إحميدة، **مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي**، ط1، دمشق: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، (1426 هـ - 2005م).
49. بوسة، هيربرت، **أسس الحوار في القرآن الكريم، دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية**، (ترجمة أحمد محمود هويدي)، (مراجعة عمر صابر عبد الجليل)، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005م.
50. البوطي، محمد سعيد، **شخصيات استوفقتني**، ط1، بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1999م.

51. البوطي، محمد سعيد، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، ط2، دمشق، بيروت، دار الفكر المعاصر، (1419هـ - 1998م).
52. البياتي، ياس خضير، **الاتصال الدولي والعربي مجتمع المعلومات ومجتمع الورق**، ط1، عمان: دار الشروق للنشر، 2006م.
53. **التسامح في الحضارة الإسلامية**، الإسلام والآخر في العلاقات الدولية نظرة عامة، صوفي حسن أبو طالب، (أبحاث ووقائع المؤتمر العام المنعقد بالقاهرة في الفترة من 8-11 ربيع الأول، (1425هـ - 28/4 - 1/5/2004 م)، (إشراف محمود حمدي زكزوك) د.ط، القاهرة: د.د، (1425هـ - 2004م).
54. تشومسكي، نوعم، **الربح فوق الشعب الليبرالية الجديدة والنظام العولمي**، (ترجمة مازن الحسيني)، (تقديم روبرت ماكشيسفي)، ط1، رام الله: دار التنوير، 2000م.
55. التليسي، بشير رمضان، والذويب، جمال هاشم، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ط2، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004م.
56. التويجري، عبد العزيز بن عثمان، **الحوار من أجل التعايش**، ط1، القاهرة: دار الشروق 1998م.
57. التويجري، عبد العزيز عثمان التويجري، **صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي**، د. ط، المغرب: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - (1423هـ - 2002م).
58. توينبي، أرنولد، **مختصر دراسة للتاريخ**، (ترجمة فؤاد محمد شبل)، (راجع أحمد عزت عبد الكريم ومحمد شفيق غربال)، ط1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (جامعة الدول العربية)، 1964م.

59. الجابري، محمد عابد، **قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية، ونظام القيم، الفلسفة المدنية**، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م.
60. الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)، **رسائل الجاحظ: الرسائل الكلامية كشاف آثار الجاحظ**، (قدم لها وبوبها وشرحها علي أبو ملح)، ط3، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1995م.
61. الجمال، راسم محمد، **نظام الإتصال والإعلام الدولي الضبط والسيطرة**، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2005م.
62. جورافسكي، أليكسي، **الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم**، (ترجمة خلف محمد الجراد)، ط3، دمشق: دار الفكر، 2005م.
63. الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، (حققه محمد بن عبد الرحمن عبد الله)، (خرّج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني)، ط1، بيروت: دار الفكر، (1407هـ - 1987م).
64. جيمسون، فريدريك، وميوشى، ماساو، **ثقافات العولمة**، (ترجمة ليلى الجبالي)، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004م.
65. حتي، فيليب، وجرجي، إدورد، وجبور، جبرائيل، **تاريخ العرب**، ط12، بيروت: دار الكشاف، 2007م.
66. حداد، جوليت، **البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (من 1373 هـ / 1412 هـ ، 1954 م / 1992 م)** (إشراف أوغسطين ويبرة لاتور وهشام نشابة) ط1، بيروت: دار المشرق، 1995م.
67. حزب التحرير، **حتمية صراع الحضارات**، د.ط، د.م، دن، (1423 هـ - 2002م).

68. الحسن، يوسف، **الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات**، ط1، أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، 1997م.
69. حلاق، حسان، **العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، د.ط، دم، الدار الجامعية، (1406هـ، 1986م).
70. الحمش، منير، **السلام المدان**، ط2، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1997م.
71. **حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي**، حوار الحضارات الإسلام والغرب، أحمد كمال أبو المجد، (مراجعة وتقديم خالد الكركي)، ط1، عمان، بيروت: مؤسسة عبد الحميد شومان، المؤسسة العربية للدراسات، 2004م.
72. **حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي**، حوار الحضارات تحرير المصطلح والمنهج، ناصر الدين الأسد، (مراجعة وتقديم خالد الكركي)، ط1، عمان، بيروت: مؤسسة عبد الحميد شومان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م.
73. الخلال، أحمد بن محمد (ت 211 هـ)، **أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل**، (تحقيق سيد كروي حسن)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية (1414هـ - 1994م).
74. خليل، عماد الدين والربيع، فايز، **الوسيط في الحضارة الإسلامية**، ط1، عمان: دار الحامد، 2004م.
75. خنفر، خلقي، **تاريخ الحضارة الإسلامية**، ط1، [طبع على نفقة جامعة الخليل]، دم، الاعتصام للطباعة والنشر، (1412هـ - 1991م).
76. دراز، محمد عبد الله، الدين: **بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، ط1، الكويت: دار القلم، د.س.

77. دوبريه، ريجيس، وزيجلر، جان، **كي لا نستسلم**، (ترجمة رينيه الحايك وبسام حجار)، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي: 1995م.
78. دودين، محمود موسى عيسى، **العولمة بين الوهم والحقيقة** د.ط، دن، د.س.
79. ديورانت، ول وايريل، **قصة الحضارة**، (ترجمة زكي محمود)، (تقديم محيي الدين صابر)، بيروت، تونس: دار الجيل، المنظمة العربية للتربية والثقافة، د.س.
80. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، (1414هـ - 1987م).
81. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ-1374م)، **سير أعلام النبلاء**، (حققه وخرّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط)، ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة (1410 هـ - 1990م).
82. الرافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم (ت 623 هـ)، **العزیز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير**، (تحقيق وتعليق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية (1417 هـ - 1997م).
83. رضا، محمد رشيد، **الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام** دين الأخوة الإنسانية والسلام، ط3، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1406هـ.
84. رنسيان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، (نقله إلى العربية السيد الباز العريبي)، ط3، بيروت: مطبعة دار النجوى، (1413 هـ - 1993م).
85. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (تحقيق علي شيري)، د. ط، بيروت: دار الفكر، (1414هـ - 1994م).
86. الزحيلي، وهبة، **آثار الحرب في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة**، ط3، دمشق: دار الفكر، (1419هـ-1998م).

87. الزحيلي، محمد، التكريم الإلهي للإنسان، ط1، ص12، 13، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، 1995م.
88. الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط13، بيروت: دار العلم للملايين، 1998م.
89. الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد (ت 528هـ) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، (رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (1415 هـ - 1995م).
90. الزبيدي، مفيد، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ط1، عمان: دار أسامة، 2004م.
91. السائح، أحمد عبد الرحيم، بحوث في مقارنة الأديان: الدين نشأته الحاجة إليه، ط1، الدوحة - قطر، دار الثقافة 1991م.
92. السبهاني، عبد الجبار حمد عبيد، الإستخلاف والتركيب الإجتماعي في الإسلام، ط1، عمان: دار وائل، 2003م.
93. السعدون، حميد حمد، العولمة وقضاياها، ط1، عمان: دار وائل للنشر، 2000م.
94. سعدي، محمد، حول صراع الحضارات: حوارات ومقالات مختارة لصامويل هنتجتون، د.ط،المغرب : افريقيا الشرق، 2006م.
95. سعدي، محمد، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م. (سلسلة أطروحات الدكتوراه).
96. سعيد، ادوارد، تعقيبات على الاستشراق، (ترجمة وتحرير صبحي حديدي، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997م.

97. السماك، محمد، موقع الإسلام في صراع الحضارات، والنظام العالمي الجديد، ط2، [مزيدة ومنقحة]، بيروت: دار النفائس، (1420هـ، 1999م).
98. السوسوة، عبد المجيد محمد، أسس العلاقات الدولية في الإسلام، (تقديم سعيد حارب)، ط1، بيروت: دار ابن حزم، (1426 هـ - 2005م).
99. شاهين، محمد، إدوارد سعيد رواية للأجيال، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005م.
100. الشرقاوي، عفت الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ط4، بيروت: دار النهضة العربية/ (1405هـ، 1985م).
101. الشريف، أحمد إبراهيم، دراسات في الحضارة الإسلامية، ط2، دم، دار الفكر العربي، 1981م.
102. شفيق، منير، الإسلام في معركة الحضارة، ط1، بيروت: دار الكلمة للنشر، 1981م.
103. شفيق، منير، التجزئة والدولة القطرية، قراءة استطلاعية، ط1، القاهرة: دار الشروق، 2001م.
104. الشهرستاني، محمد عبد الكريم، الملل والنحل (ت 548 هـ)، (صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد)، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، (1413هـ - 1992م).
105. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت 1255هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (تحقيق وتخريج سيد إبراهيم)، ط3، القاهرة، دار الحديث، (1418هـ - 1997م).
106. شومان، عباس، العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية دراسة فقهية مقارنة، ط1، القاهرة: الدار الثقافية (1419هـ - 1999م).

107. الشيرازي، إبراهيم بن علي الفيروز أبادي (ت 467 هـ)، المذهب في فقه الإمام الشافعي وبذيله النظم المستعذب في شرح غريب المذهب لمحمد بن أحمد بن بطل، (ضبط وتصحيح زكريا عميرات)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية ، (1416 هـ - 1995م).
108. صدام الحضارات، الاستدعاء، فؤاد عجمي، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث، 2005م.
109. صدام الحضارات، الصدام بين الحضارات، صامويل هنتجتون، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1995م.
110. صدام الحضارات، تطعيم الحضارة الحضارات ليست جزراً، ليوبينيان، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية، 1995م.
111. صدام الحضارات، حتمية التحديث التقاليد والتغيير، جين كيركباتريك، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية، 1995م.
112. صراع الحضارات أم حوار الثقافات (أوراق ومداخلات المؤتمر الدولي حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات)، أزمة نظام عالمي أم صدام حضارات، وجيه كوثراني ،(إشراف قسم الاعلام بمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية)،(تحرير فخري لبيب)، د.ط، د.م،(مطبوعات التضامن 173) د.س، (المؤتمر المنعقد في 10-12، مارس ، 1997م).
113. صراع الحضارات أم حوار الثقافات (أوراق ومداخلات المؤتمرات الدولي حول صراع الحضارات ام حوار الثقافات)، حوار الحضارات في عالم متغير ، السد ياسين ، (إشراف قسم الاعلام بمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية)،(تحرير فخري لبيب)، د.ط، د.م،(مطبوعات التضامن 173) د.س، (المؤتمر المنعقد في 10-12، مارس ، 1997م).

114. صلاواتي، ياسين، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، (1422هـ - 2001م).
115. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، صحيح تاريخ الطبري، (حققه وخرج رواياته وعلق عليها محمد بن طاهر البرزنجي)، (إشراف ومراجعة المحقق محمد صبحي حلاق)، ط1، دمشق، بيروت: دار الفكر، (1428هـ - 2007م).
116. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (قدم له خليل الميس)، (ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، د.ط، بيروت: دار الفكر (1415هـ - 1995م).
117. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ط4، القاهرة: دار المعارف، د.س.
118. طنطاوي، محمد سيد، أدب الحوار في الإسلام، د.ط، مدينة السادس من أكتوبر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1997م.
119. الطويل، توفيق، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية: دراسة مقارنة، د.ط، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د.س.
120. عبد العظيم، حمدي، فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، د.ط، دم، دن، (1415هـ، 1995م).
121. عثمان، علي، تأملات في التبادل والصراع الحضاري والفكري بين العرب والغرب، (مراجعة عبد الرحمن عباد)، د. ط، القدس: مطبعة القدس العربية، 1975م.
122. عجبك، بسام داود، الحوار الإسلامي المسيحي: المبادئ - التاريخ - الموضوعات - الاهداف، ط2، دم: دار كتيبة، (1429هـ - 2008م).

123. **العرب والعولمة** (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)

تعقيب سيار الجميل، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م.

124. **العرب والعولمة**: بحوث و مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية،

العرب والعولمة: العولمة والهوية الثقافية تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي،

محمد عابد الجابري، (تحرير أسامة الخولي)، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،

1998م

125. **العرب والعولمة**، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، عبد الإله بلقزيز،

(تحرير أسامة الخولي)، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة، 1988م.

126. **العضائيلة**، عادل محمد، **الصراع على المياه في الشرق الاوسط الحرب والسلام**، ط1، عمان:

دار الشروق، 2005م.

127. **العطية**، عبد الحسين وداي، **الاقتصاديات النامية أزمات وحلول**، ط1، عمان: دار الشروق،

2001م.

128. **العظم**، صادق جلال، وحنفي، حسن، **ما العولمة**، ط2، بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر،

دار الفكر، 2000م. (سلسلة حوارات القرن العشرين)،

129. **العقاد**، عباس محمود، **أثر العرب في الحضارة الأوروبية**، ط2، القاهرة: دار نهضة مصر،

1998م.

130. **العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل**، العلاقات

الإسلامية المسيحية والحوار الإسلامي المسيحي، رضوان السيد، ط1، بيروت: مركز الدراسات

الإستراتيجية، 1994م.

131. العلاقات الإسلامية المسيحية: قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل، العلاقات الإسلامية المسيحية: قراءات إسلامية في الراهن والمستقبل، محمد حسين فضل الله، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1994م.
132. العليان، عبد الله علي، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية للحوار، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م.
133. عمارة، الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع في إطار الحضارة، ط1، القاهرة: دار الرشاد، (1418هـ - 1997م).
134. عمارة، محمد، الحضارات العالمية تدافع أم صراع؟ ط1، القاهرة: دار نهضة مصر، 1998م.
135. عمارة، محمد، السماحة الإسلامية حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية (1426 هـ - 2005م). (سلسلة هذا هو الإسلام (2)).
136. عمارة، محمد، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، ط2، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، (1427هـ - 2007م).
137. عمارة، محمد، قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط1، بيروت، القاهرة: دار الشروق ، 1993م.
138. عمارة، محمد، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ط1، مدينة السادس من أكتوبر: دار النهضة مصر للطباعة 1999م، (سلسلة في التنوير الإسلامي 32).
139. عوض، محمد مؤنس، الحروب الصليبية: دراسات تاريخية ونقدية، (تقديم سعيد عبد الله البشتاوي)، ط1، عمان: دار الشروق 1999م.

140. العولمة والهوية الثقافية، الإعلام المعاصر وتحديات العولمة، عواطف عبد الرحمن، (إشراف جابر عصفور)، د.ط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المؤتمر المنعقد في (12-16) أبريل، 1998، (سلسلة أبحاث المؤتمرات 7).
141. العولمة والهوية الثقافية، العرب ومخاوف العولمة: قراءة أولية باقر سلمان النجار، (إشراف جابر عصفور)، د.ط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المؤتمر المنعقد في (12-16) أبريل، 1998م. (سلسلة أبحاث المؤتمرات 7).
142. العولمة والهوية الثقافية، العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، جلال أمين، (إشراف جابر عصفور) د.ط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المؤتمر المنعقد في (12-16)، أبريل، 1998م، (سلسلة أبحاث المؤتمرات 7).
143. العولمة والهوية الثقافية، الوسطية وحوار الحضارات، عبد الحميد إبراهيم، م.ن.
144. العولمة والهوية الثقافية، تفاعلات ثقافة العولمة: أمثلة من رواية شرف لصنع الله إبراهيم، أحمد صدقي الدجاني، م.ن.
145. العولمة والهوية الثقافية، حوار الثقافات أم صراعاها؟ ملاحظات منهجية: الحوار كشكل من أشكال الصراع، فوزي منصور، م.ن.
146. العولمة والهوية الثقافية، حوار الحضارات وتفاعلها بين الوحدة والتنوع، مصطفى السعدني، م.ن.
147. غارودي، روجيه، في سبيل حوار الحضارات، (تعريب عادل العوا) ط4، بيروت: عويدات للنشر، 1994م.
148. الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، الغرب فريد وليست عالمياً، صموئيل هنتجتون، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، 2000م.

149. الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، إن لم تكن حضارة فماذا تكون، صموئيل هنتجتون، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، 2000م.
150. الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، حوار الحضارات شروطه ونطاقه، محمد سليم العوا، ط1، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، 2000 م.
151. غليون، برهان، وأمين، سمير، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة حوارات لقرن جديد، ط1، دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، 1990م.
152. فضل الله، محمد حسين، في آفاق الحوار الإسلامي - المسيحي، ط2، بيروت: دار الملاك، (1418هـ - 1992م).
153. فوكوياما، فرانسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، (ترجمة فؤاد شاهين، رضا قاسم، رضا الشايبی)، (الإشراف والمراجعة مطاع صفدي)، د.ط، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993م.
154. القاسمي، ظافر، الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، ط1، بيروت: دار العلم للملايين ، 1982م.
155. القرافي، أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت 768 هـ)، الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق، ومعه إدرار الشروق على أنواء الفروق لقاسم بن عبد الله بن الشاط، وبحاشيته تهذيب الفروق والقواعد السنّية في الأسرار الفقهية لمحمد بن علي المكي، (ضبطه وصححه خليل المنصور)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية (1418 هـ - 1998م).
156. القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط2، القاهرة: مكتبة وهبة، (1404هـ - 1984م)
157. القرضاوي، يوسف، المسلمون والعولمة، ط1، القاهرة: مطابع دار التوزيع والنشر الإسلامية، (1421 هـ - 2000م).

158. القرطبي، محمد ابن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، (تخريج عرفات العشا)، (مراجعة صدقي محمد جميل)، د.ط، بيروت: دار الفكر، (1414هـ، 1993م).
159. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ط17 [جديدة ومشروعة]، القاهرة: دار الشروق، (1412هـ—1992م).
160. كارلسون، انجمار، **الإسلام أوروبا: تعايش أم مجابهة؟** (ترجمة: سمير بوتاني)، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، (1424هـ، 2003م).
161. الكاساني، أبو بكر بن مسعود الحنفي (ت 587 هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، (تحقيق وتعليق علي محمد معوض وعادل عبد الموجود)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية (1418هـ - 1997م).
162. كاظم، نجاح، **العرب وعصر المعلومات: المعلومات البعد الخامس**، ط1، بيروت، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2000م.
163. الكاندهلوي، محمد زكريا المدني، **أوجز المسالك إلى موطأ مالك**، (اعتنى به وعلق عليه تقي الدين الندوي)، ط1، (محققة ومنقحة)، دمشق: دار القلم (1424هـ - 2003م).
164. كلير، مايكل، **الحروب على الموارد الجغرافيا الجديدة للنزعات العالمية**، (ترجمة عدنان حسن)، د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، 2002م.
165. كونج، هانس، **القيم الأخلاقية المشتركة للأديان الإسلام رمز الأمل**، (ترجمة رانيا خلاف)، ط1، القاهرة: دار الشروق، 2007م.
166. اللاوندي، سعيد، **الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟** ط3، الجيزة: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، 2008م.

167. ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط 3، [مزيدة ومنقحة]، القاهرة: مكتبة الانجلو، 1973م.
168. مارسدن، جورج، الدين والثقافة الأمريكية، (ترجمة صادق إبراهيم عودة)، ط 1، عمان: دار الفارس، 2001م.
169. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت 450 هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.س.
170. المبارك، هاني، وأبو خليل، شوقي، دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، ط 1، دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، (1417هـ - 1996م).
171. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، (نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة) ط 3، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م.
172. المرداوي، علي بن سليمان (ت 885 هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد، (تصحيح وتحقيق محمد حامد الفقيه)، ط 2، بيروت: دار أحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي، د.س.
173. مرشو، غريغوار منصور، والحسيني، سيد محمد صادق، نحن والآخر، ط 1، دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، (1422هـ - 2001م).
174. مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261 هـ)، صحيح مسلم، (اعتنى به أبو صهيب الكرمي، د.ط، الرياض: بيت الأفكار الدولية، (1419هـ - 1998م).
175. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط 1، القاهرة، بيروت: دار الشروق، 1999م.

176. مظهر، جلال، **مآثر العرب على الحضارة الأوروبية**، (تقديم كمال الدين رفعت، وسعد عفرة، ط1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1960م.
177. **المعجم العربي الأساسي**، أحمد العايد وآخرون (التنسيق علي القاسمي)، (تحرير أحمد مختار عمر) د.ظ، د.م، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.س.
178. **المنجد في الأعلام**، مجموعة مؤلفين، (المساهمون في التحرير عبد الله العلايلي وآخرون)، ط19، بيروت: دار المشرق، 1992م.
179. **مها جراني، عطا الله، الإسلام والغرب**، (ترجمة عادل عبد المنعم سويلم)، (مراجعة وتقديم: محمد السعيد جمال الدين)، ط1، القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، 2006م.
180. **موسوعة السياسة**، (أسسها عبد الوهاب الكيالي)، (مدير التحرير ماجد نعمة)، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1994م.
181. **الموسوعة العربية الميسرة**، (إشراف محمد شفيق غربال)، د.ط، القاهرة: دار الجيل والجمعية المصرية للنشر والمعرفة (1416هـ - 1995م).
182. **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا) د.ط، الإسكندرية، مكتبة علاء الدين، د.س.
183. **مولر، هارالد، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتجتون**، (ترجمة ابراهيم ابو هشيش)، ط1، طرابلس: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2005م.
184. **المولى، مسعود، الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة**، ط1، بيروت: دار المنهل اللبناني، (1416هـ - 1996م).
185. **المياح، عبد اللطيف علي، والطائي، حنان علي، ثورة المعلومات والأمن القومي العربي**، ط1، عمان: دار مجد لاوي للنشر، 2003م.

186. ميكال، أندريه، وشفالبييه، دومنيك، وفلوز، عز الدين، العرب، الإسلام وأوروبا، (إشراف عادل إسماعيل)، (ترجمة منير إسماعيل، وهاشم صالح)، بيروت: مركز الحريري الثقافي، 1993م.
(سلسلة دراسات عربية).
187. الميلاد، زكي، المسألة الحضارية: كيف نبكر مستقبلنا في عالم متغير؟، ط1، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1999م.
188. النجفي، سالم توفيق، وعبد المجيد، أحمد فتحي، السياسات الاقتصادية الكلية والفقر مع إشارة خاصة الى الوطن العربي، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008م.
189. النسفي، عبد الله بن أحمد (ت 710هـ)، تفسير النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (تحقيق مروان محمد الشعار)، ط1، بيروت: دار النفائس (1416 هـ - 1996م).
190. نظام، نظام الدين البرهانوري، وجماعة من علماء الهند، الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمية، (ضبط وتصحيح عبد اللطيف حسين عبد الرحمن)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية (1421 هـ - 2000م).
191. النقيذ، محمد سيف حيدر، نظرية "نهاية التاريخ" وموقعها في إطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد، ط1، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2007م.
192. النووي، يحيى بن شرف (ت 676 هـ) صحيح مسلم بشرح النووي، (تقديم وتقريب وتعريف وهبة الزحيلي)، إعداد مجموعة أساتذة بإشراف علي عبد الحميد بلطه جي، ط1، بيروت: دار الخير، (1414 هـ - 1994 م).

193. نوبيرت، هارالد، النظام العالمي الجديد ومشاكل العالم الثالث (على ضوء اكتشاف أمريكا قبل 500 عام)، (ترجمه عن الألمانية محمد الزعبي وممتاز كريدي)، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1996م.
194. نيكسون، ريتشارد نيكسون، أمريكا والفرصة التاريخية: كيف تواجه أمريكا الدولة العظمى الوحيدة التحديات العالمية الزاهية، (نقله إلى العربية محمد زكريا إسماعيل)، ط1، بيروت: مكتبة بيسان، 1992م.
195. هاليداي، فريد، الاسلام وخرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق الاوسط، (ترجمة محمد مستجير)، ط1، دم، مكتبة مدبولي، 1997م.
196. هنتجتون، صاموئل، صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي، (نقله الى العربية مالك عبيد ابو شهيو، ومحمود محمد خلف)، ط1، الفاتح- الجماهيرية العربية الليبية: الدار الجماهيرية للنشر، (1429هـ-1999م).
197. هنتجتون، صامويل، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، (ترجمة طلعت الشايب)، ط2، القاهرة: شركة سطور، 1999م.
198. هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، (أثر الحضارة العربية في أوروبا)، (نقله عن الألمانية فاروق ببيضون وكمال دسوقي)، (راجعة ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري)، ط8، بيروت: دار صادر، ودار الآفاق الجديدة، 1993م.
199. ياسين، السيد، المعلوماتية وحضارة العولمة: رؤية نقدية عربية، ط1، مصر: دار نهضة مصر للطباعة، 2001م.
200. ياقوت، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ط2، بيروت: دار صادر، 1995م.

201. يكن، فتحي، وطنبور، رامز، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م.

المراجع باللغة الإنجليزية:

202. Bernald Lewis, The Roots of the Muslim Rage, atlantic monthly, volume 226, no.3 (September 1990) plp (47- 66). (الانترنت)

الإنترنت

203. www.islamonline.net/english_europian_muslims/art/2005/12/10.
204. www.edu.net/portal/modules/php?
205. www.wikipedia.org
206. www.alarabnew.com/alshaab/gif/19/12/2003/n2.htm
207. www.petra.gov.jo/article.aspx?acsection=9&artical=74183?ing.
208. www.gatarconferences.org/dialogue2009/ucoipliban.org/arabic.index.php?option.com
209. www.kamalalawneh<news.maktoob.com.4
210. www.aawsat.com/details.asp?section4&article.
211. www.alegt.com/15/article240356/html.6
212. www.islamonline.net/servlet/satellite?c=article_a
213. www.unitedna.net/article.aspx?id=459&catld=b
214. www.elmessiri.com/articles-view.php?id=39

الدوريات

215. أحمد، محمد سيد، تصاعد الإرهاب وصدام الحضارات، العربي العدد 518، الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، كانون الثاني، 2002م.

216. باشا، أحمد فؤاد، التقدم العلمي في ظل العولمة، المسلم المعاصر، العدد 95، القاهرة: مؤسسة المسلم المعاصر (شوال - ذو الحجة 1420 هـ)، يناير، فبراير، مارس، 2000م.

217. بيبيرس، سامية، حوار الحضارات والمبادرة الحضارية العربية، شؤون عربية، العدد 16، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، شتاء، 2003م.

218. جرجس، فواز، الأمريكيون والإسلام السياسي: تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية، المستقبل العربي، العدد 217، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، آذار/مارس، 1997م.
219. جريدة الشرق الأوسط، 21 سبتمبر سنة 2000م، العدد 7968 (الانترنت).
220. جريدة القدس، الخميس، 4 حزيران سنة 2009م. العدد 14297.
221. جريدة القدس، 15 تموز سنة 2009، العدد 14338.
222. الجنحاني، الحبيب، حوار الحضارات لماذا؟ وكيف؟ ومع من؟ العربي، العدد 557، الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، أبريل، 2005م.
223. درويش، أحمد، تحديات الهوية العربي بين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، المسلم المعاصر، العدد 98، القاهرة: جمعية المسلم المعاصر (رجب - رمضان 1412 هـ)، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 2000م.
224. الرميحي، محمد، المعلوماتية العربية، العربي، العدد 414، الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، مايو، 1993م.
225. سالم، صلاح، العرب والغرب بين نظرية "المؤامرة" و"صدام الحضارات، شؤون عربية"، العدد 122، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، صيف، 2005م.
226. سعدي، محمد، كتب وقراءات: صدام الحضارات، المستقبل العربي، العدد 244، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م.
227. سعدي، محمد، الجنوب في التفكير الإستراتيجي الأمريكي: نموذج أطروحة "صدام الحضارات"، المستقبل العربي، العدد 236، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، شهر 10 / 1998م.

228. السيد، رياض جاد، صراع الحضارات وحروب القرن الحادي والعشرين، مجلة الدفاع، العدد 176، القاهرة، مارس، 2001م.
229. شلبي، السيد أمين، نظرية صدام الحضارات، مجلة الهلال، العدد 11، القاهرة، نوفمبر، تشرين ثاني، 2005م.
230. ضاهر، مسعود، صدام الحضارات: إرتباك الخائفين وصلابة القادرين، العربي، العدد 452، الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، (صفر 1417 هـ - تموز 1996م).
231. عبد الخالق، أميرة، كارين ارمسترونج، الصدام داخل الحضارات لا بينها، مجلة الكتب وجهات نظر، العدد 86، القاهرة: الشركة المصرية للنشر، مارس، 2006م.
232. عبد اللطيف، كمال، الإسلام والغرب صعوبات الحوار، مجلة فكر ونقد، العدد 5، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، يناير، 1998م.
233. عبد الناصر، وليد محمود، حوار الحضارات على أجندة العلاقات الدولية، السياسة الدولية، العدد 147، القاهرة: مؤسسة الأهرام، يناير، 2002م.
234. العسكري، سليمان، ماذا يتبقى من نظرية صدام الحضارات؟ العربي، العدد 518، الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، كانون الثاني، 2002م.
235. العشماوي، فوزية، الحوار بين الحضارات والخصوصيات الثقافية، العربي، العدد 534، الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، مايو، 2003م.
236. علي، نبيل، الوطن العربي وتحديات مجتمع المعلومات، العربي، العدد 398، الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، يناير، 1992م.
237. عليان، ربحي مصطفى، مجتمع المعلومات والواقع العربي، مجلة رسالة المكتبة، العدد 2، عمان: مجلة المكتبات والمعلومات الأردنية، حزيران، 2004م.

238. عمارة، محمد، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ط1، مدينة السادس من أكتوبر، دار نهضة مصر للطباعة، 1999م.(سلسلة في التثوير الاسلامي 32).
239. عنارة، هالة، تنبؤات فوكوياما في مهب الريح، الهلال، العدد 4، القاهرة، أبريل، 1999م.
240. عوض، ريتا، صورة العرب والإسلام في الغرب: كيف يعاد تشكيلها، شؤون عربية، العدد 109، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ربيع 2002م.
241. مقصود، كلوفيس، مقابلة مع كلوفيس مقصود، الغرب وعالم الجنوب وتحديات المستقبل، (حاوره عبد المالك سالم)، المستقبل العربي، العدد 217، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، آذار، 1997م.
242. الملاح، هاشم يحيى، الصراع بين الحضارات ومستقبل الأمة، آفاق عربية، العدد 9، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة/وزارة الثقافة والإعلام. أيلول، 1993م.
243. يسين، السيد، الغرب الكوني والشرق المتفرد: الحضارات بين الصراع والحوار، السياسة الدولية، العدد 161، القاهرة: مؤسسة الأهرام، يوليو، 2005م.

مسرد الآيات مرتبة حسب ورودها في النص

الرقم	الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
1	فَنَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَعى كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ	الحاقة 69	7	2
2	فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا	الكهف 18	34	51
3	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا	الكهف 18	37	51
4	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا	المجادلة 58	1	51
5	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	النحل 16	125	61
6	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ	آل عمران 3	64	65
7	لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ	المائدة 5	82	66
8	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	العنكبوت 29	46	93، 74
9	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً	البقرة 2	30	87، 88
10	ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ	يونس 10	14	87
11	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	النور 24	55	87
12	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا	البقرة 2	34	88
13	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ	ص 38	71	88
14	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ	ص 38	72	88
15	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	الإسراء 17	70	89
16	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ	الحجر 15	29	90
17	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	التين 95	4	90
18	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	لقمان 31	20	90
19	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ	النساء 4	1	90
20	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	الحجرات 49	13	91
21	قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا	البقرة 2	38	92
22	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً	هود 11	118	92
23	إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ	هود 11	119	92
24	لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا	المائدة 5	48	92
25	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ	الروم 30	22	93، 92
26	قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا	البقرة 2	136	93
27	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ	البقرة 2	256	101، 93
28	الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	المائدة 5	5	93

29	لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	آل عمران 3	186	94
30	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ	النحل 16	90	94
31	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ	المائدة 5	8	94
32	مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ	المائدة 5	32	94
33	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ	البقرة 2	143	95
34	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ	البقرة 2	251	95
35	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ	فصلت 41	34	95
36	إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ	التوبة 9	60	101
37	وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ	النحل 16	91	109
38	وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا	الأنفال 17	34	109
39	إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ	الرعد 13	19	110
40	الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ	الرعد 13	20	110
41	وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ	الرعد 13	25	110
42	إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ	التوبة 9	4	110
43	الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ	الأنفال 8	56	110
44	فَإِمَّا تَثَقَفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ	الأنفال 8	57	110
45	وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ	الأنفال 8	58	110، 111
46	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً	البقرة 2	208	110
47	وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا	الأنفال 8	61	110
48	وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ	النساء 4	75	110، 111
49	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ	البقرة 2	190	111، 113، 114
50	لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ	الممتحنة 60	8	118
51	إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ	الممتحنة 60	9	118

الرقم	طرف الحديث	عزو الحديث
1.	إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى	البخاري 2
2.	لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ	البخاري 2
3.	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ	مسلم 91
4.	دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ	البخاري 91
5.	يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ	البخاري 91
6.	كان غلام يهودي يخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- فمرض فأتاه النبي -صلى الله عليه وسلم- يعبده	البخاري 93
7.	توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودرعه مرهونة عند يهودي	البخاري 93
8.	أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرت به جنازة فقام	البخاري 94
9.	ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته	أبو داود 97
10.	من قتل نفساً معاهداً لم يُرح رائحة الجنة	البخاري 97
11.	إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا	مسلم 98
12.	اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا....	مسلم 111
13.	لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم	أبو داود 112
14.	إني لا أحبس العهد، ولا أحبس البرود	أبو داود 112
15.	أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي -صلى الله عليه وسلم- مقتولة، فأُنكر	البخاري 113
16.	ما بال هذه تقتل ولا تقاتل	ابن حنبل، ابن ماجه 113، 114 وأبو داود
17.	انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله	أبو داود 114
18.	اخرجوا باسم الله تقاتلوا في سبيل الله	ابن حنبل 114

مسرد الآثار حسب ورودها في النص

الصفحة	عزو الأثر	طرف الأثر
97	علي بن أبي طالب	" إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا "
98	عمر بن الخطاب	" إني لأظنكم قد أهلكتم الناس "
99	عمر بن الخطاب	" فمن حضرهم من رجل فلينصرهم على من ظلمهم "
102	عمر بن الخطاب	" هذا ما أعطي عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً "
102	خالد بن الوليد	" وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا "
112	أبو بكر الصديق	" إنَّك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله "

مسرد الأعلام مرتبة حسب ورودها في النص

الرقم	العلم	الصفحة
1.	صموئيل هنتجتون	ج، د، ز، ي، ك، ل، 5، 8، 9، 19، 20، 21، 22، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 54، 83، 95، 117، 120، 121
2.	فرانسيس فوكاياما	ز، 18، 19
3.	حازم الببلاوي	ي
4.	محمد عمارة	ي
5.	محمد ياسر شرف	ي
6.	غالب عجبك	ي
7.	هارالد موللر	ك
8.	أحمد الشلبي	ك
9.	ابن خلدون	3، 36، 82
10.	هيجل	6
11.	دارون	6
12.	ماركس	6
13.	جون باكن	6
14.	أرنولد توينبي	7، 36
15.	ريتشارد نيكسون	7، 43
16.	برنارد لويس	8
17.	مانفريد فورنر	8
18.	جون كالفان	8
19.	فردريك الثاني	12
20.	زيغرد هونكة	12
21.	ول وايريل ديورانت	13، 102، 107
22.	صلاح الدين الأيوبي	14
23.	نابليون بونابرت	15

24.	جون اسبيزتو	16
25.	توماس كون	20
26.	كلوفيس مقصود	32
27.	انجمار كارلسون	33
28.	كونفوشيوس	33
29.	ادوارد سعيد	35
30.	اشبنكلر	36
31.	محمد سيد أحمد	41
32.	هاليداي	44
33.	بريجنسكي	47
34.	هتلر	47
35.	لينين	47
36.	ستالين	47
37.	ماو	47
38.	كيشوري محبوباني	47
39.	روحيه جارودي	52، 53
40.	محمد خاتمي	53، 55
41.	فوزية العشماوي	55
42.	عبد العزيز التويجري	59، 60
43.	محمد عبد الله دراز	64
44.	فلاديمير سولوفيون	66
45.	لويس ماسينون	66
46.	ف. كينغ	68
47.	بسام عجك	69
48.	محمد فضل الله	70، 74
49.	الوليد بن طلال	71
50.	عبد الله عبد العزيز	72
51.	شمعون بيرس	74
52.	محمد عابد الجابري	80، 81، 82

81	صادق العظم	.53
84	عبد الوهاب المسيري	.54
87	الطبري	.55
88 ،90	القرطبي	.56
91،89	سيد قطب	.57
91	أبو هريرة	.58
91	أبو زر	.59
94	النسفي	.60
97 ،99	الكاساني	.61
97	علي بن أبي طالب	.62
97	مالك	.63
97	الليث بن سعد	.64
98	هشام بن حكيم	.65
98 ،99 ،101 ،102	عمر بن الخطاب	.66
98	ابن عابدين	.67
98 ،100 ،101	القرافي	.68
100	ابن حزم	.69
100	أبو عبيدة	.70
100 ،112	أبو بكر الصديق	.71
101 ،111	عمر بن عبد العزيز	.72
101	عدي بن أرطاة	.73
101	ابن كثير	.74
102	أبو يوسف	.75
102	خالد بن الوليد	.76
103 ،104 ،105 ،107	آدم مترز	.77
104	الجاحظ	.78
105 ،107 ،108 ،115	ستيفن رنسيومان	.79
105	يوحنا بن ما سويه	.80
106	أبو جعفر المنصور	.81

103،106	المهدي	.82
106	المأمون	.83
109	عبد الله بن سعد بن أبي سرح	.84
109	معاوية	.85
111	قتيبة بن مسلم	.86
112	يزيد بن أبي سفيان	.87
112	عبد الله بن مسعود	.88
112	مسيلمة الكذاب	.89
114	أنس بن مالك	.90
114	ابن عباس	.91

مسرد المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	إقرار
ب	شكر و عرفان
ج	الملخص بالعربية
د ، هـ	الملخص بالإنجليزية
و	الرموز والمختصرات
ز	المقدمة
ز، ح	أهمية الدراسة وسبب إختيارها
ح	مشكلة الدراسة
ح	فرضيات الدراسة
ط	منهج الدراسة
ي ، ك	الدراسات السابقة
ل	خطة الدراسة
1	الفصل الأول: صدام الحضارات (المفهوم والنشأة) والعلاقة التاريخية
2	المبحث الأول - مفهوم صدام الحضارات
6	المبحث الثاني - نشأة الفكرة
10	المبحث الثالث - العلاقة التاريخية للحضارات
17	الفصل الثاني : نظرية الصدام (الماهية والردود)
18	تمهيد
20	المبحث الأول - ماهية نظرية صدام الحضارات
20	أ- مرتكزات النظرية
22	ب-بواعث الصدام الحضاري
25	ج- تقسيم هنتجتون للعالم
27	د- نظرتة للمسلمين
30	هـ - توصيات هنتجتون
32	المبحث الثاني: الردود على النظرية
32	أ- الخلل المنهجي والمفاهيمي للنظرية

37	ب- تهميش دور الدولة وإغفال الاقتصاد
42	ج- تحامل هنتجتون على المسلمين
49	الفصل الثالث: مؤثرات في فكرة الصراع
50	المبحث الأول : حوار الحضارات
50	أ- المفهوم
52	ب- النشأة
55	ج- الأهمية
59	د- شروط الحوار
64	المبحث الثاني: حوار الأديان
64	أ- المفهوم
65	ب- النشأة
68	ج- طبيعة الحوارات وأهميتها
76	المبحث الثالث : العولمة
76	أ- المفهوم
78	ب- العولمة وتراجع الحدود
81	ج- العولمة والثقافة
86	الفصل الرابع : موقف الإسلام من الآخر
87	المبحث الأول: نظرة الإسلام للإنسان
96	المبحث الثاني: علاقة المسلمين بغيرهم داخل المجتمع الإسلامي
97	أ- الحماية الداخلية والخارجية
100	ب- كفالة بيت المال
101	ج- الحريات
109	المبحث الثالث: علاقة المسلمين بغيرهم خارج المجتمع الإسلامي
109	أ- المعاهدون
110	ب- المحاربون
115	ج- المحايدون
116	مسألة (حزب التحرير وحتمية صراع الحضارات)
120	الخاتمة
122	الفهارس

122	مسرد المصادر والمراجع
149	مسرد الآيات القرآنية
151	مسرد الأحاديث الشريفة
152	مسرد الآثار
153	مسرد الأعلام
157	مسرد المحتويات